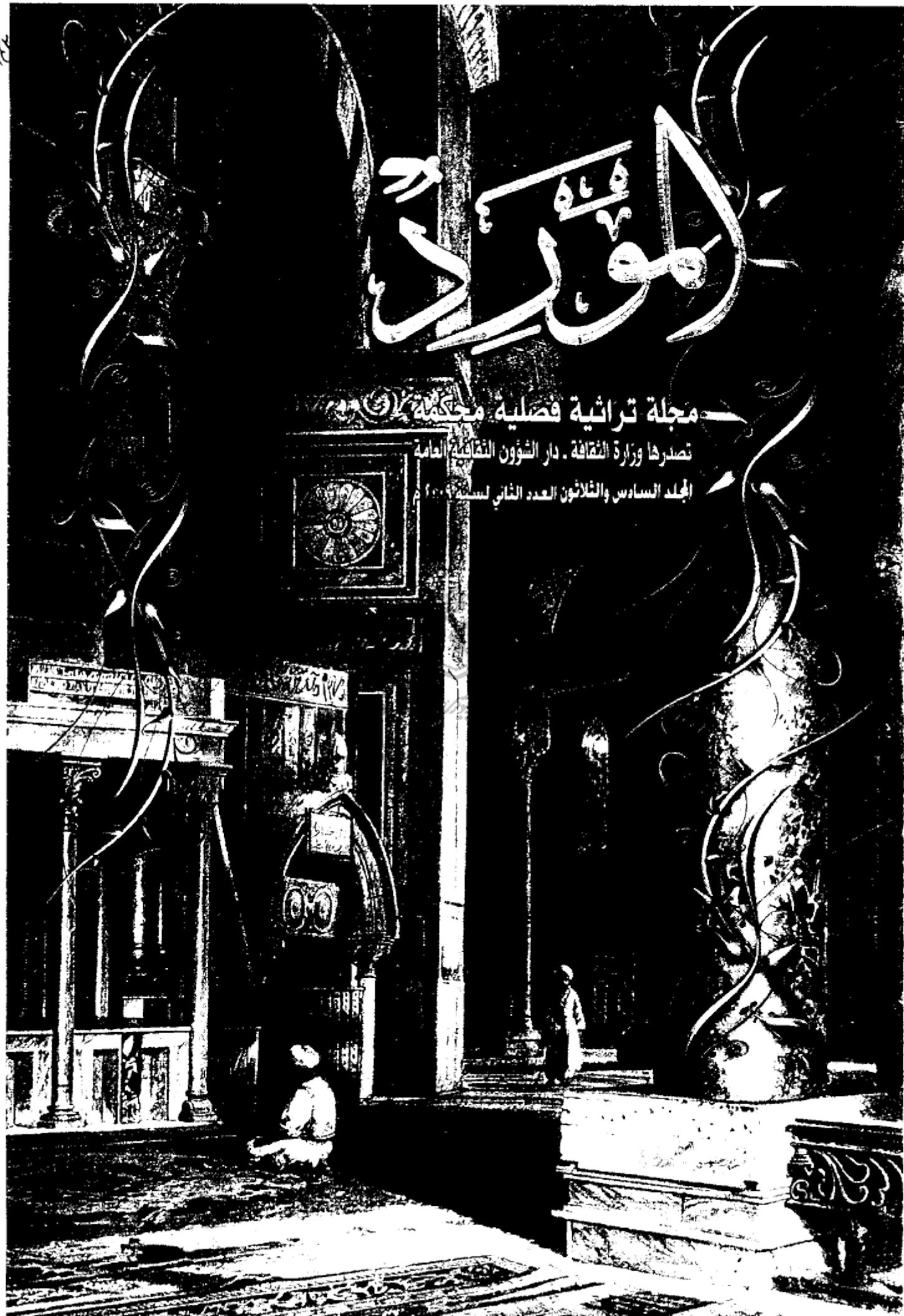


الموقف

مجلة تراثية فصلية محكمة

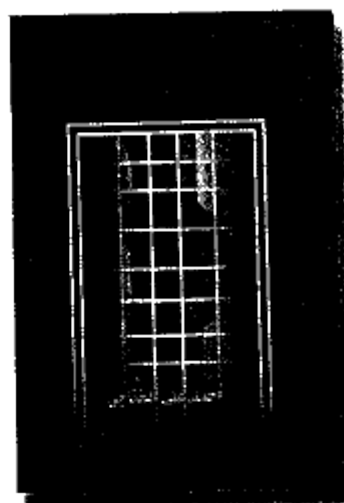
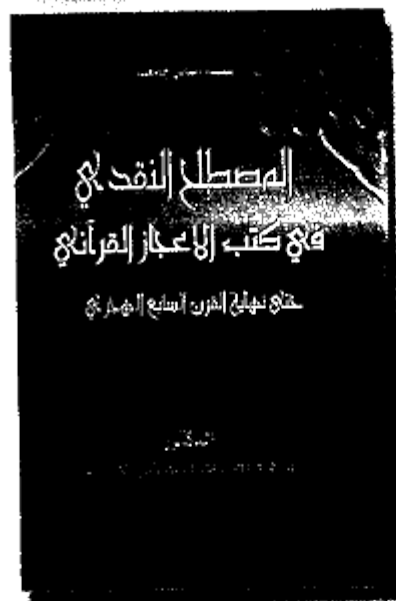
تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد السادس والثلاثون العدد الثاني لسنة ٢٠٠٧ م





صدر حديثاً
عن دار الشؤون
الثقافية العامة



المساحة	1000	1000
عدد السكان	1000	1000
عدد المزارع	1000	1000
عدد المزارعين	1000	1000

المحتوى

— ثقافة المورد مدير التحرير ٣-٤

بحوث ودراسات

- الاضطراب في نسخ كتاب العين ومواده اللغوية د. محمد جبار المعبيد ٥-١٧
- اذن حقيقتها واحكامها وكيفية كتابتها د. محمود جاسم الدرويش ١٨-٢٤
- ثورة الزنج ياسر جاسم قاسم ٢٥-٣٤
- مقدمة في دراسة النشاط التجاري د. سوادى عبد محمد ٣٥-٤٥
- من مظاهر التحديث في ديالى د. طارق نافع الحمداني ٤٦-٥٤
- ابن رشد ومشكلة التقابل المقولي المنطقي د. علي حسين الجابري ٥٥-٦٥
- خصائص مدرسة حنين بن اسحاق في الترجمة د. محمود الحاج قاسم ٦٦-٧٣
- ظاهرة الجنون في الشعر الصوفي د. قيس كاظم الجنابي ٧٤-٨٤
- الاغتراب في شعر المتنبي د. فليح كريم الركابي ٨٥-٩٠
- الشخصية والطبيعة في الشعر القديم د. عبد الفتاح نافع ٩١-١١٩
- مفهوم الشعر عند ابن خفاجة د. يحيى رشيد ١٢٠-١٢٧

شخصية العدد

مصطفى جواد نحويا د. محمد البكاء ١٢٨-١٤٤

عرض ونقد

— من عقوق التلاميذ لاساتذتهم د. عبد الله مسلم ١٤٥-١٤٧

نصوص محققة

- ديوان ابن وفاء الشاذلي القسم الثالث د. عبد الحسن خضير عبيد المحياوي ١٤٨-١٥٩
- علي ابن الغدير الغوي عبد اللطيف حمودي الطائي ١٦٠-١٧٠

اخبار التراث العربي

— اخبار التراث العربي اعداد حسن عريبي الخالدي ١٧١-١٧٦

ثقافة المورد

في اغلب الاحيان نجد انفسنا في وضع لا نحسد عليه بسبب عتاب بعضهم عن حجب نتاجاتهم. وهذا يضعنا في حرج شديد لاننا قد حددنا النتاج الذي يردنا. الا وهو ان يكون على مستوى عالٍ سواء في التحقيق او في الأسلوب الذي يتبعه الكاتب عندما يتناول بحثاً لغوياً. ان نشر النصوص يجب ان تحقق اصالة النص، وان تكون الحقائق التي يتضمنها النص ما زالت صحيحة ولم يثبت بطلانها، او معتمدة على نص سابق لم يستوف شروط البحث العلمي. ان البحث المرسل اليها يجب ان لا يكون قد استهلك من قبل آخرين الا اذا كان للكاتب اراء جديدة فيه. ان "المورد" ومنذ صدورها كانت وما زالت في الصدارة بين المجلات التراثية العلمية التي تصدر في الوطن العربي. لذا نحن نعتذر عن نشر البحوث التي لا تضيف جديداً الى ما هو متداول بين المحققين من دون توثيق علمي للسرد، وملحق للمصادر التي اعتمد عليها الباحث. ان المورد وعلى رأسها د. محمد حسين الاعرجي، وكادر قد اكتسب خبرة كبيرة في مجال التراث والنصوص العلمية التي هي في

صلب الموضوع التراثي. وتسعى لان تكون مصدراً ثقافياً يُعتمد عليه

ان ما يكتب في المورد هو خلاصة ثقافية تتحول الى منهل يغترف منه طلبة العلم من خلال تحقيقات تراثية خاضعة من قبل رئيس التحرير .

ان المورد ومنذ تأسيسها اتخذت طريق المزاجية بين التراثين القديم والحديث في ضوء مستجدات العصر . ولقد حاولنا وما زلنا ان نكون في طليعة المجالات العربية في العالم وبذلك حزننا ثقة مفكريها وكتابها المهتمين بشؤون التراث العربي و الاسلامي .
اننا من خلال هذه المقدمة نحتاج الى كتابات لها طابع السبق كي يستفيد منها طلاب العلم ومن لهم دراية بالبحوث الاسلامية وخاصة التراث الاندلسي اذ مازالت التحقيقات فيه شحيحة .

محمود الظاهر
مدير التحرير



الاضطراب في نسخ كتاب العين ومواده اللغوية

(من القرن الرابع حتى القرن السابع الهجريين)

المرحوم

الدكتور محمد جبار المعبيد

الآخرين الى أن يتساهلوا في نسخه واصلاح ما فيه من اضطراب وأوهام أشار اليها نقاد الكتاب والرافضون له، وادخال مواد لغوية غير موجودة في أصوله التي رويت عن الليث. كما تساهل النساخ في ادخال اصلاحات بعض العلماء وهوامشهم في متن الكتاب. وما أن أطل القرن الرابع الهجري حتى وجدنا (العين) شائعا منتشرا مطلوبا من الجميع، لكنه انتشار مشوب بالحذر، إذ أن فيه مواد كثيرة صحيحة لا اعتراض للعلماء عليها، لكن هناك الى جانبها مواد أخرى امتلأت بالأوهام والاضطراب والتصحيف والتحريف، يعرفها من أتقن صناعته وفنه، وتخفى على من لا دراية له فيهما. وهكذا كان ابن فارس وابن دريد والجوهري أقل نقداً وتعرضاً لمادة كتاب العين اللغوية من الأزهرى والزبيدي الأندلسي وابن جني وأبي علي الفارسي، الذين درسوا الكتاب وتعقبوا مواده اللغوية فأصدروا أحكاماً بشأنه، معتمدين ما لديهم من نسخ العين. وقد ظلت هذه الأحكام - الى عصرنا هذا مثلاً للأمانة العلمية والمتابعة الجادة.

هذا البحث اهتم بنقول علماء القرن الرابع الهجري وما بعده من كتاب العين. ثم أجرى مقارنة بين هذه النقول ونص الكتاب المطبوع، من أجل أن يتعرف على مدى الاختلاف بين هذه المصادر ونصوص الكتاب، ليصل بعد ذلك الى النتيجة التي تقوي نسبة الكتاب الى الخليل أو تضعفها. النصوص التي اعتمدناها في هذا البحث عاش

من خلال متابعتي ما نقل عن كتاب (العين) من نصوص في كتب الأقدمين من القرن الرابع الهجري وما بعده من قرون، وجدت بونا شاسعا واختلافا كبيرا بين نسخ العين التي اعتمدها هؤلاء الأقدمون ونسخة الكتاب المطبوعة. يتمثل هذا الاختلاف في زيادة المواد اللغوية عند بعضهم وإهمالها أو نقصانها عند بعض آخر.

ويعود سبب اضطراب المادة اللغوية في هذا المعجم المبكر في تراثنا اللغوي الى شيوع نسخ الكتاب الأولى وانتشارها من غير رواية عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، باستثناء الرواية المنسوبة الى الليث بن المظفر عنه. ولما كان لغويو البصرة أعرف بالخليل وبترائه اللغوي فأنهم رفضوا الكتاب ولم يروه أحداً منهم، من أصحابه وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه. وكان هذا موقف الكوفيين^(١).

وكانت الطبقة الأولى من رواة الكتاب عن الليث ابن المظفر من أهل فارس، ومن الغمورين منهم^(٢). وعن هؤلاء أخذ أحمد بن فارس اللغوي الكتاب. وهو الوحيد من لغويي القرن الرابع الهجري الذي يشير الى أخذه كتاب العين رواية^(٣). وما عداه من اللغويين فأنهم أخذوا الكتاب من غير رواية، كابن دريد والأزهري والقالبي وأبي أحمد العسكري والصاحب ابن عباد وابن جني وأبي علي الفارسي والجوهري وغيرهم. هذا الرفض من البصريين والكوفيين دفع

ما ينقله من مرويَّاته عن هذه المادة من كتب الآخرين. فالبارع، على حد قول محققه (ص ٦٦): "ليس الأكتاب العين موصولاً". القالي إذا أورد مادة لغوية في كتابه ولم يرد فيها ذكر الخليل فهذا يعني خلوه من نسخة من العين من هذه المادة. ومن خلال منهجه هذا عرفنا ما انفردت به نسخة من مواد لغوية وما أدخلت به من مواد أخرى. وآخر هؤلاء المعجميين هو الصغاني (المتوفى سنة ٦٥٠هـ)، الذي سار - إلى حد ما - على نهج من ذكرنا من اللغويين، في ذكرنا المهمل والمستعمل، في كتابيه (العباب) و(التكملة).

أما غير هؤلاء من أصحاب المعجمات وكتب اللغة فإن نقولهم عن (العين) لم تكن مطردة، بمعنى أنهم ينقلون ما يريدون نقله من مواد (العين) اللغوية ويهملون غيرها من المواد. يشيرون إلى (الخليل أو الليث أو صاحب العين) مرة، وينقلون من (العين) من غير إشارة أخرى. وإفادة هذا البحث من هذه المعجمات كانت عند اشارتها إلى المهمل والمستعمل من مواد (العين) اللغوية.

ابن دريد نقل ثلثي (العين) من غير إشارة، وإهمال مادة لغوية عنده تعني أنها مهمة في نسخة من (العين). ونعثر في (الجمهرة) بحالات نادرة أشار فيها ابن دريد إلى إهمال مادة لغوية في العين، كقوله (١٤٩/٢): "الزحك: الدنو.. وأهمل الخليل هذه الكلمة، وأحسبه غلطاً من الليث". أما ابن فارس فإشارته إلى المهمل والمستعمل ليست مطردة، وإهماله المادة اللغوية في كتابيه (المجمل والمقاييس) يعني متابعتها نسخة من (العين) في هذا الإهمال وابن سيدة لا ينسب في كتابه (الحكم) مادته اللغوية عن (العين) إلا في حالات قليلة يصدرها به (قال الخليل..). أما في كتابه (الخصص) فالقاعدة عنده نسبة مواد اللغوية إلى مصادرها، وهو في كتابه هذا نقل معظم (العين)، ناسباً هذه النقول إلى (صاحب العين)، مما يشير إلى تغيير في موقفه من نسبة الكتاب.

أصحابها بين مطلع القرن الرابع الهجري (أولهم ابن دريد المتوفى ٣٢١هـ) ومنتصف القرن السابع الهجري (آخرهم الصغاني المتوفى ٦٥٠هـ). بين هذين التاريخين عاش لغويون عديدون على رقعة الدولة العربية الإسلامية الممتدة من بلاد ما وراء النهر حتى الجزيرة الخضراء الأندلس. بعض هؤلاء وضع معجماً على غرار العين أو على نمط آخر، وآخرون نقلوا نصوصاً، تقل أو تكثر من الكتاب في ثنايا كتبهم اللغوية. من هؤلاء من نسب الكتاب إلى الليث بن المظفر لقناعة رسمت عنده كالأزهري، أو أنه كان مقلداً من سبقه في هذه النسبة كالصغاني. ومنهم من نسب الكتاب ونصومه إلى الخليل، ربما عن اعتقاد أو لأن الكتاب يحمل اسم الخليل، كابن دريد والجوهري والصاحب بن عباد. وهناك قسم ثالث أثار أن ينسب النصوص التي ينقلها عن العين إلى (صاحب العين)، كابن سيدة في المخصص.

ما يهم من هؤلاء جميعاً النصوص التي نقلوها في كتبهم عن كتاب العين، الذي اقتنوا نسخة أو نسخاً منه، كي تكون شاهداً للكتاب أو عليه عند إجراء المقارنة بينها وبين ما نسخ من العين.

أصحاب المعجمات كانوا أكثر فائدة لهذا البحث من غيرهم، لكثرة ما ينقلون من نصوص أولاً، ولإشارة بعضهم إلى المهمل والمستعمل من مواد (جذور) الكتاب. وأول هؤلاء أبو منصور الأزهري (المتوفى سنة ٣٧٠هـ) الذي اقتنى غير نسخة من الكتاب^(١)، وأدعها كتابه (تهذيب اللغة) الذي سار فيه على منهج (العين) وطريقته. وكان يشير - في الغالب - إلى المهمل والمستعمل من مواد العين اللغوية. وسار على طريقته هذه الصاحب بن عباد (المتوفى سنة ٣٨٥هـ) في كتابه (الحيط في اللغة)، فأشار - في الغالب أيضاً - إلى العمل والمستعمل من المواد اللغوية. يليه أبو علي القالي (المتوفى سنة ٣٥٦هـ) في كتابه (البارع). فهو ينقل مادة العين اللغوية ثم يلحقها - أو يقدم عليها -



بين مصادر البحث اللغوية وكتاب العين المطبوع، عثرت بـ (٣٥) مادة لغوية مستعملة في المطبوع، أشار الأقدمون إلى اهمالها في نسخهم من العين (انظرها في ملحق البحث ١-). وهذه المواد نجدها في البارع وتهذيب اللغة والمحيط في اللغة فضلاً عن التكملة للصغاني، وهذا يعني أن المعجمات التي من منهجها الاشارة إلى المهمل والمستعمل من المواد اللغوية هي التي أفادت البحث في هذا الجانب.

ويبدو لي أن هؤلاء الأقدمين، أو بعضهم، كانوا يتحرون الدقة في ما ينقلون، ويقتنون النسخ التي يقل فيها الاضطراب. فمادة (علس)، مثلاً، نجدها في كتاب العين (٢٧٨/٢) على النحو التالي: (علس: قال

عرام: علست الشيء: مارسه بشدة).
الصاحب بن عباد في المحيط (٢٥٥/٢) قال: (علس

الشيء: مارسه بشدة، وأهمله الخليل).

وهذا يعني أن هذه المادة مهمة في نسخة الصاحب من العين. وإذا رجعنا إلى المعجمات الأخرى نجد الآتي: لم يدرج هذه المادة في معجمه كل من: ابن دريد والقيالي والأزهري وابن فارس وابن سيده. هل هي مهمة في نسخهم من العين؟ أقول: يبدو كذلك، ولكن الأهم من هذا كله أن المادة اللغوية من (علس) منقولة عن (عرام) فقط. وعرام هذا أعرابي من رجال القرن الثالث الهجري عاش حتى منتصفه^(٥)، فكيف ينقل الخليل أو الليث عنه؟ ومثلها مادة (هلمع ٢٨١/٢) فهو ينقلها عن عرام فقط، مع أن الصاحب (المحيط ٢٥٨/٢) أشار إلى اهمالها عند الخليل.

اذن هناك مواد لغوية أدخلت على الكتاب بعد روايته عن الليث أو بعد وفاته، تزداد كلما بعد الزمن عن الليث أو الخليل وكثرت النسخ المضطربة بأيدي العلماء. فمادتنا (زلغ وقشذ) الموجودتان في نص العين المطبوع (٢٨٤/٤ و ٣٥/٥) لا تردان في نسخة الصغاني التي أفاد منها في معجميه (العباب) و(التكملة). فمادة (زلغ) نقلها في (العباب - حرف الغين - ص ٤٤) عن

أما غير من تقدم من المعجميين واللغويين فكانت نقولهم عن (العين) أقل بكثير، مما جعلنا نترصد هذه النقول ونبذل جهداً كبيراً في العثور عليها ومقارنتها مع كتاب (العين) المطبوع.

بعد استقراء المعجمات المذكورة وكتب اللغة، وجدت هذه المعجمات وهذه الكتب تختلف فيما بينها في زيادة موادها (= جذورها) اللغوية ونقصانها، فضلاً عن اختلافها مع نص (العين) المطبوع. وهذا يشير إلى خلل واضطراب في هذه النسخ جميعها وعدم وجود نسخة أو نسخ يمكن عدّها نسخاً مروية عن علماء لغة كبار يشار إليهم، وإنما هناك نسخ تفردت كل نسخة بشيء لا نجده في الأخرى. وهذا الاضطراب يتمثل في:

(١) وجود مواد لغوية مستعملة في العين المطبوع

أشار الأقدمون إلى اهمالها في نسخهم من الكتاب.

(٢) هناك مواد لغوية مهمة في العين المطبوع أشار

الأقدمون إلى استعمالها في نسخهم من الكتاب، وهو خلاف ما تقدم.

(٣) هناك نصوص من العين تشكل جزءاً من مواد

لغوية، لم ترد في العين المطبوع، وجدت في المصادر التي ذكرناها، وتشكل جزءاً تاسعاً للكتاب.

(٤) أدخل المحققان الفاضلان في الكتاب مواد لغوية

ظلتها ساقطة من نسخته، من مصادرهما، ولا سيما مختصر العين لأبي بكر الزبيدي. وهما بذلك فعلاً ما فعل بعض قدماء النساخ عندما أدخلوا على الكتاب ما ليس منه.

(٥) انفراد كتاب العين المطبوع بمواد (= جذور)

لغوية لم ترد في المعجمات المؤلفة في القرن الرابع الهجري، كالجوهرة وتهذيب اللغة والصحاح والمجلد والمقاييس وغيرها.

هذه الأمور وغيرها مما سيرد في هذا البحث تشكل العلامات الأكثر وضوحاً في هذا الاضطراب الذي اكتنف كتاب العين مخطوطاً ومطبوعاً. واليك تفصيل ما تقدم:

أولاً من خلال المقارنات والمقابلات التي أجريناها



الأزهري مشيراً إلى عدم وجودها في نسخته من كتاب الليث. ومادة (قشذ) نقلها في التكملة (٢٨٨/٢) عن الأزهري أيضاً ولم ترد في نسخته.

ثانياً - وبخلاف ما تقدم، نجد أن كتاب العين المطبوع أهمل (٤٧) سبعا وأربعين مادة لغوية أشار الأقدمون إلى استعمالها في نسخهم من الكتاب (انظرها في ملحق البحث - ٢). وهذه أمثلة مفصلة من هذا الملحق:

(أ) مادة (سعو)، مثلاً، مهمة في العين المطبوع. أشار إلى إهمالها في نسخته صاحب في المحيط (١٨٣/٢)، ونقل الأزهري هذه المادة (٩٣/٢) عن ابن الأعرابي، وهي إشارة منه إلى إهمالها في نسخته من العين. بينما انفرد ابن دريد (الجمهرة ٢٤/٢) بنقلها عن الخليل، قال (السعو: الشمع في بعض اللغات، جاءت عن الخليل وغيره). هذا الانفرد يشير إلى أن نسخة ابن دريد تزيد في بعض موادها عن نسخ اللاحقين من اللغويين، وعن ابن دريد نقلها ابن فارس في المجمل.

(ب) مادة (ضطن) مهمة في العين المطبوع والجمهرة ومقاييس اللغة والمجمل^(١). لكن الأزهري في التهذيب (٤٩١/١١) ينقل عن العين مادة يعزوها إلى الليث كعادته، يقول: (قال الليث: الضيطن والضيطنان: الرجل الذي يحرك فكاه وجسده حين يمشي مع كثرة لحم. يقال: ضيطن الرجل ضيطنة وضيطاناً إذا مشى تلك المشية). من هذا نقول: إن نسخة الأزهري، أو نسخته بعبارة أصح، تختلف عن النسخ التي سبقتها أو التي لحقت في زيادة مادتها.

(ج) مادة (برشق) الرباعية مهمة في العين المطبوع، وانفرد القالي (البارع ٥٢٢) بنسبة مادتها إلى الخليل. قال (الخليل: البرشق: الفرع المسرور، يقال: حدثته بحديث فابر نشق به أي فرح وسن). ولم يوردها ابن دريد في مادتها وإنما أوردها في غيرها (٢٩٩/٣). أما الأزهري (٢٨١/٩) فأورد هذه المادة منسوبة إلى الأصمعي: (رجل مبرنشق: فرح مسرور.

قال وحدثت هارون الرشيد بحديث فابر نشق أي فرح و(سـر). ومثله ابن فارس في المجمل (١٤٣/١). يمكننا القول: إن نسخة القالي من العين انفردت بنسبة هذه المادة إلى الخليل، مع خلو غيرها من النسخ منها، وهذه النسبة يمكن التوقف عندها والميل إلى نسبتها إلى الأصمعي، كما فعل الأزهري.

(د) مادة: ضبس مهمة في العين المطبوع، ونص الأزهري (٤٨٦/١١) على إهمالها عند الليث، كما لم ترد عند ابن دريد في الجمهرة. وقد انفرد ابن فارس بنقلها عن الخليل في المجمل (٥٧٢/٢) والمقاييس (٢٨٦/٣)، قال: (قال الخليل: الضبيس: الحريص، والضبيس: القليل الفطنة لا يهتدى لشيء، والضبيس: الجبان).

(هـ) مادة/ ضنط مهمة في العين المطبوع، ونقل ابن دريد (٩٢/٢) مادته عن أبي عبيدة. الأزهري (٤٩١/١١) والصغاني في التكملة (١٤٩/٤) نقلتا مادتهما عن ابن دريد، ابن فارس في المجمل (٥٦٧/٢) والمقاييس (٣٧٣/٣) لم ينسب مادته، وأهملا الجوهر في الصحاح. وقد انفرد الصغاني في العباب (حرف الطاء، ص ١١٧) بنقل مادته عن الليث، قال (الليث: الضناط: الزحام الكثير يزدحمون على بئر أو نحو ذلك، قال رؤبة...).

(و) مادتا/ عيج وجبع مهملتان في العين المطبوع. ذكر إهمالهما في العين الأزهري (٣٨٨٣٨٧/١) والصاحب (٢٩٩/١) وابن فارس في المقاييس (م/عج ٢٠٥/٤)، ولم يدرجهما الجوهر في الصحاح. ومن ذكر أحدى المادتين أو كليهما من غير هؤلاء فإنه لم ينسب مادته. لكن نسخة الكرمل المخطوطة التي طبع عليها الجزء الأول انفردت بذكر المادتين، وعن هذه الطبعة أدخلهما د. عبد الله درويش في طبعته (٢٧٣/١). أما الطبعة الأخيرة فقد خلت منهما من غير ذكر سبب عدم الإدراج.

(ثالثاً) - وهذا الأمر يتعلق بسقوط جزء أو أجزاء من مادة لغوية في العين المطبوع نقلها المتقدمون من اللغويين في كتبهم نقلاً عن نسخ العين التي اعتمدها



في هذا النقل. وهذه المواد تكثر كلما ظهر كتاب لغوي جديد أو جزء من كتاب ظهرت منه أجزاء من قبل، كالعباب للصغاني والمحيط للصاحب وغيرهما. وقد تنبّه المحققان الفاضلان لهذه الزيادات فأدرجا في أجزاء الكتاب الثمانية نصوصا كثيرة أشارا إليها في هوامشهما، وما تبقى مما لم يدرج يشكل جزءا جديدا يضاف إلى الأجزاء الثمانية. وقد اخترت أمثلة من هذه الزيادات التي لم تدرج أريد بها تبسيان الاضطراب في نسخ هذه القرون التي ذكرتها.

(أ) مادة / كبع من العين المطبوع (١٠٨/١) لم يرد فيها هذا النص الذي ذكره ابن دريد (٣١٤/١) عن الخليل، قال (والكبع، ذكر الخليل، أنه المنع، كبعته عن كذا وكذا أكبعه كبعاً إذا منعه عنه ..). كما ذكر هذا النص منسوباً إلى الخليل، الصغاني في التكملة (٣٤٢/٤). ولعله نقله عن الجمهرة، إذ أن الصغاني ينسب نقوله عن العين إلى الليث. ولم يرد هذا النص في المحيط والمقاييس والحكم، ولم ينسب إلى الخليل أو الليث في الجمل والتهديب.

(ب) أورد القالي في (البارع ٢٢٠) النص التالي: (وقال الخليل: الأدرهمام: السقوط من الكبر، قال جرير:

يظل بالباب يرعاها ويأملها

قد ادرهمت وأفنى جسمها الهرم
ويقال: ادرهم ادرهما، قال القلاخ بن حزن المنقري
أنا القلاخ جئت أبغي مقسما
أقسمت لا أسأمت حتى يسأما
ويدرهم كبرا أوهرما

هذا النص لم يرد في مادة / درهم من العين المطبوع، كما لم يرد في الجمهرة والتهديب والجمل والمقاييس. وورد بلا شواهد في الحكم (٣٤٩/٤) ولم ينسب إلى الخليل. هذه الزيادة في (البارع) تشير إلى انفراد نسخة القالي بها.

(ج) ومثله هذا النص من مادة / لخب في التكملة (١٧٤/٢) للصغاني، قال: (وقال الليث: امرأة لخب، بالفتح، قدرة منتنة. وأنشد للعين المنقري:

أستأبن سوداء المحاجر لخب
لها غلبة لخبى ووطب محرم
نص الصغاني هذا انفردت به نسخته من العين، ولم يرد في أي معجم من المعجمات المتقدمة عليه.

(د) وانفرد ابن سيدة في المخصص (١١٦/٨) بعزو هذا النص من مادة / جعل إلى (العين)، مع ملاحظة، أنه لم يرد في النص المطبوع، كما لم يرد منسوباً إلى الخليل أو الليث في ما طبع من معجمات الحقبة التي تدخل في بحثنا. قال ابن سيدة:

(صاحب العين: ماء جعل ومجعل: ماتت فيه الخنافس والجعلان.. وأرض مجعلة: كثيرة الجعلان.. ورجل جعل: أسود دميم شبه به، وقيل هو اللجوج. وقالوا "سك بأمره (بامرئ) جعله"، وذلك أن الرجل يطلب حاجة فإذا خلا ليذكرها جاءه رجل ليطلب مثلاً أو رجل يكره أن يسمعها من الأول، فهو لا يقدر أن يذكر معه شيئاً، فهو جعله. وأنشد:

إذا أتيت سليماً شب لي جعل

ان الشقي الذي يصلى به الجعل)
(هـ) وفي المقاييس، مادة / عير (١٩٢/٤)، انفرد ابن فارس بنسبة هذا النص إلى الخليل، ولم يرد بهذه النسبة في سواه من المعجمات. قال ابن فارس (وقال الخليل: في أمثالهم "جاء فلان قبل عيرو ما جرى" يريدون به السرعة، أي قبل لحظ العين. وأنشد لتأبط شراً:

ونار قد حضأت بعيد هده

بدار ما أريد بسها مقاماً
سوى تحليل راحلة وعير
أغالبه مخافة أن يناما

وهناك نصوص أخرى انفرد بها كل من الأزهري (مادة / بع ١٨٨) والجوهري (مادة / حنظب ١١٣) وأبي عبيد البكري (فصل المقال ٤٥٨) وغيرهم.

(رابعاً) اتسمت النسخة المطبوعة من العين بزيادة في الاضطراب في المادة اللغوية يشبه إلى حد كبير ما أشاعه النساخون الأقدمون من زيادة فيها. فقد تبين للمحققين الفاضلين أن أصحاب المعجمات. قد نقلوا

جـ. اهمال بعض المعجمات المذكورة هذه المواد وعدم ادراجها، مما يشير الى متابعتهم (العين) في الاهمال.

د. عدم نسبة هذه المواد الى أحد من اللغويين.
هـ. لم أجد أي معجم من هذه المعجمات ينسب صراحة أية مادة من هذه المواد الى (العين) أو (الخليل) أو (الليث).

أما المعجمات المؤلفة بعد أبي بكر الزبيدي، كالحكم والخصص لابن سيدة، والتكملة للصغاني، فقد وجدت الآتي:

أ. ابن سيدة ينقل معظم هذه المواد في (الحكم) ولا ينسبها، كعادته في هذا المعجم.
أما اذا ذكرها في (الخصص) فانه يعزوها الى (صاحب العين)، كما وردت في المختصر، مما يجعلنا نميل الى أنه. وهو الأندلسي كالزبيدي. نقلها عن المختصر.

ب. أما الصغاني فانه لا يذكر الليث مصدراً من مصادره في هذه المواد جميعها، باستثناء مادة (عه) التي يشير فيها الى الليث. ويمكن تفسير هذا الأمر بامتلاكه نسخة من العين مكتوبة بعد القرن الرابع دخلتها بعض الزيادات.

وإليك هذه المواد اللغوية ومقابلتها بالمعجمات المؤلفة في القرن الرابع الهجري:

(١) عه (المختصر ٦٧/١)

(أ) أشار الأزهري في التهذيب (٥٥/١) والصاحب في المحيط (٥٦/١) الى اهمالها في العين

(ب) لم يدرجها في معجمه كل من: ابن دريد والجوهرى وابن فارس، مما يعنى متابعتهم العين في الإهمال.

(٢) عكش (١٥٩/١)

(أ) أشار الأزهري (٢٩٥/١) وابن فارس في المقاييس (١٠٨/٤) الى اهمالها في العين.

(ب) لم ينسب كل من ابن دريد (٦١/٣) والصاحب (٢٢٠/١) والجوهرى (١٠١٢/٣) مادته.

(ج) لم ترد (عكش) في المجمل لابن فارس.
(٣) هدع (٩٦/١)

مواد لغوية في معجماتهم من نسخ العين التي يمتلكونها لا توجد في النسخ التي بين أيديهم. فدفعهم هذا. وهو صواب. الى ادخال هذه المواد في مادة الكتاب المطبوع والاشارة الى ذلك. لكنهما لم يشير الى ذلك في مقدمة الكتاب ولم يقدموا الأسس التي بمقتضاها ادخلا هذه المادة أو تلك، مما أوقعهما في ادخال مواد ليست من صلب الكتاب ولا من مادته.

لقد تتبعنا هذه المواد في أجزاء الكتاب الثمانية فوجدت منها ما يقرب من الخمسين مادة أساسية (جذوراً) أو يزيد منقولة عن كتاب (مختصر العين) لأبي بكر الزبيدي. أقول: هذه المواد اللغوية المنقولة عن المختصر ليست من صلب الكتاب ولا من مادته، ذلك أن أبا بكر الزبيدي "عمل في كتاب العين أربعة أمور ليخرج مختصره، هي: أ. تنظيمه، ب. تصحيح المختل والمصحف من مواده، ج. اختصاره، د.

الاستدراك عليه"^(١). والاستدراك تمثل في (١) الزيادة على المواد اللغوية المستعملة (٢) ادخال مواد جديدة (جذور) عدها كتاب العين مهمة. والمحققان الفاضلان ادخلا في كتاب العين ما عثرا عليه من هذه المواد المهمة وعدها من أصل الكتاب، مع أنها من مستدركات أبي بكر الزبيدي.

ولكي ندلل للباحثين على أن هذه المواد مستدركة على العين لا من أصله، رجعنا الى الجزء الأول المطبوع من مختصر العين فوجدنا فيه (٢١) احدى وعشرين مادة لغوية (جذراً) مهمة في العين المطبوع، مستعملة في مختصره. عند مقابلة هذه المواد اللغوية بالمعجمات التي اتخذت (العين) مصدراً من مصادرها قبل أبي بكر الزبيدي أو التي عاصرتة. ولا سيما المعجمات^(٢) المشرقية، وجدت الآتي:

أ. اشارات من هذه المصادر الى ذكر اهمال هذه المادة أو تلك في (العين).

ب. نسبة بعض هذه المواد الى غير الخليل أو الليث، كالأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام والنضر ابن شميل والفراء وغيرهم.



(أ) أشار صاحب (٩٨/١) الى اهمالها في العين.
(ب) نسب الأزهري (١٣٨/١) مادته الى النضر بن شميل.

(ج) لم ينسب كل من ابن دريد والجوهري وابن فارس في معجميه مادتهم.
(٤) زعك (١٦٢/١)

(أ) أشار صاحب (٢٢٤/١) الى اهمالها في العين.
(ب) الأزهري (٣٠٠/١) نقل مادته عن أبي عبيد.
(ج) ابن دريد والجوهري وابن فارس في معجميه لم ينسبوا مادتهم.

(٥) عشن (٢٠٩/١)
(أ) ذكر صاحب (٣٢٧/١) اهمالها في العين.
(ب) أهمل المادة ولم يدرجها في معجمه: ابن دريد وابن فارس في المقاييس.

(ج) الأزهري (٤٣١/١) نسب المادة الى أبي عبيد وأبي الهيثم.
(د) لم ينسب الجوهري وابن فارس في المجمل مادتهما.

(٦) شعن (٢٠٩/١)
(أ) ذكر الأزهري (٤٣٣/١) والصاحب (٣٢٨/١) اهمالها في العين.
(ب) أهمل ابن دريد المادة ولم يدرجها في معجمه.

(ج) لم ينسب مادته: الجوهري وابن فارس في معجميه.
(٧) صعن (٢٣٧/١)

(أ) ذكر الأزهري (٣٥/٢) اهمال المادة في العين، ونقلها عن أبي عبيد.

(ب) ابن دريد أهملها ولم يدرجها.
(ج) لم ينسب مادته كل من: صاحب الجوهري وابن فارس في معجميه.

(٨) صعف (٢٣٩/١)
(أ) الأزهري (٤٤/٢) والصاحب (٣٩٢/١) ذكرا

اهمال المادة في العين، ونقلها الأول عن أبي عبيد

والثاني عن الخارزنجي.

(ب) الجوهري (١٣٨٦/٤) نقل مادته عن أبي عبيد.

(ج) ابن دريد وابن فارس في معجميه لم ينسبا مادتهما.

(٩) فعص (٢٣٩/١)
أهمل المادة ولم يدرجها في معجمه كل من: ابن دريد والأزهري والصاحب والجوهري وابن فارس.

(١٠) سعب (٢٦٤/١)
(أ) الأزهري (١١٩/٢) والصاحب (٤٣٦/١) ذكرا

اهمال المادة في العين.
(ب) أهمل ابن فارس المادة ولم يدرجها في معجميه.

(ج) لم ينسب ابن دريد والجوهري مادتهما.
(١١) معس (٢٦٧/١)

(أ) الأزهري (١٢٨/٢) والصاحب (٤٤١/١) ذكرا

اهمال المادة في العين.
(ب) لم ينسب ابن دريد مادته.

(ج) نقل ابن فارس مادته في المجمل عن ابن دريد.

(د) لم ينسب الجوهري وابن فارس في المقاييس مادتهما.
(١٢) مسع (٢٦٨/١)

(أ) ذكر الأزهري (١٢٨/٢) والصاحب (٤٤١/١) اهمال المادة في العين.

(ب) أهمل ابن فارس في المقاييس هذه المادة ولم يدرجها.

(ج) لم ينسب ابن دريد والجوهري وابن فارس في المجمل مادتهم.
(١٣) زعف (٢٧٥/١)

(أ) ذكر الأزهري (١٤٥/٢) والصاحب (٤٥٥/١) اهمال هذه المادة في العين.

(ب) لم ينسبها الى العين كل من: ابن دريد والجوهري وابن فارس في معجميه.



(١٤) عذب (٢٠٥/١)

(أ) ذكر الأزهرى (٢٣٩/٢) والصاحب (٢١/٢)

وابن فارس في المقاييس (٢٥٢/٤) أهمل هذه المادة في العين.

(ب) لم ينسب مادته الى العين: ابن دريد

والجوهري وابن فارس في المجمل.

(١٥) نعد (٢٩٣/١)

(أ) نقل الأزهرى (١٩٨/٢) مادته عن أبي عبيد

عن الأصمعي.

(ب) ونقلها الصاحب (١٠/٢) عن الخارزنجي.

(ج) أهمل ابن فارس في المقاييس هذه المادة

ولم يدرجها.

(د) ابن دريد وابن فارس في المجمل لم ينسبا

مادتهما.

(١٦) عرت (٣١٠/١)

(أ) ذكر الصاحب (٣٥/٢) أهمل المادة في العين.

(ب) أهمل الأزهرى المادة ولم يدرجها.

(ج) لم ينسب ابن دريد والجوهري وابن

فارس في معجميه مادتهما.

(١٧) عظر (٣١٨/١)

(أ) ذكر الصاحب (٤٩/٢) أهمل المادة في العين.

(ب) نقلها الأزهرى (٢٩٦/٢) عن أبي عبيد

عن أبي الجراح.

(ج) أهملها الجوهري وابن فارس في معجميه

ولم يدرجها.

(د) ذكر ابن دريد (٢٧٧/٢) الجذر ولم يذكر

فيه مادة.

(١٨) ننع (٣٣٤/١)

(أ) نقل الأزهرى المادة (٣٣١/٢) عن ابن

الأعرابي وأبي زيد.

(ب) المادة مهملة وغير مدرجة عند: ابن

دريد والصاحب والجوهري وابن فارس.

(١٩) رنع (٣٤٠/١)

(أ) أشار الأزهرى (٣٤٣/٢) والصاحب (٨٨/٢)

الى اهمالها في العين.

(ب) أهمل المادة ولم يدرجها: ابن دريد

والجوهري.

(ج) نقل ابن فارس في المجمل (٤٠١/٢)

والمقاييس (٤٤٥/٢) مادة أخرى ليست مادة العين.

(٢٠) ملع (٣٦٧/١)

(أ) أشار الأزهرى (٤٢٦/٢) الى اهمالها في العين.

(ب) لم ينسب مادته اللغوية الى العين كل من:

ابن دريد والصاحب والجوهري وابن فارس في

معجميه.

(٢١) عمن (٣٧١/١)

لم ينسب أحد من أصحاب المعجمات هذه المادة

الى العين.

من خلال ما تقدم، يمكننا القول: ان هذه المواد

(=الجزور) اللغوية المذكورة في مختصر العين،

والمهملة في كتاب (العين) المطبوع ليست من أصل

الكتاب ولا من مادته. وقد أشار الأزهرى والصاحب

الى اهمال نحو (١٧) سبع عشرة مادة منها في نسخهم

من كتاب العين، فضلاً عن عدم ادراجها أكثر

المتبقي منها في معجميهما أو الإشارة الى كونها

مستعملة في العين. وهذا يقودنا الى أن ادخال

محققى كتاب العين الفاضلين لمواد من المختصر في

العين أمر زاد في اضطراب الكتاب وتضخمه وأبعده

عن أن يكون مشابهاً لأية نسخة أخرى قديمة أو

حديثة.

(خامساً) وهذا الأمر يتعلق بمواد لغوية انفرد

بها كتاب العين المطبوع، ولم ترد في أهم معجمات

القرن الرابع الهجري، وهي: (١) الجهرة. (٢)

التهذيب. (٣) الصحاح. (٤) المجمل. (٥) المقاييس.

مع ملاحظة: (أ) ان هذه المواد لم ترد في البارع

للقالى لنقص النسخة المطبوعة. (ب) لم يتيسر لي

معرفة اهمالها أو استعمالها في (المحيط) للصاحب



الحقيقي ونقصان مادته اللغوية واضطرابها، كان عرضة لزيادات النساخ وغيرهم. وهذه الزيادات كانت في الأصل حواشي العلماء واستدراكاتهم على الكتاب، وضعوها لتقريبه من الكمال وتزيل شيئا من اضطرابه. هذه الزيادات كانت في نسخ دون النسخ الأخرى، وقد تبينا هذا من خلال نسخ العلماء، لاسيما أصحاب المعجمات. فنسخة ابن دريد غير نسخة الأزهرى، ونسخة ابن فارس لا تشبه نسخة صاحب بن عباد. كل نسخة من نسخ هؤلاء العلماء تتسم بزيادة في المادة اللغوية أو زيادة في الجذور ونقصانها. وكانت النتيجة أن اختلفوا في المهل والمستعمل من الجذور. كما تبين لنا أن النسخة المطبوعة انفردت بجذور لغوية لم نجدها في نسخة من نسخ القرن الرابع الهجري. كما زيدت على هذه الطبعة جذور من (مختصر العين) لا توجد في النسخ الأخرى لعلماء هذا القرن ولا في نسخ الكتاب المخطوطة التي وصلت إلينا. هذا الاضطراب الذي ساد نسخ العين طوال هذه القرون يؤكد حقيقة لا يشك فيها أحد، هي أننا أمام كتاب فقد هويته، وليس في مادته ما يساعد على تلمس حقيقة مؤلفه. مما يجعلنا نتردد كثيرا قبل أن ننسبه إلى أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي.

لكون هذه المواد تقع في ما لم يطبع من الكتاب. والمواد المذكورة هي: (تقرر/و/ دسك/ و/ دقط/ رخذ/و/ مصك/ و/ مضد/ و/ نحص/ و/ ندخ/ و/ ردق/ و/ زقد/ و/ ضلج/ و/ غثن/ و/ هدش/ و/ جتل/ و/ ظبا/) وغيرها مما يمكن أن يكون قد فاتني.

والسؤال هو: إذا كانت هذه المواد (= الجذور) جزء من كتاب العين المروي عن الليث أو الخليل لم أهملتها هذه المعجمات تماما لم تدرجها في متونها مع الإشارة إلى صواب هذا الإدراج أو خطئه؟ ألا يشير إهمال هذه المواد إلى أن نسخ العين التي اعتمدها هؤلاء اللغويون كانت تخلو منها مما جعلهم يتابعون ما في نسخهم؟.

ما أراه أن هذه المواد اللغوية وغيرها أدرجت في نسخ العين بعد القرن الرابع الهجري، لاسيما أن الأزهرى، الذي كان يتابع أخطاء الكتاب ويترد عليها ويصحح ما فيها من تصحيف وتحريف، لا تفوته مثل هذه المواد.

لقد دخلت هذه المواد وغيرها، في ظني، في نسخ العين المتأخرة من خلال بعض ردود اللغويين عليه واستدراكهم. ومن هؤلاء الخارزنجي الذي أفاد منه صاحب في (المحيط)، وأبو بكر الزبيدي الذي اختصر العين فأدخل فيه من المواد ما أراد بها أن يتمم الكتاب ويبعد عنه النقص. أقول: لقد أفاد النساخ من هذه الردود والاستدراكات فأدخلوها في الكتاب جهلا بمنهج. وعندما وقعت هذه النسخ بأيدي بعض العلماء نقلوا منها ظنا منهم أنها من أصل الكتاب.

الخاتمة

ظهر لنا، من خلال ما طرحه هذا البحث، أن كتاب العين، بسبب عدم روايته عن مؤلفه

الملحق رقم (١) المواد اللغوية المستعملة في (العين) المطبوع
أشارت المعجمات الى اهمالها

المادة اللغوية	موضعها من كتاب العين	المصادر التي أشارت الى اهمالها في (العين)
١- تغر	٣٩٦/٤	البارع ٢٩٣
٢- جضض	٥/٨	تهذيب اللغة ٤٤٦/١
٣- دثث	٥/٦	تهذيب اللغة ٥٩/١٤
٤- زيق	٩٣/٥	تهذيب اللغة ٤٣٨/٨
٥- زغر	٣٨٣/٤	البارع ٢٩٨
٦- زلغ	٣٨٤/٤	العباب (حرف الغين) ٤٤ (ونقل مادته عن التهذيب).
٧- زنج	٧١/٦	تهذيب اللغة ٦٢١/١٠
٨- زهنع	٢٧٩/٢	البارع ١٨٥
٩- سرهد	١٢٠/٤	البارع ٢١١
١٠- سلهب	١٢٢/٤	البارع ٢٠٥
١١- شجذ	٣٠/٦	تهذيب اللغة ٥٢٤/١٠
١٢- صند	١٠٠/٧	تهذيب اللغة ١٤٤/١٢
١٣- ضيز	٥٣/٧	تهذيب اللغة ٥٢/١٢
١٤- عبهل	٢٨٢/٢	البارع ١٨٨
١٥- عثل	١٠٩/٢	تهذيب اللغة ٣٢٨/٢ ومخطوطتا (الصدر) و (طهران) ٠
١٦- عضر	٢٧٧/١	تهذيب اللغة ٤٧٢/١
١٧- علهس	٢٧٨/٢	المحيط في اللغة ٢٥٥/٢
١٨- عنش	٢٥٩/١	تهذيب اللغة ٤٣٣/١
١٩- قتل	١٣٧/٥	تهذيب اللغة ٨١/٩
٢٠- قشذ	٣٥/٥	التكملة للصغاني ٣٨٨/٢
٢١- قهم	٣٧٢/٣	تهذيب اللغة ٤/٦
٢٢- كذب	٣٣٢/٥	تهذيب اللغة ١٢٥/١٠
٢٣- كوش	٣٨٨/٥	تهذيب اللغة ٣٠٦/١٠
٢٤- لخف	٢٦٥/٤	تهذيب اللغة ٣٩٢/٧
٢٥- مذع	١٠٤/٢	تهذيب اللغة ٣٢٤/٢
٢٦- معل	١٥٤/٢	المحيط في اللغة ١٢٨/٢
٢٧- ملد	٤٨/٨	تهذيب اللغة ١٣٣/١٤
٢٨- نخط	٢٢٠/٤	تهذيب اللغة ٢٤٠/٧
٢٩- هبش	٤٣/٣	تهذيب اللغة ٩٠/٦
٣٠- هكر	٣٧٥/٣	تهذيب اللغة ١١/٦
٣١- هلبت	١٢٧/٤	البارع ٢١٠



المحيط في اللغة ٢٥٨/٢	٢٨١/٢	٣٢ - هلمع
البارع ١٩٥	١١٨/٤	٣٣ - هملج
تهذيب اللغة ٦٠٥/٧	٣١٥/٤	٣٤ - ونج
المحيط في اللغة ٢٣٣/٢	٢٦١/٢	٣٥ - يفح

الملحق رقم (٢) المواد اللغوية المهمة في (العين) المطبوع أشارت المعجمات وكتب اللغة الى استعمالها فيه

المادة اللغوية	المصدر	المكان المفترض للمادة في (العين) المطبوع
١- برشق	البارع ٥٣٢	٢٤٤/٥
٢- تغلق (?)	تهذيب اللغة ٥٨/٢	٢٦١/٥
٣- جاذ	تهذيب اللغة ١٦٨/١١	١٧١/٦
٤- جبع	نسخة (الكرملی) المخطوطة، وعنها في طبعة (درويش).	٢٣٧/١
٥- جخجب	شرح مايقع في التصحيف والتخريف والتسبي على طرث الضيف ١٢٢/٨٤	٣٢٧/٤
٦- جصص	تهذيب اللغة ٤٤٨/١٠	٥/٦
٧- حبا	تهذيب اللغة ٣٣٧/٥	٣٠٨/٣
٨- حتش	تهذيب اللغة ١٧٥/٤	٩١/٣
٩- حكص	تهذيب اللغة ٩١/٤	٥٩-٥٨/٣
١٠- خذن	تهذيب اللغة ٣٢٤/٧	٢٤٤/٤
١١- دشش	تهذيب اللغة ٣٦٨/١	٢١٣/٦
١٢- دعط	تهذيب اللغة ١٩٦/٢	٣٠/٢
١٣- دنس	تهذيب اللغة ٣٦٦/١٢	٢٣٠/٧
١٤- رغغ	تهذيب اللغة ٦٦/١٦، والعباب (حرف الغين) ٣٩	٣٤٧/٤
١٥- رفج	تهذيب اللغة ٤٨/١١	١٠٩/٦
١٦- زلب	تهذيب اللغة ٧١٤/١٣	٣٦٩/٧
١٧- سعو	الجمهرة ٣٤/٣	٢٠٢/٢
١٨- شقن	تهذيب اللغة ٣٣١/٨	٤٣-٤٢/٥
١٩- شلج	تهذيب اللغة ١٨٣/٤ والتكملة ٥٤/٢، والعباب (حرف الطاء) ١٠٢	٩٤/٣
٢٠- صبخ	التكملة ١٥٥/٢	١٨٩/٤
٢١- صئر	تهذيب اللغة ١٥٩/١٢	١٠٨/٧
٢٢- صبس	مقاييس اللغة ٣٨٦/٣ والمجمل ٥٧٢/٢	٥٧٢/٢
٢٣- ضطن	تهذيب اللغة ٤٩١/١١	٢٢/٧
٢٤- ضمغ	البارع ٢٦٩-٢٧٠، والمحكم ٢٤٩/٥ والعباب (حرف الغين) ٦٠	٣٧٠/٤

٢٥- ضنط	العباب (حرف الطاء) ١١٧	٢٣-٢٢/٧
٢٦- طسق	تهذيب اللغة ٣٩٤/٨	٧٣/٥
٢٧- عيج	نسخة (الكرملی المخطوطة) ، وعنها في طبعة (درويش).	٢٣٧/١
٢٨- عضط	الجمهرة ٩٢/٣	٦/٢
٢٩- عقس	تهذيب اللغة ١٨١/١	١
٣٠- قاب	تهذيب اللغة ٣٥٣/٩	٢٣١-٢٢٧/٥
٣١- قزبر	التكملة ١٦٦/٣	٢٥٥-٢٥٤/٥
٣٢- قشد	تهذيب اللغة ٣٠٩/٨	٣٣/٥
٣٣- قوع	تهذيب اللغة ٣٣/٣	١٧٤/٢
٣٤- كبص	تهذيب اللغة ٤٣/١٠	٣٠٤-٣٠٣/٥
٣٥- لحت	تهذيب اللغة ٩٦/٤	٦١/٣
٣٦- كحص	تهذيب اللغة ٩١/٤	٥٨-٥٧/٣
٣٧- كذن	تهذيب اللغة ١٦٦/١٠	٣٤٧/٥
٣٨- كسم	تهذيب اللغة ٨٥/١٠	٣١٧/٥
٣٩- كيع	الاقتضاب للبطلبوسي ١٨٢/٢	١٨٢/٢
٤٠- لضم	تهذيب اللغة ٤٢/١٢	٤٥/٧
٤١- مدج	تهذيب اللغة ٦٧٦/١٠	٩٠/٦
٤٢- نظح	تهذيب اللغة ٤٥٨/٤	١٩٨/٣
٤٣- نفص	تهذيب اللغة ٢٠٥/١٢	١٣٥/٧
٤٤- همن	تهذيب اللغة ٣٣٢/٦	٦٠/٤
٤٥- هنك	تهذيب اللغة ٢٤/٦	٣٧٩/٣
٤٦- يلخ	تهذيب اللغة ١٨٢/٣	٢٤٤/٢
٤٧- يرع	تهذيب اللغة ٥٨٦/٧ والتكملة ١٨٧/٢	٣١٠/٤

هوامش البحث

خلال رواية أبي تراب اسحاق ابن الفرج (المتوفى مطلع القرن الرابع) عنه، (انظر / مقدمة محقق الجزء ١٦ من كتاب تهذيب اللغة، ص ٥). ذكر عرام في (العين) لا يخرج عن كونه تعليقا على مادته اللغوية، تصويبا أو زيادة، مما يدل على أنه قد أطلع على نسخة من العين في الخزنة الطاهرية وسجل عليها هذه التعليقات، لا كونه راوية روى عنه الخليل أو الليث في الكتاب. وتعليقاته لا تخرج عن مثل هذا التعليق. ففي مادة (خلع) من العين (١١٩/١):

- (١) انظر بحثنا: كتاب العين وموقف علماء اللغة منه حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مقبول للنشر.
- (٢) المصدر نفسه.
- (٣) انظر مقدمة ابن فارس لكتابه (المقاييس في اللغة).
- (٤) تهذيب اللغة ٢٦٤/٣ و ٤١٤/٤ و ٢٧١/٦ و ٢٧٦/١١.
- (٥) هو عرام بن الأصبغ الأسلمي (أو السلمي) صاحب كتاب (أسماء جبال تهامة .. المطبوع. قدم مع عبد الله بن طاهر خراسان بعد سنة ٢١٧هـ، وبقي فيها الى منتصف القرن الثالث الهجري، عرفنا ذلك من



عباد.
(٧) نعمة رحيم العزاوي: أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في اللغة والنحو، ص ٤٦٥.
(٨) هذه المواد اللغوية لم ترد في نسخة البارغ المطبوعة، لأنها طبعت عن نسخة مخطوطة ناقصة، كما أسلفنا.

(والخليع: من أسماء الغول، قال عرام: هي الخلوغ لأنها تخلع قلوب الناس، ولم يعرف الخليع). تعليقات عرام هذه دخلت الكتاب. فيما أرى. بعد وفاة الليث.
(٦) ولم ترد في (البارغ) للقالي، لنقص النسخة المخطوطة التي طبع عليها الكتاب، كما تقع هذه المادة في ما لم يطبع من كتاب (المحيط) للصاحب بن



مصادر البحث ومراجعته



محمد
حسن آل ياسين، بغداد (وزارة الثقافة والاعلام) ١٩٧٧-١٩٨٧،
ظهر منه: حرف الهمزة، والسين، والطاء، والغين، والفاء.
١١. العين: للخليل بن أحمد الغراييدي (٩)، تحقيق: د. مهدي
المخزومي. ود. ابراهيم السامرائي، بغداد (وزارة
الثقافة والاعلام) ١٩٨٥-٨٠.
والجزء الأول منه بتحقيق: د. عبد الله درويش، بغداد ١٩٦٧
١٢. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: لأبي عبيد البكري،
تحقيق: د. احسان عباس ود. عبد المجيد عابدين،
بيروت ١٩٧١
١٣. مجمل اللغة: لأحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن
سلطان، بيروت ١٩٨٤.
١٤. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: لابن سيدة، تحقيق:
مصطفى السقا ود. حسين نصار وآخرين، القاهرة
(معهد المخطوطات) ١٩٥٨-١٩٧٢، الأجزاء: (٦١).
١٥. المحيط في اللغة: للصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد
حسن آل ياسين، بغداد (وزارة الثقافة والاعلام) ١٩٨٧٥
(ظهرت منه ثلاثة أجزاء).
١٦. مختصر العين: لأبي بكر الزبيدي الأشبيلي، تحقيق: د.
صلاح مهدي الفرطوسي، بغداد (وزارة الثقافة
والاعلام) ١٩٩١ (الجزء الأول).
١٧. المخصص: لابن سيدة، بولاق (المطبعة الاميرية) ١٣١٦.
١٢٢١هـ
١٨. مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام
هارون، القاهرة ١٩٦٩ وما بعدها.

١. أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في اللغة والنحو: د. نعمة
رحيم العزاوي النجف الأشرف ١٩٧٥
٢. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: لابن السيد البطليوسي،
بغداد. وزارة الثقافة والاعلام ١٩٩٠ (طبعة مصورة عن
الطبعة المصرية)
٣. البارغ في اللغة: لأبي علي القالي، تحقيق: د. هاشم
الطعان، بيروت ١٩٧٥.
٤. التكملة والذيل والصلة: للحسن بن محمد الصغاني،
تحقيق: عبد العليم الطحاوي وآخرين، القاهرة (مجمع
اللغة العربية) ١٩٧٠-١٩٧٩
٥. التنبيه على حدوث التصحيف: لحمزة الاصفهاني،
تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد (مكتبة
النهضة) ١٩٦٧
٦. تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهرى، تحقيق: عبد السلام
هارون وآخرين، ١٥ جزء، القاهرة (الدار المصرية) ١٩٦٤
وما بعدها. وهناك جزء مستدرج على التهذيب
بتحقيق: د. رشيد العبيدي، رمزنا له بالجزء السادس
عشر. طبع في الدار نفسها ١٩٧٥.
٧. جهمرة اللغة: لأبي بكر بن دريد، تحقيق: فرايتزكرنكو،
الهند (حيدر آباد) ١٣٤٤هـ
٨. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: لأبي أحمد
العسكري، تحقيق: د. السيد يوسف، دمشق (مجمع اللغة
العربية) ١٩٨١
٩. الصحاح في اللغة: لأبي نصر الجوهري، تحقيق: أحمد عبد
الغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦.
١٠. العباب الزاخر واللباب الفاخر: للصغاني، تحقيق: الشيخ



إِذَنْ

حقيقتها واحكامها وكيفية كتابتها

المرحوم

الدكتور محمود جاسم الدرويش

المقدمة

إذن: من الحروف التي تنصب الفعل المضارع بنفسها مباشرة لا بحرف آخر ظاهر أو مقدر. وقد تباينت آراء علماء النحو في (إذن)، في مادتها وفي معناها وفي أحكامها وفي كيفية كتابتها. وقد وجدت من المناسب أن أخص (إذن) ببحث نقف فيه على دقائقها، وبيان آراء النحاة فيها.

وسأحاول أن أذكر آراء النحاة في كل فقرة من فقرات البحث، ثم أرجح الرأي الذي أراه أفضل من غيره أو ما هو أقرب إلى المعقول. ودارسو النحو قبلهم يدركون أن هناك بونا كبيرا بين ما وضعت النحاة من أفكار مغرقة في الاستدلال والتعليل والتخيل المستند إلى مقولات المنطق أو علم الكلام، وبين ضرورات التطور اللغوي بوصفه واقعا حيا يتطور بتطور المجتمعات ذاتها.

أرجو من الله تعالى أن يوفقني في بحثي هذا وأن يجعله نافعا

نوعها (١)

مذهب جمهور النحاة أن (إذن) حرف بسيط^(١). وقال بعض الكوفيين إنها اسم^(٢). وقال أبو حيان الأندلسي: إنها ظرف^(٣). وقال سيبويه^(٤): إنها حرف جامد. وقيل إنها بسيطة غير مركبة^(٥). وقال الخليل^(٦): إنها مركبة من (إذ) و (أن)، وغلب عليها حكم الحرفية. وقيل: إنها مركبة من

(إذا) و (أن)^(٧). والأصل في: إذن أكرمك، إذا جئتني أكرمك، ثم حذفت الجملة وعوض التنوين منها وأضمرت (أن). وقال ابن هشام^(٨): وعلى القول الأول فالصحيح أنها بسيطة لا مركبة من (إذ) و (أن)، وعلى البساطة فالصحيح أنها الناصبة بنفسها لا ب (أن) مضمرة بعدها. وهذا ما ذهب إليه المرادي^(٩) أيضاً.

وقال سيبويه^(١٠): إنها حرف جواب وجزاء. أقول: إن (إذن) حرف بسيط غير مركب ذو حروف ثلاثة، ينصب الفعل المضارع بنفسه، وما جاء من آراء تقول بتركيبها فهي غير مستندة إلى أدلة عقلية، وهي من باب التخيل والتعقيد.

معناها:

تدل (إذن) على أمرين هما: الجواب، وهذا يلزمها دائماً في كل استعمالاتها. والجزاء، وهذا يلزمها في الأغلب^(١١).

قال سيبويه^(١٢): وأما (إذن) فجواب وجزاء. وقال الشلوبين^(١٣): هي كذلك في كل موضع. وقال أبو علي

الفارسي^(١٤): في الأكثر، وقد تتمخض للجواب بدليل أنه يقال: أحبك، فتقول: إذن أظنك صادقاً، إذ لا مجازاة هنا. وقال الرضي: لأن الشرط والجزاء إما في الاستقبال أو في الماضي، ولا مدخل للجزاء في الحال.

وقال ابن هشام^(١٥): والأكثر أن تكون جواباً لإن أو لو ظاهرتين أو مقدرتين، فالأول: كقول كثير عزة^(١٦):

لَنْ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا

وَأَمْكِنِي مِنْهَا إِذَنْ لَا أَقِيلُهَا

وَقَالَ الْحَمَاسِيُّ^(١٨):

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازَنْ لَمْ تُسَيِّحْ إِلَيَّ

بَنُو اللَّحِيطَةِ مِنْ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ

إِذَنْ لِقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرُ خُشْنٍ

عِنْدَ الْحَفِيطَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَانَا

قال ابن هشام^(١٩): فقولُه (إِذَنْ لِقَامَ بِنَصْرِي) بدل من (لم تستبح)، وبِبدل الجواب جواب. وقال عبد القادر البغدادي^(٢٠): إِنْ (إِذَنْ) متضمنة لمعنى الشرط، وإذا كانت بمعنى الشرط الماضي جاز إجراؤها مجرى (لو) في ادخال اللام في جوابها^(٢١). فجملة (لِقَامَ) جواب (إِذَنْ)، كآتة قيل: ولو استباحوا إليّ مع كوني من بني مازن لِقَامَ بِنَصْرِي.

والثاني^(٢٢) نحو أن يقال: آتَيْكَ، فتقول: إِذَنْ

أَكْرَمَكَ، أي: إن آتَيْتَنِي إِذَنْ أَكْرَمَكَ، وقال تعالى: ((مَا

أَتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَنْ لَذَهَبَ كُلُّ

إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ))^(٢٣).

قال الفراء^(٢٤): حيث جاءت بعدها اللام فقبلها (لو)

مقدرة إن لم تكن ظاهرة.

والمراد من أنها للجزاء - غالباً - دلالتها على أن الجملة التي تحتويها تكون في الغالب مسببة عما قبلها، وتعد أثرًا من آثاره، توجد بوجوده وترتبط به عادة، فإن لم يوجد بين الجملتين جزاء لم يصح - في الغالب - مجيء إِذَنْ، كأن يقول الصديق: سأغضي عن الهفوة، فتجيب: إِذَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ، إِذْ لا علاقة ولا ارتباط بين المعنى في الجملتين، فالكلام

لغو^(٢٥).

وأنا أذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه من أنها تكون جواباً وجزاء (فقد يجتمع فيها هذان، وقد ينفرد أحدهما، فإذا قلت لمن قال لك: أنا أزورك، إِذَنْ أَكْرَمَكَ، فهذا جواب وجزاء، وإذا قلت له: إِذَنْ أَزْرُكَ، فهي جواب خاصة^(٢٦))^(٢٧).

عملها:

إِذَنْ حرف ينصب الفعل المضارع بنفسه مباشرة، وتخليص زمنه للاستقبال، كسائر الأدوات الناصبة له.

ومذهب سيبويه^(٢٨) أن (إِذَنْ) هي العاملة الناصبة. و (إِذَنْ) تنصب الفعل المضارع وجوباً إذا اجتمعت

شروط أربعة:

١- أن يكون الفعل مستقبلاً، فإذا كان حالاً رُفِعَ، كقولك لمن يحدثك: إِذَنْ أَظْنُكَ صادقاً، لأن هذا الظن ليس أمراً

سيتحقق في المستقبل، وإنما هو قائم حاصل وقت الإجابة، فزمنه حالي، وفي هذا تكون (إِذَنْ) ملغاة العمل.

٢- دلالتها على جواب حقيقي بعدها، أو ما هو بمنزلة

الجواب. قال سيبويه^(٢٩): أعلم أن (إِذَنْ) إذا كانت جواباً

وكانت مبتدأة عملت في الفعل عمل أرى في الاسم، إذا كانت

مبتدأة وذلك قولك: إِذَنْ أَجِيئُكَ، وإن آتَيْكَ، وذلك أيضاً

قولك: إِذَنْ وَلِلَّهِ أَجِيئُكَ، والقسم هاهنا بمنزلته في أرى إذا

قلت: أرى والله زيداً فاعلاً.

٣- أن تكون مصدرة في أول الجواب، لأنها حينئذ في أشرف

محالها، فإن تأخرت ألغيت حتماً نحو: أَكْرَمَكَ إِذَنْ، وأن لا

يرتبط ما بعدها بما قبلها في الإعراب، بالرغم من

ارتباطهما في المعنى. وإن توسطت وافترقت ما قبلها لما

بعدها، مثل أن تتوسط بين المبتدأ وخبره، وبين الشرط

وجزائه، وبين القسم وجوابه، وجب إلغاؤها أيضاً

كالمتأخرة. وشدَّ النصب بـ (إِذَنْ) بين خبر وذو خبر في

قول الراجز^(٣٠).

لا تَرْكَبْنِي فِيهِمْ شَطِيرًا^(٣١)

إِنِّي إِذَنْ أَهْلِكُ أَوْ أَطِيرُ

وقد أجاز ذلك الكسائي^(٣٣)، والفراء^(٣٤) حيث قال: وقد تنصب العرب بـ (إذا) وهي بين الاسم وخبره في إن وحدها، فيقولون: إني إذا أضربك. وإنما جاز في (إن) ولم يجز في المبتدأ بغير (إن) لأن الفعل لا يكون مقدماً في (إن) وقد يكون مقدماً لو أسقطت. وفي هذا فإن الفراء يجيز النصب والرفع، ويبدو لي أن الفراء يؤيد النصب هنا. وتأوله البصريون^(٣٥) على حذف خبر (إن)، والتقدير: إني لا أقدر على ذلك، ثم استأنف قوله: إذن أهلك، فنصبت.

وإن تقدمها حرف عطف^(٣٦) ففيها وجهان: الإلغاء والاعمال، والإلغاء أجود، وبه قرأ السبعة^(٣٧): ((وإذا لا يلبثون))^(٣٨) مرفوعة، لأن فيها الواو، وإذا كانت الواو كان في الواو فعل مضمر، وكان معنى (إذن) التأخير، أي: ولو فعلوا ذلك لا يلبثون خلافاً لإقليلاً إذا. وفي بعض الشواذ^(٣٩): ((وإذا لا يلبثوا)) على الإعمال، بطرح النون، يراد بها النصب.

قال الفراء^(٤٠): وذلك جائز، لأن الفعل متروك، فصارت كأنها لأول الكلام وإن كانت فيها الواو.

وقال الأخفش^(٤١) في قوله تعالى ((فإذن لا يؤتون الناس نقيراً))^(٤٢): إنما رفع لأن معتمد الفعل صار على الفاء، ولم يحمل على (إذن) فكأنه قال: فلا يؤتون الناس إذا نقيراً. وقال في قوله تعالى: ((وإذا لا تمتعون إلا قليلاً))^(٤٣):

فرفعت ما بعد (إذن) لكان الواو^(٤٤).
٤. ألا يفصل بينها وبين الفعل بغير القسم، فإن فصل بينهما بغيره ألغيت، نحو: إذن زيد يكرمك، وإن فصل بالقسم لم يعتبر نحو: إذن والله أكرمك^(٤٥)، فالقسم هاهنا لا يعدّ حاجزاً، كما لا يعدّ حاجزاً بين المضاف والمضاف إليه كقول العرب: هذا غلام. والله. زيد.

قال ابن مالك^(٤٦): فأضاف الغلام إلى زيد ولم يعتد بوقوع القسم بينهما، قال: حكى ذلك الكسائي. وقال:

واغتفر ذلك في (إذن) لأنها غير ممتزجة بما تعمل فيه امتزاج غيرها.

وأجاز ابن عصفور^(٤٧) الفصل بالظرف نحو: إذن غداً أكرمك.

وأجاز ابن بابشاذ^(٤٨) الفصل بالنداء والدعاء نحو: إذن يا زيد أحسن إليك، وإذن. يغفر الله لك. يدخلك الجنة.

وقال المرادي^(٤٩): ولم يسمع شيء من ذلك فالصحيح منعه.

وأنا أذهب إلى ما ذهب إليه ابن عصفور وابن بابشاذ اللذان جوّزا الفصل بالظرف وبالنداء والدعاء، وذلك لأن (إذن) غير ممتزجة بما تعمل فيه امتزاج غيرها، كما قال ابن مالك:

وأجاز الكسائي وابن هشام الفصل بمعمول الفعل^(٥٠)، وفي الفعل حينئذ وجهان: الاختيار عند الكسائي لنصب، وعند هشام الرفع.

وقد روي أن بعض العرب يلغي (إذن) مع استيفاء الشروط، وهي لغية حكاه عيسى بن عمر^(٥١) وسيبويه،

قال سيبويه^(٥٢): وزعم عيسى بن عمر أن ناساً من العرب يقولون: إذن أفعل ذلك، في الجواب، وقال سيبويه ذاك:

فأخبرت يونس^(٥٣) بذلك فقال: لا تبعدين ذا، ولم يكن ليروي إلا مسمع، جعلوها بمنزلة هل وبلى.

إهمالها:

وتهمل (إذن) إذا كانت حشواً في الكلام بأن يعتمد ما بعدها على ما قبلها، وذلك في المسائل الآتية: وقد ذكر

في التصريح^(٥٤) أنها تهمل في ثلاث مسائل، وذكر ثعلب في

مجالسه^(٥٥) مسألة رابعة، ثم ذكر ابن عصفور مسألة

خامسة في مقربه^(٥٦) وإليك المسائل التي تهمل فيها (إذن):

١. أن يكون ما بعدها خبراً عما قبلها نحو: أنا إذن أكرمك، ألغيت (إذن) لوقوعها بين شيئين متلازمين.

٢. أن يكون جواباً لشرط قبلها نحو: إن تأتني إذن أكرمك.

٣. أن يكون جواب قسم قبلها مذكور نحو: والله إذن لا أخرج، أو مقدر كقول كثير عزة:

لِنُ عَادَ لِي عَبْد الْعَزِيز بِمَثَلِهَا

وَأَمَكْنِي مِنْهَا إِذْنُ لَا أَقِيلُهَا

برفع أقيلها، لأن (إذن) لم تتصنر لكونها جواب قسم مقدر، والتقدير: والله لئن، وجواب الشرط محذوف، وأهملت (إذن) لوقوعها بين القسم وجوابه، لا بين الشرط وجوابه.

٤. إذا وليت (إذن) الأسماء بسطت نحو: إذن أنت طالق، تأويلها التأخير، على معنى: أنت طالق إذن، وكذلك قولهم: إذن زيد قائم^(٥٥).

٥. لا تعمل (إذن) في الفعل الماضي أو الحال. قال ابن عصفور^(٥٦): والفعل الذي بعدها إن كان ماضياً أو حالاً لم تعمل فيه. حكمها^(٥٧):

١. (إذن) ثلاثة أحوال:

الأول: أن تكون عاملة كقول القائل: أنا أزورك، فتقول له: إذن أكرمك، فقد أجبت كلامه وجازيته، وتقيد بأن تتقدم ويعتمد الفعل عليها، ويكون مضارعاً.

الثاني: أن يجوز إعمالها والفاؤها، وذلك أن تقع في العطف ذات وجهين، كقولك: زيد يقوم وإذن يخرج، إن عطفت على الجملة الكبرى نصبت، وإن عطفت على الجملة الصغرى رفعت^(٥٨).

الثالث: أن تلغى لا غير، وذلك أن تقع بين شيئين، أحدهما طالب الآخر، كقولك: زيد إذن يخرج. الوقف على (إذن):

اختلف النحويون في الوقف^(٥٩) على (إذن)، فذهب الجمهور إلى أنها يوقف عليها بالألف لشبهها بتنوين النصب، وقال المازني والمبرد: إنه يوقف عليها بالنون، لأنها بمنزلة (أن) و (لن)^(٦٠). وقال ابن السراج^(٦١): تبدل الألف من النون في قولك: إذن آتيك، فإذا وقفت قلت: إذا، وكذلك في

قوله تعالى: ((وإذن لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً))^(٦٢)، إذا وقفت عليها قلت: إذا.

أقول: يوقف على (إذن) بالنون، ولا تبدل نونها ألفاً، لأنها ليست بمنزلة التنوين الذي يوقف عليه بالألف، إنما النون في (إذن) حرف أصلي من حروف الكلمة فلا يبدل ألفاً عند الوقف. كتابتها

اختلف النحويون أيضاً في كتابتها أو في رسمها على ثلاثة مذاهب.

أحدهما: أنها تكتب بالألف، قيل: وهو الأكثر، وكذلك وردت في المصحف الشريف، ونسب هذا القول إلى المازني^(٦٣). ولكن نقل عنه أنه إذا وقف عليها كتبت بالنون. قال المرادي^(٦٤): وهذا القول فيه نظر لأنه إذا كان يرى الوقف عليها بالنون، كما نقل عنه فلا ينبغي أن يكتبها بالألف. ونقل أيضاً عن الفراء^(٦٥) أنه أجاز أن تكتب بالألف.

الثاني: أنها تكتب بالنون، قيل: وإليه ذهب المبرد^(٦٦) والأكثر. ونقل عن المبرد أنه قال: أشتبه أن أكوي يد من يكتب (إذن) بالألف، لأنها مثل (أن) و (لن). ولما كانت (إذن) حرفاً لا يدخلها التنوين، لأن التنوين لا يدخل في الحروف^(٦٧).

وقال مكي بن أبي طالب القيسي^(٦٨): لا يجوز عند حذاق النحويين أن تكتب (إذن) إلا بالنون، لأنها مثل (لن)، وليس في الحروف تنوين. أقول: فإذا كانت نونها أصلية لا يجوز إبدالها ألفاً، قال السمين الحلبي^(٦٩) في حديثه عن (إذن): ونونها أصلية.

الثالث: التفصيل: فإن كانت (إذن) عاملة كتبت بالنون لقوتها وإن كانت ملغاة كتبت بالألف لضعفها. قال الفراء^(٧٠): لا يخلو أن تكون ملغاة أو معملة، فإن كانت ملغاة كتبت بالألف لأنها قد ضعفت، وإن كانت معملة كتبت بالنون، لأنها قد قويت.

- (٢٨) النكت ٦٩٨/١، وينظر: المساعد ٧٣/٣، اعراب القرآن للنحاس ٤٦٣/١.
- (٢٩) الكتاب ١٢/٣.
- (٣٠) معاني القرآن للفراء ٢٧٤/١، المقرب ٢٨٧، الخزانة ٤٥٦/٨.
- (٣١) الشطير: الغريب.
- (٣٢) المساعد ٧٦/٣.
- (٣٣) معاني القرآن ٣٣٨/٢، المساعد ٧٦/٣.
- (٣٤) الانصاف ١٧٧/١، ١٧٩.
- (٣٥) المساعد ٧٥/٣.
- (٣٦) السبعة ٢٨٢، مختصر الشواذ ٧٧.
- (٣٧) الاسراء ٧٦.
- (٣٨) مختصر الشواذ ٧٧، البحر المحيط ٦٦/٦.
- (٣٩) معاني القرآن، ٣٣٧/٢-٣٣٨.
- (٤٠) معاني القرآن ١٢١/١.
- (٤١) النساء ٥٢.
- (٤٢) الأحزاب ١٦.
- (٤٣) معاني القرآن ٤٤٢/٢.
- (٤٤) شرح الكافية الشافية ١٥٣٦/٣.
- (*) الجنى الداني ٣٥٦.
- (٤٥) المقرب ٢٨٧، ارتشاف الضرب ٣٩٧/٢، الأشموني ٢٨٩/٣.
- (٤٦) التصريح ٢٣٥/٢، الأشموني ٢٨٩/٣.
- (٤٧) الجنى الداني ٣٥٦.
- (٤٨) ارتشاف الضرب ٣٩٧/٢، التصريح ٢٣٥/٢، الأشموني ٢٨٩/٣.
- (٤٩) ارتشاف الضرب ٣٩٦/٢.
- (٥٠) الكتاب ١٦/٣، وينظر: كتاب الحل ٢٦٥-٢٦٦.
- (٥١) هو يونس النحوي المشهور ١٨٢هـ.
- (٥٢) التصريح ٢٣٤/٢، وينظر: معاني النحو ٣٣٧/٢.
- (٥٣) مجالس ثعلب ٣٦٦/١.
- (٥٤) المقرب ٢٨٦.
- (٥٥) مجالس ثعلب ٣٦٦/١.
- (١) ينظر: ارتشاف الضرب ٣٩٥/٢، المساعد ٧٤/٣، مغني اللبيب ٣٠، موسوعة الحروف ٨٣، النحو الوافي ٣٠٨/٤.
- (٢) ارتشاف الضرب ٣٩٥/٢.
- (٣) المساعد ٧٤/٣.
- (٤) ارتشاف الضرب ٣٩٥/٢.
- (٥) الكتاب ١٣/٣.
- (٦) المساعد ٧٤/٣، النحو الوافي ٣٠٨/٤.
- (٧) المساعد ٧٤/٣.
- (٨) المساعد ٧٤/٣.
- (٩) مغني اللبيب ٣٠.
- (١٠) الجنى الداني ٣٥٧.
- (١١) الكتاب ٢٣٤/٤.
- (١٢) المساعد ٧٥/٢، موسوعة الحروف ٨٣-٨٤، النحو الوافي ٣٠٨/٤.
- (١٣) الكتاب ٢٣٤/٤، ١.
- (١٤) التصريح ٢٣٤/٢.
- (١٥) التصريح ٢٣٤/٢.
- (١٦) مغني اللبيب ٣٠.
- (١٧) الخزانة ٤٤٧/٨.
- (١٨) الخزانة ٤٤٥/٨-٤٤٦.
- (١٩) مغني اللبيب ٣٠، الخزانة ٤٤٧/٨.
- (٢٠) الخزانة ٤٤٦/٨.
- (٢١) لو: حقيقتها وأحكامها (بحث للمؤلف لم ينشر).
- ص ١٤.
- (٢٢) مغني اللبيب ٣١، الخزانة ٤٤٧/٨.
- (٢٣) المؤمنون ٩١.
- (٢٤) معاني الفراء ٢٧٤/١، الخزانة ٤٤٧/٨.
- (٢٥) النحو الوافي ٣٠٩/٤.
- (٢٦) شرح جمل الرجاجي ١٧١/٢.
- (٢٧) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٧٣/١، الجنى الداني ٣٥٥، ابن عيش ١٤/٩، شرح الكافية الشافية ١٥٣٥/٣.
- ١٥٣٧، التصريح ٢٣٤/٢.

- (٥٦) المقرب ٢٨٦.
 (٥٧) ينظر: الغرة المخفية ١/١٦٢.
 (٥٨) الغرة المخفية ١/١٦٢.
 (٥٩) ينظر: الأصول ٢/٢٥٥، الجنى الداني ٣٥٨،
 موسوعة الحروف ٨٨.
 (٦٠) الجنى الداني ٣٥٨، شرح الرضي ٢/٢٢٨.
 (٦١) الاصول ٢/٢٥٥.
 (٦٢) الاسراء ٧٦.
 (٦٣) ينظر: الجنى الداني ٣٥٩، شرح جمل الزجاجة
 ١٧٠/٢.

- (٦٤) الاقتضاب ٢/١٢٤.
 (٦٥) الجنى الداني ٣٥٩.
 (٦٦) أي: ان الذي يرى هو المازني.
 (٦٧) مشكل اعراب القرآن ١/٢٠٠.
 (٦٨) الاقتضاب ٢/١٢٤.
 (٦٩) اعراب القرآن للنحاس ١/٢٦٣.
 (٧٠) مشكل اعراب القرآن ١/٢٠٠.
 (٧١) الدر المصون ٤/٦.
 (٧٢) شرح جمل الزجاجة ٢/١٧٠.
 (٧٣) شرح جمل الزجاجة ٢/١٧٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
 - ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي ت
 ٧٤٥هـ، تحقيق د. مصطفى أحمد النحاس، مط المدني، مصر
 ١٩٨٧.
 - الأصول في النحو: ابن السراج، محمد بن سهل، ت ٣١٦هـ،
 تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت
 ١٩٨٥.
 - اعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد، ت
 ٢٣٨هـ، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت
 ١٩٨٥.
 - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ابن السيد البطليوسي، عبد
 الله بن محمد، ت ٥٢١هـ، تحقيق: مصطفى السقاو د. حامد
 عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١.
 - البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، مط السعادة بمصر
 ١٣٢٨هـ.
 - الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، حسن بن قاسم، ت
 ٧٤٩هـ، تحقيق طه محسن، مط جامعة الموصل ١٩٧٦.
 - خزائن الأدب: البغدادي، عبد القادر بن عمر، ت ١٠٩٣هـ،
 تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧٩-١٩٨٣.
 - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، أحمد
 ابن يوسف، ت ٧٥٦هـ، تحقيق د. أحمد محمد، الخراط، دار
 القلم-دمشق.
 - السبعة في القراءات: ابن مجاهد، أحمد بن موسى، ت ٣٢٤هـ،
 تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٨٠.
 - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: مع (حاشية الصبان)
 دار إحياء الكتب العربية.
 - شرح التصريح على التوضيح: الأزهرى، خالد، ت ٩٠٥هـ،
 دار إحياء الكتب العربية.
 - شرح جمل الزجاجة: ابن عصفور الاشبيلي، ت ٦٦٩هـ،
 تحقيق د. صاحب أبو جناح، بغداد ١٩٨٠.
 - شرح الرضي (شرح شافية ابن الحاجب): رضى الدين
 الاسترابادي، ت ٦٨٨هـ، تحقيق محمد نور الحسن، محمد
 الزخراف، محمد محي الدين عبد الحميد، مط حجازي
 بالقاهرة.
 - شرح الكافية الشافية: ابن مالك، جمال الدين، ت ٦٧٢هـ،
 تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة ١٩٨٢.
 - شرح المفصل: ابن يعيش، يعيش بن علي، ت ٦٤٢هـ،
 الطباعة المنيرية مصر.
 - الغرة المخفية في شرح الدرر الألفية: ابن الخباز ت ٦٣٩هـ،
 تحقيق حامد محمد العبدلي، بغداد ١٩٩٠، مط العاني.
 - الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، ت ١٨٠هـ،
 تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٦-١٩٧٧.
 - كتاب الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: ابن السيد
 البطليوسي، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي.
 - لو: حقيقتها وأقسامها: د. محمود جاسم الدرويش (بحث
 لم ينشر).
 - مجالس ثعلب: ثعلب أحمد بن يحيى، ت ٢٩١هـ، تحقيق عبد

- المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار مطابع الشعب.
- مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، ت ٧٦١هـ، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩.
- المقرب: ابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مط العاني، بغداد، ١٩٨٦.
- موسوعة الحروف في اللغة العربية: د. أميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨.
- النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف بمصر.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه: الأعلام الشنتمري، يوسف بن سليمان، ت ٤٧٦هـ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، الكويت ١٩٨٧.

السلام هارون، دار المعارف بمصر.
- مختصر الشواذ: ابن خالويه، الحسين بن أحمد، ت ٣٧٠هـ، برجستر اسر دار الهجرة.
- المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، بهاء الدين، ت ٧٦٩هـ، تحقيق د. محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤-١٩٨٠.
- مشكل إعراب القرآن: أبو طالب القيسي، مكّي، ت ٤٣٧هـ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤.
- معاني القرآن: الفراء، يحيى بن زياد، ت ٢٠٧هـ، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣.
- معاني النحو: د. فاضل السامرائي، مط التعليم العالي، الموصل ١٩٨٧.



مرکز تحقیقات کتب و اسناد

ثورة الزنج والتأسيس النظري لها وواقعها العملي

ياسر جاسم قاسم

وينتهي نسبه في قبيلة عبد القيس^(١) وذكر عنه، كان يقول ((إن جدي محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن الحسين فلما قتل زيد هرب ولحق بالري^(٢) ويعد الصفدي في مخطوطته الواقي بالوفيات أول كاتب يذكر لصاحب الزنج كنية هي ((أبو الحسن)) كما نقل الرواية الجديدة التي يذكرها عن نسب والده صاحب الزنج وقصة مجيء والد علي إلى ورزنيين فيقول: أنها قرة بنت عبد الواحد ابن محمد الشامي والدها كان معتاداً على الحج سنوياً إلى مكة ثم أنه كان يمر بالمدينة حيث ينزل على شيخ من آل أبي طالب حاملاً له الهدايا من الري وحدث أنه في سنة من السنين وجد الشيخ متوفياً تاركاً ابنه محمداً وعمره آنذاك ١١ سنة وقد عرض والد قرة على الصبي مرافقته إلى الري ولكنه رفض لعدم موافقة والدته واخته. وفي السنة التالية وجد عبد الواحد والد قرة الطفل محمداً وحيداً إذ توفيت والدته واخته ولذلك فإنه جاء به إلى قرية ورزنيين وزوجه بابنته قرة فولدت له ابنتين مائتا صغيرتين وولداً اسمه علياً وهو قائد الزنج ولم يستمر زواجهما طويلاً فقد فارقت قرة لأن محمداً كان متلافاً وتزوج عليها جارية اشتراها، وقد أخذ ابنه علياً معه وبعد سنين عديدة رجع إلى أمه في ورزنيين اثر وفاة والده، وأقام معهما ردها من الزمن، ثم ذهب إلى خراسان حيث بقي هناك سنتين رجع بعدها مرة أخرى إلى ورزنيين ليبقى فترة، ثم يغيب عنها نهائياً إلى أن أعلن ثورته ونجح فيها فدعا والدته إلى المجيء إلى البصرة غير أنها رفضت ذلك^(٣).

وبعض المصادر تشير إلى أن أصله فارسي كما أسلفت

حالة الرق حالة قديمة لم تستطع الأديان التي تنادي بحرية الناس القضاء عليها، ومن ضمنها الدين الإسلامي حيث حاول الإسلام جاهداً القضاء عليها ولكن لم يتم ذلك له، بسبب تغلغل الحالة داخل الجسد العربي آنذاك. لذلك حاول بالتدريج ولم ينجح حيث استمرت حالة الرق حتى عصور متأخرة من العصر الحديث. إن الضعيف عندما يسيطر عليه القوي ويذيقه شتى أنواع المراتة فإن الضعيف يتحين الفرص للقضاء على القوي أو لرد اعتباره نوعاً ما. وبالتالي نفهم أن ثورة الزنج قد حدثت نتيجة هذه المعادلة تحين الفرص للقضاء على الغني. وإذا أردنا أن نعرف أي ثورة هي علينا التعريف بصاحبها وهذه نقطة هامة للغاية حيث يعد صاحب الثورة ومفجرها والمعروف بـ ((صاحب الزنج)) وهو اللقب الذي أطلقه المؤرخون على علي بن محمد الذي ظهر في فرات البصرة سنة ٢٥٥هـ فقاد الزنج في ثورتهم الكبرى التي دامت نحواً من أربع عشرة سنة ((٢٥٥هـ - ٢٧٠هـ)) وفي الكلام على نسبه فهناك من يزعم أنه فارسي. أما الرجل فهو ينسب نفسه على لسانه فيقول ((أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب))^(٤) وهناك من المؤرخين من يقول إنه غير نسبه مرات عدة فالطبري في الجزء الثالث ١٧٤٢ يقول: أنه ادعى أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله ابن العباس بن علي بن أبي طالب وهذه مسألة هامة في تحديد شخصه وماهيته وفي الاعتقاد أنه يغير نسبه غير مرة، وذلك للظروف التي تحيط به في لحظة معينة فهو ولد ونشأ في بلاد فارس في قرية كبيرة تدعى ورزنيين من قرى الري وكان اسمه علي ابن محمد بن عبد الرحيم

واسمه بهبود^(١) كما أن صاحب الزنج كان عربي الأصل بل كان علويًا اسمه علي بن محمد العربي كما تشير مصادر أخرى. ولكن الشك في نسبه العلوي مازال قائماً على الرغم من نص الطبري على ذلك فيقول المسعودي إن أكثر الناس يقول أنه دعي آل أبي طالب، ويؤكد نولدكه في هذا الموضوع: إن صاحب الزنج ((ادعى أنه من نسل علي وفاطمة بنت الرسول، وربما كان هذا الادعاء صحيحاً وذلك إن نسل علي آنذاك كانوا يعدون بالآلاف ولم تكن لهم كل أهمية تاريخية تذكر لكنه ربما كان نسبه مجرد اختراع))^(٢) واعتقد أن هذا الاختلاف الكبير في نسبه ناشئ من عدم دقة تاريخنا العربي حول الكثير من المسائل واتباع بعض المؤرخين أهواءهم ونقماتهم من أي شيء يدعى للعلويين. طبعاً ليس كلهم ولكن الغالبية العظمى منهم تنتمي لمذهب معين وتنقم من مذهب آخر عند تناوله؛ وهذا هو دأبهم ونراه في أغلب كتب التاريخ؛ واذكر كتاب الملل والنحل للشهرستاني حيث يدعي في بداية كتابه ابتعاده عن أي تحيز ضد أي مذهب، وطرح المذاهب كما هي، ونراه يتناقض مع نفسه بنقمة من الطائفة الشيعية ووسمهم بالرافضة في أغلب تناولاته. وهذه تسمية كما معروف لا يحبها الشيعة، ويتبرؤون منها ويجزمون أن أعداءهم ينسبونهم إليهم وبالنتيجة فإن التاريخ الذي ورثناه لا يبين لنا الكثير من الحقائق التاريخية التي لها علاقة بالعلويين كإخوان الصفاء / وثورة الزنج، وغيرها من الأمور، ولا غرابة أن يكون صاحب الزنج من العلويين لسبب رئيس وهو نقمة العلويين على الأنظمة الحاكمة على مر العصور. وقد تكون نسبته للعلويين لإضفاء المزيد من الشرعية على ثورته، وهذا شأن وارد أيضاً كما عاش علي بن محمد في سامراء عاصمة الخلافة العباسية، ورحل عنها عام ٢٤٩هـ (٨٦٣م)) إلى البحرين متأثراً بما شهد وسمع في عاصمة الخلافة من فوضى واضطراب أشد التأثير. ولعل علي بن محمد صمم على أن يفعل شيئاً مذكراً في سامراء غير أنه أدرك أن هذه المدينة لم تكن مركزاً صالحاً لأي عصيان على الخلافة؛ بسبب الرقابة الشديدة، والجاسوسية المحكمة، ووجود السلطة المركزية. وقدم علي بن محمد بعد رحلة طويلة إلى البصرة، سنة ٢٥٤هـ، وكان

عاملها محمد بن رجاء الحاضري، وصادف قيام فتنة بين الأتراك أيضاً وفي هذه السنة كانت البصرة على أشد أوضاعها خراباً، بسبب الفتنة وتطورها وهكذا استفاد صاحب الزنج من هذه الظروف المؤاتية، وحاول أن يبدأ دعوته في مسجد البصرة. غير أنه أخفق وطارده الجند، ولذا بالفرار إلى بغداد، غير أن الوالي قبض على أتباعه. وبذلك هو مهد لحركته وظل في بغداد يترقب الفرص يدعو لنفسه، ولم ينس أن يستخدم التقية في تصرفاته ويحيط نفسه بالغموض لكي يحمي نفسه. ثم أنه ظل يترقب البصرة كما أسلفنا حتى عزل عاملها محمد بن رجاء الحاضري عدوه اللدود وقامت فتنة أخرى بين الأتراك فعاد إلى البصرة سنة ٢٥٥هـ ومعه أعوانه الستة المقربون وهم علي بن أبان ويحيى بن محمد ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع والفلاحون وشرق ورقيق^(٣) وكان يهدف من مجيئه للاتصال بالزنج المشتغلين بكسح السباخ ويدرس أحوالهم ويقوي علاقته بهم. واخذ الزنج يتصلون به ويجتمعون حوله ويعتبر البيروني يوم الاثنين ٢٦ / رمضان / ٢٥٥هـ (٨٦٩م / ٩ / ٦) يوم القيام بالثورة وهذه الثورة تدل على ذكاء صاحبها، فعلي بن محمد لم يعتمد على أناس أثرياء أو أصحاب جاه، أو ليس لهم صلة في الواقع المعيش آنذاك؛ بل اعتمد على ضعفاء الناس، وعلى القوم المسبيين من قبل السلطة ومن قبل الأقوياء من الناس، وبالنتيجة سيكون لمعادلتنا الأولى التي ابتدأنا بها هذا البحث وجود في هذه المسألة، فالضعيف يقتنص الفرص للغلبة على القوي وهنا يتبين لنا مسألة مهمة سنعرض لها وبشكل أكبر تفصيلاً فيما سيأتي بهذا البحث، حيث إن الزنج تسببوا بثورتهم بخراب البصرة وهذا يدل على تماديهم في أخذ حقوقهم، فهم مظلومون وهذا شيء مؤكد ولكن لا يسوغ لهم أن يظلموا الناس بمجموعهم المجتمعي ويحرقوا ويقتلوا ويسرفوا كما سيتبين لنا ذلك، ولكن صاحب الزنج تسامح في حالات كثيرة مع الأبرياء والمحايد كما فعل في قريتي القادسية والجعفرية.

بعد هذه المقدمة التاريخية نتساءل عن هذه الثورة وعن أهدافها التي انبثقت من أجلها. فهل كانت ذات برنامج يهدف إلى إصلاح شامل للنظام الاجتماعي القائم؟ أم كانت



الحرف وهذه الثورة تضفي صفة العمومية عليها، وذلك لعدم تخصصها في العبيد فقط على الرغم من أنهم كانوا قادتها والمخططين لها، ولكن الضعفاء كذلك عندما وجدوا أهدافهم في الثورة اشتركوا بها ومن دون تلكؤ.

وهكذا وقعت الثورة بتجاوز حقوق الناس، والمبالغة في اخذ حقوق الزنج، والثورة لم تعمل لتحرير الزنج فحسب بل عدت اعداءهم أسرى حرب تحق عليهم العبودية، ولعل ما يبرر القسوة التي وقعوا بها ان الثورة، كانت بين طبقات المجتمع الفقيرة المتمثلة بالعبيد ومن تبعهم، وبين الأغنياء والسلطة الحاكمة وبالنسبة، فهو يريد أن يضعف همة أعدائه ولم تقف ثورته على أساس من العدل الاجتماعي سوى الذي حققه لجماعته من العبيد الذين تبعوه أول الثورة.

ولكن نستطيع القول إن ثورة الزنج أول حركة تمخض عنها الوضع الاجتماعي الجديد في القرن الثالث، ويبدو أنها كانت الشرارة التي أشعلت الأفكار الكامنة لدى مريديها فلم تلبث السنوات القادمة، حتى انبثقت ثورة القرامطة، وحركتهم وثورة الزنج مهدت التربة لكي ينشر القرامطة دعوتهم على نطاق واسع، لان الدعوتين وان اختلفتا في الأسلوب والبرنامج اتفقتا في ضرورة تغيير النظام القائم أي أنها أسهمت في بث الوعي الذي تريده بقية الحركات وأعطتهم قدرة على المواجهة مع النظام القائم وبالنسبة فإن هذه الحركة أخفقت لسبب مهم هي أنها كانت ثورة طبقية، وليست ثورة شعبية بحق وهذا قد تناولناه لان الثورة لم تنطوا على برنامج وأسس فكرية ثابتة، لأنها اعتمدت وانطلقت من أسس دينية ولكن انتقلت من الناس، وخربت البلاد، ودمرت ممتلكاتهم ولم تكتمل بتحرير العبيد بل قامت باستلاب حرية الآخرين، وجعلهم عبيداً أي غالت بطلب حقوقهم ولكن علينا ان لا نغفل مقولة بعض المؤرخين حول صاحب الزنج وتبرئتهم له من الأعمال الفاسدة حيث يقول ابن كثير: إن صاحب الزنج لم يكن يتعرض لأموال الناس، ولا يؤذي أحداً إنما كان يريد اخذ أموال السلطان^(١) وكذلك يبرئ الطبري صاحب الزنج بأنه منع أصحابه من الغارة على القرى الآمنة، ولكن هذا لم يمنع هذه الثورة كغيرها من الثورات

مجرد حركة ضيقة ترمي إلى تحسين أحوال طبقة الزنج؟ نحن قبل أن ننشر هذه المسألة علينا أن نعرف أن منشأ هذه الحركة هو ديني عقائدي بحت، وهذا بين من خلال انتساب علي بن محمد إلى العلويين لإضفاء صفة الشرعية على ثورته. وبالنسبة سيكون لهذه الثورة صدى أكبر عند العامة من الناس بانتسابها للعلويين لاسيما إذا عرفنا أن هذه السنين التي واكبت هذه الثورة سنو ظهور قوية للذهب التشيع حيث شهد غيبة الإمام المهدي سنة ٢٦٠ هـ أي بعد ٥ سنوات من اندلاع الثورة حسب العقيدة الاثني عشرية أيضاً، وخروج الصفاريين ودورهم الرئيس في انتشار المذهب الشيعي وغيره من الأمور المهمة^(٢). استطيع القول إن هذه الثورة بعد هذه الإشارة إلى تشيعها كان أساسها اجتماعياً إصلاحياً بداية الأمر، ولكن اتخذت من الدين سترأ لها وبالتالي فإن ثورة الزنج دعت إلى تحسين أحوال العبيد ومعاملتهم كما أمر الله ورسوله بالرفق والحسن والعمل على تحريرهم وبأي وسيلة كانت، وحسب الشريعة الإسلامية، كما أن صاحب الزنج كان يدرس التنجيم وما يتصل به من التنبؤ والسحر. حتى أنه كان يستطيع أن يعرف متى كسوف القمر وكان يخدع جماعته بإخبارهم بمعرفة وقت الكسوف لأنه يعرف حسب حسابات فلكية فيصدقونه على أنه يعرف ما لا يعرفون هم، فيزداد انبهارهم به ومن ذلك أنه لما أراد دخول البصرة سنة ٢٥٧ هـ نظر في حساب النجوم ووقف على انكساف القمر وقال: اجتهدت في الدعاء على أهل البصرة وابتهلت إلى الله في تعجيل خرابها، فخطبت فقل لي إن البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة فأولت انكسار نصف الرغيف كسوف القمر المتوقع في هذه الأيام^(٣) وهذا يدل على ذكائه في جذب العامة وثورته هي ثورة العبيد الأفريقيين في البصرة وما حولها ضد أسيادهم حيث كانت تمثل أحد عوامل القلق الذي كان ينتاب بعض الطبقات الاجتماعية ومنها طبقة الأفارقة أو الزنج، وثورة الزنج حرب اجتماعية ذات طابع طبقي أي إنها ثورة العبيد وأنصاف العبيد ضد الملاكين من أصحاب الأراضي، وقد اشترك في جيش الزنج جماعات كبيرة من غير السود كالأعراب، وأهل القرى، والعمال، وأصحاب



من وقوع الضرر على غير المستهدفين من قبلها، ولو انتقلنا إلى الجانب العسكري لها فسنرى أن الزنج استفادوا من وضع البصرة الجغرافي، وكثرة الأنهار فيها، واشتهارها بغابات النخيل مما جعل التحرك صعباً بها من قبل العباسيين للقضاء على الزنج، وثورتهم، ولكن تحرك الزنج بها كان سهلاً لعرفتهم بجغرافية البصرة وعيشهم زمناً طويلاً فيها، حيث استطاعوا بجيوشهم الانتصار على القوات العباسية في الكثير من الوقائع، بسبب سهولة المنطقة لديهم، وصعوبتها على الجيوش العباسية وهكذا بدأ الخليفة الموفق العباسي أعماله ضد الزنج بإرسال جيش يقوده غلامه سعيد بن صالح الحاجب في رجب ٢٥٧هـ واستطاع الحاجب أن يكبد الزنج خسائر فادحة أول الأمر حين هزم جيشاً زنجياً كان يعسكر على نهر المرقاب المتفرع من نهر معقل، غير أنه أصيب بجراح خطيرة أرغمته على أن ينسحب إلى موضع يقال له هطمة بفرات البصرة، ليعيد تنظيم جيشه. والحاجب استطاع التغلب على الزنج غير أن الزنج ما لبثوا أن باغتوا جيش الخلافة في هجوم ليلي بارع فأحرقوا معسكره، وقتلوا الكثيرين، وعزل الحاجب، وتسلم منصور بن جعفر الخياط مكانه ولاقى أيضاً من القتل في جيشه عدداً هائلاً وهكذا استطاع الزنج التغلب على أغلب الجيوش العباسية التي بعثت لها للقتال والقضاء عليهم. وقد سبق هاتين المحاولتين محاولات أخرى نبتعد عن ذكرها لأن بحثنا ليس بحثاً تاريخياً بل تحليلياً لهذه الثورة الهامة.

ومهما يكن فإن الهدف الرئيس لهذه الثورة وصاحبها هو احتلال البصرة، وفعلًا استطاع الزنج تخريب كل القرى المحيطة بالمدينة استعداداً لدخولها والسيطرة على طرقها الرئيسية المؤدية لها. واستفاد الزنج من الحالة الأمنية والسياسية المتدهورة في المدينة نتيجة الخلاف بين الربيعيين وهم شيعة والسعديين وهم سنة^(١) وحشد صاحب الزنج خيرة قواده لدخول البصرة فأسند القيادة العليا إلى علي بن إبان مع يحيى بن محمد وصمم الجيش الزنجي على مهاجمة المدينة في يوم الجمعة ١٧/شوال/ ٢٥٧هـ، ٨٧١/٩/٧م. فدخل الجيش البصرة وجرت عمليات القتل والسلب والنهب ((فكان السيف يعمل في أهل البصرة

وأصواتهم مرتفعة بالشهادة وعظم الخطب، وعمها القتل والنهب والإحراق وقتلوا كل من رأوا فيها من أهل اليسار وأخذوا ماله^(٢) وحدث خراب البصرة الذي ذهب مثلاً يؤرخ فيه أهل البصرة لهذه الحادثة، واستمر الزنج في توسعهم باحتلالهم البصرة حتى وصلوا إلى البطيحة، وأخذوا يتوسعون إلى جنوب واسط واستطاع سليمان بن جامع قائد الزنج أن يدخل واسط سنة ٢٦٤هـ فهجّر السكان مدينتهم، وخرجوا حفاة الأقدام هائمين على وجوههم فرعين كما يصفهم المؤرخون وكسب الزنج في سنة ٢٦٥هـ نصراً مؤزراً بدخولهم النعمانية فأحرقوا سوقها وأكثر منازلها وبلغوا إلى قريب بغداد أي أقل من ٧٠ ميلاً جنوب بغداد. وهكذا استدعى الخليفة المعتمد العباسي الموفق إلى مكة من قبل المهدي، لأن الخليفة المعتمد أدرك خطورة ثورتهم وعدم قدرته على السيطرة على الثورة وحده، ولكفاءة الموفق العسكرية والتي ستثبتها الأيام التالية، المهم نستطيع أن نعد سنة ٢٦٦هـ، بداية قوة العباسيين، وأقول نجم الزنج فاستعد الموفق لحملة حاسمة ضد الزنج، واستعرض جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل، وكان يرافقه سفن حربية، وتحرك أبو العباس بن الموفق نحو ((جر جارية)) بعد أن عبأ جيشه تعبئة دقيقة واستقر قرب واسط، واستطاع أبو العباس أن يهزم سليمان بن جامع فأجبره على الانسحاب من واسط والتقهقر. أما الزنج فقد أخذوا بدورهم الاستعداد لواقعة أخرى، وهزموا مرة أخرى قرب واسط، ويبدو أن سليمان بن جامع شعر بقوة الجيش العباسي، فقد امتنع عن الحرب لمدة شهر كامل، واعتمد استراتيجية الهجوم السريع والانسحاب، وكان يقوم بعملية حرق السفن الحربية العباسية، ويزيلون القناطر وينسحبون وعلى الرغم من شجاعة الجيش بقيادة أبي العباس، ولكن لم يستطع الانتصار على الزنج حتى حضر الموفق العباسي بنفسه في ١١/صفر/ ٢٦٧هـ لإدارة دفعة القتال وكان هدفه احتلال المنبوعة مركز الزنج قرب واسط، ودخل الجيش فعلاً هذه المدينة المحصنة في ٨/ربيع الآخر/ ٢٦٧هـ وقد تأثر صاحب الزنج لسقوط هذه المدينة بيد الخلافة العباسية ثم تحرك الموفق نحو طهيتا ودخلها في ٢٧/ربيع الآخر وقتل الجبائي



الطبيعي أن تكون المختارة على هيئة قلعة حربية لتستطيع الصمود في وجه الغارات المتلاحقة التي كان يشنها على المختارة العباسيون، بالإضافة إلى أن المختارة كانت محصنة تحصيناً طبيعياً بنهر شط العرب وأبي الخصيب من الجهتين الشمالية والشرقية فإنها أحيطت بالأسوار، وبذلك امتنعت مدة على الجيش العباسي ووجود القصور العديدة داخل مدينة المختارة يدل على تنظيم الزنج وبشكل دقيق للغاية حيث نجد إلى جانب قصر صاحب الزنج قصوراً أخرى في المختارة أهمها دار انكلياي ابن صاحب الزنج التي كانت إلى جوار قصر أبيه، ودور الجبائي وابن سمعان وسليمان بن جامع وكلهم من قواد الزنج الكبار، وأشادوا القناطير والجسور على الأنهار؛ هذا من الجانب العمراني والسياسي. أما التنظيم الاقتصادي فقد اهتم صاحب الزنج اهتماماً كبيراً بتوفير المون والأقوات لعاصمته ولجيشه الضخم، ومن ثم شيد أسواقاً كثيرة في الجانب الغربي من المختارة ومنها السوق ((المباركة)) حيث شغلت قضية المون والتموين صاحب الزنج إلى أقصى الحدود منذ بداية ثورته، لذلك استمال الأعراب إلى جانبه وسخرهم في جلب المون إلى معسكره ومنعها عن المعسكر العباسي. وهذا هو دلالة التنظيم الكبير الذي قام به الزنج لإنجاح ثورتهم كل هذه المدة. فليس من الممكن أن تكون الثورة بهذه الاستمرارية من دون هذا التنظيم، وعين صاحب الزنج شخصاً جديداً للإشراف على نقل التموين وهو أحمد بن الجنيد في مؤخر نهر أبي الخصيب، وكلفه أن يحمل سمك البطيخة إلى معسكره، أما في الجانب الإداري فقد حاول صاحب الزنج أن يقيم في عاصمته مؤسسات إدارية ومالية لا لتشرف على سير الحرب فحسب، بل لتتولى تنظيم الشؤون المدنية داخل الدولة القصيرة العمر التي شكلها علي بن محمد، ولم يقتصر واجب ((صاحب الزنج)) على وضع الخطط وقيادة الجيوش بل كانت له صفة مدنية باعتباره رأس الدولة الزنجية وأعطى نفسه لقب أمير المؤمنين^(٣). وكذلك عين له ولاية على الأمصار التابعة لدولته فنجد أحمد بن مهدي الجبائي الذي وصل إلى مركز مرموق في دولة الزنج، حتى ولاة علي بن محمد أكثر أعماله وضم إليه محمد بن إبراهيم الذي تولى الكتابة له، فلما مات

وكان من أعظم قواد صاحب الزنج وأكثرهم طاعة له ثم دخل المنصورة بسهولة ثم توجه نحو الأهواز، واستطاع دخولها أيضاً، واقتصر سلطان الزنج على المختارة، وما جاورها من أرجاء أبي الخصيب، وظل الموفق في هذه المنطقة يعد العدة للحرب حتى ١٤/شعبان/٢٦٧هـ وبني هناك مدينة على ضفاف شط العرب اسمها الموققية لكي يضرب حصاراً على المختارة عاصمة الزنج، وفرض الحصار على الزنج، وبدأ يأخذ أكله، حيث حلت سنة ٢٦٨هـ حتى أخذ الزنج يقاسون المجاعة، وندرة الأقوات مما أدى إلى شل قوتهم، وإضعاف صفوفهم إلى سنة ٢٧٠هـ حيث أن الموفق هاجم المختارة سنة ٢٦٧هـ وخرب فيها الكثير وانسحب في نفس ليلة الهجوم، ثم سنة ٢٦٨هـ كذلك وظلت المختارة تقاوم الهجوم والحصار حتى شعبان ٢٦٩هـ حيث تمكن أصحابه من إحراق بعض قصور صاحب الزنج، وفي ذي القعدة سنة ٢٦٩هـ عزم الموفق على دخول المدينة واحتلالها من الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب وبدأ الزحف في ٧/ذي القعدة/ برأ ونهراً وكان تعداد الجيش خمسين ألف مقاتل، واستطاع الموفق احتلال المختارة، وحملت نساء صاحب الزنج وأولاده وبناته إلى الموققية التي مر ذكرها آنفاً^(٤)، وقد بلغ قتلى هذه الحرب على ما يروى آلاف من المسلمين ومن الفريقيين وأدخل رأس علي بن محمد بغداد ١٨/جمادى الأولى/ ٢٧٠هـ.

إن الزنج بما فعلوه في هذه الثورة، وقبلها وبعدها لا يستطيع أي باحث أن يجزم بانهم قد فعلوا كل هذا بدون تنظيم رسمي، لكل قوتهم وخططهم واستراتيجيتهم، وهذا واضح حتى من اختيارهم للبصرة وجغرافيتها الصعبة، حيث الأنهار المتشابكة والأهواز، وعدم قدرة الجيش العباسي، والأترك على ملاحقتهم، لعدم قدرتهم على القتال في مثل هذه الظروف القاسية، وكذلك قدرتهم على فتح الكثير من المناطق شملت القسم الأدنى من العراق والأهواز حتى وصلت الثورة إلى قريب بغداد وتبعد ٧٠ ميلاً عن العاصمة، واختيار المختارة عاصمة لهم كان دقيقاً أيضاً حيث تمثل الاختيار على نهر أبي الخصيب مكاناً حصيناً تتشابه فيه الأنهار والأشجار، وهذا يدل دلالة أكيدة على التنظيم الكبير الذي قامت به جماعة الزنج وكان من

الجبائي طمع محمد بن إبراهيم في وظيفته: ((فنبذ الدواة والقلم ولبس آلة الحرب وتجرد للقتال))^(١) كذلك ضرب النقود التي أصدرها علي بن محمد في عاصمته وهذا ما يشير إلى وجود دار لضرب النقود من ناحية وإلى إعلان استقلاله الفعلي من ناحية ثانية عن الدولة العباسية، وهناك قطعتان نقديتان ذهبيتان للزنج توجد أحدهما في المتحف البريطاني والأخرى في باريس وترجع الأولى إلى سنة ٢٦١هـ في حين ضربت الأخرى سنة ٢٦٤هـ وهذا دليل على أن الحياة العامة والنظم المالية استمرت في دولة الزنج بضع سنوات. وقد نشر الأستاذ ووكر القطعة الأولى الموجودة في المتحف البريطاني في حين نشر الأستاذ كازانوفا القطعة الأخرى الموجودة الآن في باريس^(٢) وهكذا فإن كل هذا التنظيم أسهم في إيجاد هذه الدولة وهو دلالة أكيدة على تنظيمها وبقيت مسألة مهمة أن الزنج قد شملوا بمقولة الضغط يولد الانفجار، فإن الضغوطات التي طالتهم هي التي سببت بخروجهم وقيامهم بكل هذه الفوضى. ونود أن نشير كذلك إلى أن الفوضى التي قام بها الزنج لم تنشأ من فوضى تجمعاتهم، بل نشأت من ترتيب صفوفهم أي هي فوضى من ترتيب فهذه الفوضى التي نشأت بسببهم كان يسبقها تنظيم وتبويب لكل دولتهم، وذلك ليستمر وإن كانوا غير منظمين هذا سيسهم بالتالي في تراجع ثورتهم منذ بدايتها لكن التنظيم سبب استمرار الثورة وانتصارها، ولا ننسى أن جزءاً كبيراً من انتصارات ثورته التي حققها هي بفضل شخصيته التي امتازت بالكثير من المعرفة بأخلاقيات وأدبيات الأقوام التي كانت تحيط به على الرغم من وصف أحمد علي له بأنه ليس بالرجل المفكر والحاكم المثقف بل هو داهية طموح ذو شخصية جذابة^(٣). ولكننا نختلف اختلافاً كبيراً مع هذا القول وذلك لأن صاحب الزنج لولا سعة ثقافته وإطلاعه لما استمرت ثورته ١٤ سنة كتب له من خلالها انتصارات كبيرة، كما أن معرفته بالمجتمع مكنته من القيادة وبالشكل الأفضل له، لذلك يقول الدكتور فيصل السامر عنه: ((كان علي بن محمد رجلاً مثقفاً بمفهوم عصره)) وانه ((كان ذكياً قوي الإرادة طموحاً ذات نفس وثابة نازعة نحو الآمال الكبار))^(٤) وهكذا نراه واضحاً وذلك

للرؤى الاجتماعية والاقتصادية التي امتازت بها ثورته ومكنته من أن يستمر بها طوال هذه السنين بالإضافة إلى حنكته في المجال السياسي والاقتصادي كان لديه ذكاء مفرط مكنته أيضاً من الاستمرار وهذا واضح ويدل على ما يرويه الصفدي (إن أهل البحرين كانوا لا يدعون شيئاً من فضلاته يسقط إلى الأرض إلا ويأخذونه تبركاً به)^(٥) على الرغم من المبالغة التي قد تكون في قول الصفدي، ولكن يتبين من مدلول ما يرويه المكانة التي تميز بها صاحب الزنج بفعل ذكائه المتقدم الذي مكنته من تبوأ هذه المنزلة، كما إن الشعارات التي رفعها، والتي تنم من قريب أو بعيد على أنه كان على معرفة بأراء الفرق الدينية المتعددة، على الرغم من الاتهامات التي توجه على أنه بشعاراته هذه كان خارجياً أو زيدياً، ولكنه في الاعتقاد عندما يستخدم مثل هذه الشعارات فإنما هو ذكي يريد أن يستميل إليه بقية المذاهب ولا تدل الشعارات هذه على أنه صاحب مذهب مغاير للأمامية الأثني عشرية للأسباب التي ذكرناها، وللاشعار الآتي سترد في خضم البحث، وللصفدي رواية تظهر اهتمام علي بن محمد وولعه الأدبي إذ يقول: ((إن والدته ذكرته بأنه عندما كان معها في الري لا يدع أحداً عنده أدب ولا رواية إلا أخذها))^(٦) بالإضافة إلى أنه اشتغل بالتعليم عندما ذهب إلى سامراء وعلي بن محمد عرف عنه أنه كان شاعراً وأديباً حسن الشعر مطبوعاً عليه^(٧) ويقول القيرواني إن لعلي بن محمد شعراً كثيراً ناقضه البغداديون، وكل هذه الدلائل تناقض ما ذهب إليه الدكتور أحمد علي من أن صاحب الزنج ما كانت لديه ثقافة مهمة. وفيما يخص شعره فقد اتهمه الطبري بأنه شعر استجدائي للكتاب والسلطين بقصد أن يعطيه هؤلاء الأموال ولكن الأستاذ عبد الجبار ناجي يرد على هذه المسألة بقوله: إن ما وجد من نماذج شعرية هي عبارة عن أبيات معدودة لا تسمح بإعطاء صورة واضحة عن أسلوبه الشعري والمجالات التي نظم فيها أي إن المؤرخين لم يعثروا على قصائد كبار وكثيرة لصاحب الزنج بل أبيات من هنا وهناك لا تدل على أنه كان شاعراً مداحاً كما ذهب الطبري والذي هو أحد مؤرخي السلطين ويقسم شعر علي بن محمد إلى ثلاثة أصناف:



١- صنف يصور فيه نزعاته الشخصية وافتخاره
بنفسه ومطامحه في نيل الزعامة والثورة وفيه يقول:
وعزيمتي مثل الحسام وهمتي

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه

ونكب عن ذكر العواقب جانباً

نفسى أصول بها كنف القصور

ولم يستشرفني رأيه غير نفسه

وإذا تنازعني أقول لها اسكتي

ولم يرض الا قائم السيف صاحباً

قتلي مريحك أو صعود المنبر

وله أبيات تؤيد طموحه للوصول للخلافة حيث يقول:

إن الذي جعل النجوم زواهراً

ما قد قضى سيكون فاصطبري له

جعل الخلافة في الأمام الظاهر

ولك الأمان من الذي لم يقدر

قائد العساكر من بنجر^(٢٢) مسحراً

وله أيضاً:

بأثم إقبال وأيمن طائر

أما والذي أسرى إلى ركن بيته

حراجيج بالركبان مقورة حديداً
حتى أناخ على الابل بعد ما

ترك البصرة كالهشيم الدائر

لا در عن الحرب حتى يقال لي

٢- الصنف الثاني من شعره يعبر فيه عن ثورته وعلى ما

قضيت ذمام الحرب فاهتجر الحرباً

كان يجري داخل قصور بني العباس من مفاصد أخلاقية

وسهو، ويتضمن الأبيات التالية وفيها يصرح بعقيدته

الدينية الشيعية حيث يقول:

وله واصفاً كيف خرج بمن بقي معه من الزنوج محارباً وقائلاً:

لطف نفسي على قصور بغداد

سا غسل عني بالسيف جالبا

دوما قد حوته من كل عاص

علي قضاء الله ما كان جالبا

وخمور هناك تشرب جهراً

واذهل عن داري واجعل نهبا

ورجال على المعاصي حراس

لعرضي من باقي المذلة حالبا

لست بآب الفواطم الغران لم

فأن تهدموا بالغدر داري فأنهم

اجل الخيل - حول تلك العراض

تراث كريم لا يبالي العواقب



وللبيت الأخير أهمية إذ يشير إلى شيعية علي بن محمد،
كما أن البيتين التاليين ردأ على الرأي المتعارف بأن عليا كان
خارجي المذهب إذ يقول:
متى أرى الدنيا بلا مجبر

ولا حروري ولا ناصب

متى أرى السيف دليلاً على

حب علي بن أبي طالب

وله قصيدة ينقلها الأستاذ جبار ناجي تتضمن عدداً من
الأبيات فيها عتاب موجه لخلفاء بني العباس لتقريبهم
الأثرak وإبعادهم الشيعة أقاربهم بل تنكليهم بهم والأبيات
توضح عقيدته أيضاً:
بني عمنا إنا وانتم أنامل

تضمنها من راحتيها عقودها

بني عمنا لا توقدوا نار قننة

بطيء على مر الزمان خمودها

بني عمنا وليتم الترك أمرنا

ونحن قديماً أصلها وعديدها

فما بال عجم الترك تقسم فيتنا

ونحن لديها في البلاد شهودها

فاقسم لا ذقت القراح وإن أذق

فبلغة عيش أو يباد عميدها

٣- والصنف الأخير من شعره يتضمن أبياتاً غزلية وفيه
يقول:

ولما تبينت المنازل بالحمى

ولم أقض منها حاجة المتورد

زفرت إليها زفة لوة حشوتها

سرايل ابدان الحديد المسرد

لرقت حواشيها وظلت متونها

تلين كما لانت لداوود في اليد^(٣٢)

وبقي بيتان يختم دوره السياسي فيهما ويسدل الستار على
ثورته بتوذيعة الجميل لمدينته المختارة وداره حينما
أفلحت جيوش العباسيين في هجومها على تلك المدينة إذ
يقول:

عليك سلام الله يا خير منزل

خرجنا وخلفناه غير ذميم

فان تكن الأيام أحدثن فرقة

فمن ذا الذي من ربها بسليم

وهنا لابد من الإشارة إلى أن ثورة الزنج تمت قراءتها بشكل
مختلف بين المحدثين والقدماء، فأغلب القدماء قدموها لنا
على أنها ثورة قتل بالجملة، وبعثرة لكل القيم الإنسانية
فالصفدي يقول في مخطوطته عن صاحب الزنج بأنه
((قال الشعر واستباح به ثم حدث في نفسه الكفر والخبث
ودعوى الإمامة وعلم الغيب والخروج على الأئمة وضرب
الناس بعضهم ببعض)) ونرى مقولة الصفدي بالخروج
على الأئمة يقصد بها خلفاء بني العباس، ونستدل بذلك
على انحياز الصفدي لسلطة الاستبداد، ولا غرابة فالكثير
من هؤلاء المؤرخين إنما هم وعاظ سلاطين ومتبعون بدون
دراية لسلطة الاستبداد المتمثلة بالخلفاء الذين هم ظل الله
على أرضه في حين توجد قراءة ثانية لصاحب الزنج

الواسع. وكان بقاءها وقوتها منظويين بزعيمها واندفاع أتباعه العبيد من ناحية، وبضعف الخلافة وانشغالها من ناحية ثانية. وهذا ما يفسر عدم رواج الدعوة بين الأحرار من أهل البصرة.

٢- إن اعتناق صاحب الزنج مبادئ الخوارج الأزارقة جلب عليه نقمة العلويين، وبغضهم لأن الخوارج كانوا الد أعداء الشيعة مما حدا هؤلاء إلى عدم التعاون مع علي بن محمد.

٣- كانت ثورة الزنج قد قامت إبان ضعف الخلافة العباسية، وتفسخ الإدارة والسياسة في العاصمة، فأتاح هذا الضعف لصاحب الزنج أن ينشر دعوته في المناطق الجنوبية من العراق، حيث لا توجد قوات كبيرة للدولة فلما تولى الأمر أبو احمد الموفق وكان شخصاً قوياً حازماً استطاع بعد فراغه من أعدائه الآخرين أن يركز جهوده نحو حركة الزنج فيقضي عليها قضاء مبرماً.

٤- كان الزنج قد لبوا دعوة علي بن محمد فراراً من وضعهم السيئ وأملوا في تحسين حالتهم الاجتماعية المزرية، فلما رأوا أن الحركة لم تسفر عن نتائج حاسمة وأن الموفق منحهم الأمان وأغدق عليهم الأموال هجروا زعيمهم والتحقوا بجيش العباسيين بعد أن وقعوا بالجوع وتعرضوا لخطر الموت.

٥- كان لشخصية الموفق أثر كبير في القضاء على هذه الحركة، فقد استطاع أن يعيى الجيوش الضخمة والقوات الكبيرة، ويحشد الأموال والذخائر في الموقفية، فيتمكن من أن يشل ثورة الزنج ويقضي عليها.

٦- إن الحصار الاقتصادي الذي ضربه الموفق على الزنج كان عاملاً مهماً في القضاء عليهم لأنهم في أيامهم الأخيرة أخذوا يقاسون قلة الغذاء حتى إن الأسير منهم على حد قول الطبري كان يسأل عن عهده بالخبز فيذكر أنه لم يذقه من سنة. ويغالي المؤرخون فيقولون إنهم أكلوا لحوم الناس بل لحوم الموتى. وهذا الضيق دفع الكثيرين منهم إلى أن يهجروا معسكرهم مستأنسين إلى الموفق حتى إن صاحب الزنج وجد نفسه في أيامه الأخيرة في شردمة قليلة من أتباعه وكان هذا عاملاً أساسياً من عوامل إخفاق الثورة.

٧- لم تكن ثورة الزنج خروجاً على الدولة والنظام القائم فحسب، بل خروجاً على الدين كذلك في نظر

تتمثل في المؤرخين المحدثين الذين يضعون صاحب الزنج بمرکز يؤهله للقيادة، ويمنحه صفات المصلح الاجتماعي على الرغم من السلبات التي رافقت ثورته.

الثورة التي جمعت آلاف من العبيد حوله وكانوا قريبين إليه وبشكل كبير ولكن تشير بعض المصادر ومنها مخطوطة الصفدي بأن قلوب الزنج في وقت من الأوقات تغيرت، وساءت أحوالهم، وهموا بالوثوب عليه. ويعلق الأستاذ عبد الجبار ناجي على ذلك بما نصه ((بأنها أول إشارة تاريخية تصرح بحدوث أشبه ما يكون بالتمرد والانشقاق على سلطة قائد الزنج ولم يرد مثلها في المصادر الأخرى))^(١). وبقيت مسألة مهمة وهي آثار ثورة الزنج، وما خلفته من تأثيرات سيئة في اقتصاديات العراق الأدنى وانعكس ذلك على موارد البيت العباسي، وشل الزراعة والتجارة في كل هذه المناطق. كذلك تعطيل المؤسسات العامة للدولة، وتحرير العبيد الذي كان تأثيره سيئاً في المناطق المحتلة من قبلهم، واكبر خسارة لاقتها الخلافة العباسية هي سقوط البصرة وسقوط ميناء الأبله المهم في الحركة التجارية للدولة العباسية، وكذلك من آثار ثورتهم نشوء مدينتين زاهرتين ترعرعتا وسط ميدان القتال أهمهما مدينة المختارة عاصمة صاحب الزنج، والموقفية مركز قوات أبي احمد الموفق وازدهرت المدينتان بشكل كبير.

كذلك من آثار هذه الثورة إبراز شخصيتين مهمتين هما: صاحب الزنج الذي كان شخصية مغمورة لكنه بذكائه وتنظيمه وقدرته العملية استطاع أن يبرز شخصية مهمة جداً ويستمر ١٤ سنة. أما الشخصية الثانية فهي شخصية الموفق العباسي الذي استطاع أن يهزم الزنج، وصاحبهم علي بن محمد على الرغم من ذكائه المتقد وصعوبة المكان الذي تم القتال فيه بين الجانبين، أن التأثيرات التي سببتها هذه الثورة مهمة للغاية وتمثل حلقة انتقال بين حالتين كانت عليهما البصرة ما قبل خرابها على يد علي بن محمد. أما أسباب إخفاق هذه الثورة على الرغم من كل ما اشرنا إليه من تنظيم وذكاء وغيرها من الأمور فهي:

١- كانت ثورة الزنج حركة ضيقة لا تنطوي على برنامج دقيق، ونظرية تضمن لها البقاء والانتشار



المعاصرين لذلك تطوع آلاف الناس لحرب الزنج من العراق وفارس والبحرين. وهذا هو الطابع الذي انطبعت به كل الحركات التي قامت آنذاك فنظر إليها الأتقياء والمتدينون نظرة سخط ومقت ووضموها بالزندقة والزيف ومخالفة الدين.

٨. كان جيش العباسيين يقوم على تنظيمات عسكرية دقيقة، واسلحة متنوعة، ويتمتع بتدريب جيد، وتغذية حسنة في حين كان أسلوب الزنج أشبه بحرب العصابات لا تقدر إلا على الهجوم الخاطف القائم على السرعة وبث الكمائن، لذلك كانت انجح غاراتهم هي الغارات الليلية ونادراً ما قام الزنج بهجوم منظم ووقفوا وجهاً لوجه أمام الجيش العباسي.

٩. كان طول المدة التي استغرقتها الثورة عاملاً مهماً في عدم نجاحها لان الزنج فقدوا كثيراً من قواتهم كما لقوا مقاومة من أهالي جنوب العراق فضلاً عن مقاومة الدولة.

١٠. ان سعة المنطقة التي احتلها الزنج أدت إلىبعثرة قواتهم هنا وهناك والى تفريق حاميات ضئيلة العدد من

كل مركز احتلوه، وهذا عامل مهم أيضاً في إخفاق الثورة فقد تعذر على صاحب الزنج تركيز قواته في الأماكن التي يتطلبها الموقف العسكري.

١١. إن الأضرار التي تعرض لها أهل المدن التي احتلها الزنج زادت من ضراوة مقاومتهم للثورة، وقد زاد من عداة الأهالي إن الزنج كانوا من عبيدهم فشق عليهم أن يغدوا سادة لهم^(١٥). وهكذا نرى هذه الثورة وأهميتها من الناحية التاريخية وتأثيراتها الاجتماعية، اعتقد أن هذه الثورة كان لها صدى واسع في المجال الفكري المعرفي على الرغم مما رأينا فيها من مساوئ وكان أهم شيء أفرزته هذه الثورة حالة العبودية التي كان فيها الزنج والمعاملة السيئة للإنسانية في العهود الإسلامية التي واكبت هذه الثورة. إن النهضة التي بالإمكان الاستفادة منها من خلال هذه الثورة مسألة الحرية التي يجب أن تعطى للإنسانية جمعاء.



الهوامش

١. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢١، تاريخ ابن الوردي ج ٦ ص ٢٢٣
٢. ابن أبي الحديد ج ٨، ص ٣١١
٣. الطبري ج ٣، ص ١٧٤٢
٤. عبد الجبار ناجي، صاحب الزنج الثائر الشاعر، مجلة المورد، العددان ٤٠٣، ١٩٧٢م
٥. ابن الجوزي، المنتظم ج ٥، ص ٦٩
٦. ١٤٧، ١٤٦. noldeke pp
٧. أحمد علي، ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، مجلس ثورة الزنج، ص ٩٠-٩١
٨. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤ ص ١٩٩، حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، ص ٣٦، ٢٥
٩. الطبري ج ٣، ص ١٨٤٨
١٠. البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٩
١١. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٣٠
١٢. ابن الأثير، ج ٧، ص ٩٧
١٣. المنتظم، ج ٥، ص ٦٧

١٤. ابن الجوزي، الأذكياء، ص ٣١، ٢٢
١٥. النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٧
١٦. 51. azanovay, revue numismatique, p.
١٧. أحمد علي، ثورة العبيد في البصرة، مجلة الطريق، ص ١٠٥
١٨. فيصل السامر، ثورة الزنج، بيروت، ١٩٧١م، ص ٥٩
١٩. مخطوط الوافي ورقة ١٦٩ (ب)
٢٠. مخطوط الوافي للصفدي
٢١. ابن أبي الحديد ج ٢، ص ٣١١
٢٢. بلنجر: مدينة بيلاد الخزر خلف باب الابواب فتحها عبد الرحمن بن ربيعة ويقال سلمان بن ربيعة الباهلي، يافوت الحموي معجم البلدان، ج ١، ص ٧٢٩
٢٣. ابن أبي الحديد، المجلد الثاني ص ٣١١
٢٤. عبد الجبار ناجي، صاحب الزنج الثائر الشاعر، العددان ٣، ٤ المجلد الأول ١٩٧٢م، ص ٢١
٢٥. فيصل السامر، ثورة الزنج، دار إحياء التراث العربي، ط ٢ ١٩٧١ بيروت

مقدمة في دراسة النشاط التجاري

في الاردن خلال العصر العباسي

الدكتور سوادي عبد محمد
كلية الاداب - جامعة البصرة

مقدمة:

لعل اصعب ما يواجه الباحث في الاحوال الاقتصادية لبلاد الشام عموماً ندرة المعلومات التي يمكن الحصول عليها في المصادر المتوفرة في الوقت الحاضر. الا اذا اجتهد للعثور في تحليل هذه المعلومات واستيعابها بما يغنيه في هذا المجال. فضلاً عن التشابك في التقسيمات الادارية لهذه البلاد وتداخل اوضاعها، بعضها ببعض مما لا يتيح المجال لتوضيح دور كل اقليم منها بمعزل عن الآخر.

فاذا كانت هذه المعلومات المشتتة التي تخصنا بها المصادر التاريخية والجغرافية، قليلة الى هذا الحد فكيف بنا، اذا سعينا الى التفصيلات عن اوجه النشاط الاقتصادي لكل وحدة ادارية أو اقليمية من بلاد الشام؟ وخصوصاً ما يتعلق بالتجارة أو الزراعة أو الصناعة أو النظام المالي أو النقدي أو الضرائب، فأننا سنكون امام سيل من التساؤلات عما يجعل هذه الجوانب أكثر وضوحاً. ولكن ينبغي علينا، أن لا نبالغ في ذلك الى ما يجعل دراستنا هذه محورا لمعلومات تكتفية، فهناك من النصوص ما يمكن تحليلها باتجاه تفسير الموضوعات الاقتصادية المتعلقة ببلاد الشام ومنها النشاط التجاري لاقليم الاردن في العصر العباسي، وادراك طبيعته من خلالها والتوصل الى الحقائق التاريخية الثابتة.

ومعروف ان الاردن ظهر في الكتابات التاريخية والجغرافية منذ العهود الاسلامية الاولى، وتبلور اسمه أحد اجناد^(١) بلاد الشام الخمسة وظل محتفظاً بأهميته خلال العصرين الاموي والعباسي ويمكن القول أن هذه الأهمية تركزت في دوره في الحياة الاقتصادية وبخاصة في النشاط التجاري، فلو استعرضنا ما جاء به المؤرخون والجغرافيون العرب والمسلمون لاتضح بجلاء ما يساعدنا على الفهم الصحيح لما اضطلع به هذا الاقليم على نطاق التجارة في العالم الاسلامي، خلال تلك الحقبة، وكذلك في حدود

منطقة بلاد الشام ومصر.

موانئ الاردن ومراكزه التجارية:

يشير اليعقوبي الى أهمية كور الاردن ودورها في تجارة منطقة الشام وبحر الروم (المتوسط) وخصوصاً في هذه الحقبة، إذ عاش هذا المؤرخ حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فيقول: ((ان طبرية وهي مدينة الاردن وصور ساحلية من مدنه، وكذلك عكا وقدس وبيسان وفحل وجرش والسواد)) إذ تبلغ مواردها فيما عدا ما تدره الضياع الاخرى، مائة الف دينار، وهو ما يأتيها من تجارتها^(٢)، ويضع ابن رسته مدينة الطبرية في سلسلة كور الشام ثم يقول: ((وجند الاردن وهي الطبرية، ثم يعدد الاجناد الاخرى^(٣) مشيراً، من طرف خفي الى اهميتها باعتمادها على ذاتها اقتصادياً، بتحصيل مواردها ودفع اعطيات الجند وارزاقهم. أما ابن خرداذبة الذي توفي على اعتاب القرن الرابع الهجري، فيعدد كور الاردن، وهي طبرية والسامرة وبيسان وفحل وجرش وبيت رأس.

ويخلص الى القول ان خراج الاردن ثلثمائة وخمسون الف دينار^(٤) ولعل أكثر هذا المبلغ كان يتحصل عن طريق التجارة ونشاطاتها المختلفة، لأن أغلب هذه الكور التي ذكرها ساحلية تستقبل السفن والمراكب وتكلم قدامة بن جعفر بعد ربع قرن تقريباً من وفاة ابن خرداذبة، عن الطرق والمسافات بين كور الاردن المجاورة، بما يوحي بانها كانت مهية للتجار والمسافرين، لنقل البضائع، فيذكر ارتباط الاردن بالموصل والجزيرة الفراتية وسنجار ونصيبين والرقعة ومنبج وحلب وحماة وحمص وبعليك ودمشق ثم ارتباطها بمصر وما والاها، إذ تصل الى القاهرة والاسكندرية كما يذكر الطريق المؤدية منها الى القيروان في بلاد المغرب

العربي^(٢) ثم يقرن ذلك بخراج الاردن (موارده) التي كانت تبلغ في زمانه مائة وتسعة آلاف دينار^(٣).

واغلب الظن، ان هذا البلداني وغيره، ممن عنوا بذكر السكك والمسافات بالمسالك بين المدن والبلدان والممالك كانوا يسعون لوضع معلومات تمهد لاولئك الذين كانوا يرتادونها من المسافرين والتجار واصحاب البريد، فتصبح دليلاً لهم للوصول بين مدينة واخرى بأقصر الطرق واوفرها اماناً ووقتاً. كما ان تيسيرها بأيدي هؤلاء بين حين واخر، يظهر اهتمام أهل ذلك العصر بالتجارة.

ويؤكد الاصطخري ان طبرية هي مدينة الاردن الكبرى تقع على بحيرة عذبة الماء، طولها اثنا عشر ميلاً، عرض فرسخين أو ثلاثة فراسخ، وان صور التي وضعها المؤرخون والجغرافيون في جند الاردن خلال تلك الحقبة^(٤)، بلد من احسن الحصون التي على شط البحر، عامرة، خصبة، ونقل انه اقدم بلد بالساحل^(٥) ولا غرو فان هذه الاهمية لمدينتي طبرية وصور اللتين يتحدهما الاصطخري، انما تتمثلان بموقعها الذي لا يد ان يكون له تأثير في اتصالاتها، سواء على البحر او في البر والظاهر ان العمران الذي اشار اليه الكاتب فيما يتعلق بمدينة صور، حصل نتيجة خصبها واتجارها بالحاصل والمنتجات الزراعية.

ونقل ابن حوقل^(٦) التوفى سنة ٢٤٩هـ، المعلومات التي جاء بها الاصطخري، ولم يزد عليها سوى الاشارة الى العيون الحارة الجارية التي كانت تغذي بحيرة طبرية اذ أصبحت هذه العيون بمياهها المعدنية، مقصداً للناس من جميع الافاق، يغتسلون ويغوضون فيها ليوافق موضع شفائهم^(٧) ومن الطبيعي ان يرافق ذلك نشاط نقل وجلب بعض السلع والبضائع التي كانت تلقى رواجاً في هذه المدينة أو في غيرها من مدن الاردن.

غير ان المقدسي يزدونا بمعلومات مهمة عن طبرية التي وصفها بأنها، قصبه الاردن، وخصوصاً ما يتعلق بنشاطها التجاري، فيذكر ان في اسفل البحيرة جسراً عليه طريق يتجه نحو دمشق، وتلتف حول المدينة القسرى والنخيل والبحيرة كثيرة الاسماك خفيفة الماء، وان السفن فيها تذهب وتجيء^(٨) ويمضي صاحب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليوضح ان مدينة "اللجش". احدى توابع الاردن موضوعة بين اربعة من الرساتيق قريبة من البحر.

ثم يقدم لنا تفصيلات عن مدينة صور ومينائها الذي كان يستقبل المراكب والسفن التجارية، وقال: ان المدينة حصينة لا يمكن دخولها الا من باب واحدة تؤدي الى جسر احاط بها، وقد ابنتيت حيطان ثلاثة في داخل المياه المواجهة لها، واقتطعت من البحر ثم ركبت سلسلة من الحديد تمنع دخول المراكب في الليل، ويمكن ارجاؤها نهاراً "فتغطس في الماء، لكي تدخل السفن اليها لتقريغ حمولتها"^(٩). اما مدينة "عكا" فقد اكتسبت هي الاخرى اهميتها من موقعها على البحر المتوسط ومن مينائها الذي ابنتي منشاته احمد بن طولون صاحب مصر وبلاد الشام ٢٥٤هـ.

٢٧٠هـ/ ٨٨٢-٨٦٨م على غرار مدينة صور^(١٠). وتوضح اشارة المقدسي التي مفادها، ان العدو البيزنطي كان قبل ذلك يغير على المراكب في مدينتي صور وعكا^(١١)، توضح الاهمية البالغة لتجارة هاتين المدينتين اللتين بلغ من نشاطهما، انهما جلبتا انتباه اكبر اميراطورية تهيمن على تلك المنطقة وتبسط نفوذها السياسي والبحري والتجاري هناك.

وظلت عكا وصور، محتفظتين بمنزلتهما وازدهارهما التجاري خلال القرن الخامس الهجري، يؤكد ناصر خسرو، وجود ميناء عكا للمحافظة على السفن، ويبعدو ان هذا الرحالة، شاهد السفن الراسية وهي تملأ خليج المرفأ فقال انها: تشبه الاساطيل ظهرها ناحية المدينة وحائطاها داخل البحر وعلى امتدادهما، مدخل مفتوح وطوله خمسون ذراعاً وقد شدت السلاسل بين الحائطين، فاذا اريد ادخال سفينة الميناء ارخيت السلسلة حتى تغوص في الماء، فتمر السفينة فوقها، ثم تشد حتى لا يستطيع عدو ان يقصدها بسوء^(١٢) وقال عن صور: انها بنيت على صخرة امتدت في الماء بحيث ان الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع والباقي في ماء البحر، والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الذي سدت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلله، وفيها نافورات، ثم يصف اسواقها، بانها جميلة كثيرة الخيرات وخلص الى القول، ان صور عرفت بالثراء، مشيدة على مرتفع وتأتيها المياه من الجبل^(١٣).

وليس من شك في ان ما جاء به ناصر خسرو وهو شاهد عيان يعد استمراراً لدور هاتين المدينتين التجاري في هذا الجزء من بلاد الشام وفي منطقة البحر المتوسط، كما انه



جند الاردن، تعكس صورة واضحة عن مكانة هذا الاقليم وتميزه بسين اقليم العالم الاسلامي وذلك بنشاطه الاقتصادي وازدهار تجارته فكانت عكا اول ساحة التقى فيها التجار الايطاليون من البيزيين والجنوبيين والبنادقة، وتبعهم تجار من بلجيكا وانكلترا، فكانوا يجلبون حاصلات الغرب ويقايضونها بحاصلات الشرق وبضائعه، ثم راحوا يعقدون الصفقات التجارية الاصولية، اما صور فكان لها دور عسكري في مواجهة الغزو البيزنطي، ففيها دار صناعة المراكب والسفن ((ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم))^(١٢) ولكن لابد ان تسهم دار صناعة السفن في هذه المدينة في تزويد حركة التجارة بالسفن والمعدات اللازمة ومتطلبات تسييرها الى جانب ذلك فقد كانت مراكب صور تقلع الى سواحل خليج القسطنطينية (بحر ايجة) والى خليج البندقية (بحر الادرياتيك) والى بحر بنطس (البحر الاسود) وتخرج كذلك على جزائر قبرس ورووس واقریطش، وهي تحمل التجار المسلمين او وكلاءهم والتجار النصراني وغيرهم، وهو يصطحبون تجارهم وامتعتههم. واكتفى ابو الفدا في القرن الثامن الهجري، بذكر عكا وصور فقال: ((عكا مدينة كبيرة ساحلية، وان صور مدينة حصينة ساحلية فيها سلسلة تمنع المراكب من الدخول^(١٣))) ونستدل من قوله على ان هاتين المدينتين لا تزالان، حتى تلك الحقبة، تقومان بدورهما في تجارة بلاد الشام، اذ بقيت الاولى على توسعها منذ القرن الماضي، كما احتفظت الثانية بنظام مينائها الذي كان معمولاً به سابقاً، وخصوصاً وجود السلسلة التي كانت تربط واجهة الميناء الذي ترسو فيه السفن والمراكب التجارية.

ولا غرو فان ما ذهب اليه الاستاذ محمد كرد علي من ان مدينتي عكا وصور، كانتا المرفأين الاعظمين بين الموانئ وقاعدتي التجارة ومركزي القناصل العاملين أيام الحروب الصليبية^(١٤) كان صحيحاً إذ جاءت المراكب الفرنسية يقودها بحارة فرنسيون من مرسيليا ومونبيليه وآرل الى هذين الميناءين، وكان يحدهم الأمل في الحصول على تجارة مربحة مع بلاد الشام ومصر، كما بذلت جنوا بصورة خاصة جهودها لتبقي لها الافضلية في التجارة مع بلاد الشام والبلاد المصرية^(١٥).

وهكذا يكون من غير المتعذر، ان نستخلص التأكيد على

يقدم صورة فيها كثير من الوضوح لما شهدنا من ازدهار في الناحيتين العمرانية والاجتماعية وهو نتيجة منطقية فالثراء واليسر هما من سمات المدن التجارية في تلك الحقبة، إذ تعد مراكز استقطاب لأصحاب الثروات والاموال ومنها صور وعكا اللتان يشكل فيهما التجار المحليون والوافدون نسبة كبيرة في سكانهما فضلاً عن نمو أسواقهما.

أما الرحالة الربني بنيامين التطيلي، وهو من أهل القرن السادس الهجري فقد ذكر في رحلته الى بلاد الشام، ان صور مدينة جميلة لها خليج يتوسطها بين برجين عظيمين، تدخله السفن للرسو عند الميناء، وبين البرجين، سلسلة حديد معترضة عليها الحراس الامناء، يربطونها في أول الليل فيتعذر على سفن القرصان، سبيل الدخول للسلب والنهب، سواء من البر أو من البحر، ثم يبدي هذا الرحالة اعجابه ودهشته من نظام هذا الميناء فيقول: ((ليس في بلاد الدنيا ما يماثل هذا الميناء شأنًا))^(١٦).

ومن الجدير بالاشارة هنا الى ان التطيلي الذي سجل انطباعاته عن تلك المظاهر اثناء تجواله في بلدان العالم الاسلامي وغيره وفي بلاد الشام، قدم لنا شهادة موثقة عن النشاط التجاري لاقليم الاردن وشهرته في عالم ذلك العصر الذي تمثل التجارة وفعاليتها المختلفة فيه مظهراً من مظاهر الأبهة والمدينة ومدخلا الى الثراء واليسر.

وفي الربع الاول من القرن السابع الهجري، زار الرحالة ابن جبير منطقة بلاد الشام وكتب عنها مذكراته في رحلته، فذكر مدينة عكا التي هي من جند الاردن فقال: ((انها مرفأ كل سفينة)) حتى انه كان يشبهاها في عظمتها بالقسطنطينية التي تمثل في تلك الحقبة مركزاً تجارياً عالمياً، وقال ايضا ((انها مجتمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق)) وافاد ((ان سككها وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطئ الاقدام))^(١٧).

وهذه شهادة اخرى، لا تقل اهمية عن شهادة من سبقه من الرحالة بسنوات طويلة، لكنه زاد عليهم ما جاء في وصفه الدقيق والمقتضب عما شاهدته من السفن والمراكب وهي ترسو في الميناء من كل حذب وصوب ومن التجار من البلاد الاسلامية وغيرها وقد ملأوا شوارع المدينة بزحامهم فضاقت بهم.

ولا نجانب الحقيقة، اذا قلنا ان ما جاء به المؤرخون من معلومات مفصلة عن ميناءي صور وعكا وهما ومن كور



الأهمية التي ينطوي عليها وجود ميناءي الاردن عكا وصور في التاريخ الاقتصادي لبلاد الشام، وخصوصا اذا ما علمنا ان عكا بقيت بخليجها الوحيد على طول ذلك الساحل، مرسى للسفن، طوال العصور الوسطى، كما جلبت صور بمينائها المنظم اهتمام تجار العالم وبما اسبغته من حماية وامن كانا ضروريين لتجاراتهم التي كانت تتطلب مزيدا منها، في حوض البحر المتوسط الذي ما لبثت تتجول فيه سفن القرصان^(٣٦) لتهدد مراكب التجار والمسافرين اينما ظفرت بها على السواحل أو في عرض البحر.

الطرق التجارية:

ان قيام مملكة بيت المقدس الصليبية الممتدة من جبال طوروس الى القدس وعلى طول الساحل وانتشار مقاومة الصليبيين في جنوب الاردن، اوجد حاجة ملحة الى طرق اتصال تجارية بين المدن والحصون والقلاع لتأمين وصول المواد والسلع والتموين والبضائع بصورة منظمة ومستمرة، وقد اصبح ذلك نظاما ثابتا بين مدن الاردن الداخلية والساحلية، وظل العمل به حتى بعد طرد الصليبيين من بلاد الشام وفلسطين في نهاية القرن السابع الهجري، ولعل من أهم الطرق التي ظهرت هي:

١. طريق القاهرة دمشق البري والبحري، وهو طريق التجارة الأكثر ازدهارا بين الشمال والجنوب عبر بحر القلزم (البحر الاحمر).

٢. طريق الحجاج الشامييين والمصريين الذي ينطلق نحو بلاد الحجاز من جنوب الاردن، وقد سميت هذه الطريق "طريق القوافل الكبرى" وكان يجتازها المسافرون السوريون وهي لا تبعد عن البحر الا قليلا ويمر بشرق نهر الاردن خارج فلسطين وقد اتاحت الفرصة للتجار المسلمين في تبادل السلع مع التجار الاوربيين الذين كانوا يسلكون طريق البحر للوصول الى فلسطين في هذا الموسم، وقد انشأت على هذه الطريق معالم الامن والراحة للحجاج والمسافرين وقوافل التجار وهناك اشارة مفيدة اوردها ابو الفداء، توضح ان عمان من جند الاردن المدينة الاولى، تقع على درب حجاج الشام ويمر في جنوبها نهر الارقاء تنتشر حولها المزارع والبساتين^(٣٧)، وهذه الاشارة تساعدنا على القول، ان عمان كانت مركزا من مراكز تجمع الحجاج والمسافرين والتجار الشاميين والمصريين وهم في طريقهم الى الحجاز او لدى عودتهم من هذه البلاد.

٣. طريق البريد، الذي يبدأ من بغداد الى مصر، مارا بحماة وحمص وبلبك ودمشق وطبرية من أرض الاردن والرملة وغفار والقاهرة ثم الاسكندرية^(٣٨)، وكان التجار والمسافرون قد اعتادوا على نقل بضاعتهم وتسيير قوافلهم عليه، لوجود محطات على قاراته اشبه بالقرى والمدن الصغيرة فيها الخانات والسقايات والمرايط والمعالف فضلا عن توفر الامن وبعض متطلباته.

٤. وهناك طريق تجارية من بغداد الى بلاد المغرب العربي عبر بلاد الشام مار بمنطقة الاردن، وقد ذكرها قدامة بن جعفر وأشار الى انها تبدأ من بغداد الى الموصل وسنجار وبلد والجزيرة الفراتية ونصيبين والرقعة وحلب وحماة وحمص وبلبك ودمشق ثم منها الى طبرية الاردن ثم الرملة ثم القاهرة ومنها الى الاسكندرية واخرها القيروان^(٣٩) ومن المحتمل جدا ان تكون هذه الطريق سالكة طوال العصور العباسية، لانها تحمل اكثر تجارات العراق ومنها البصرة الى بلاد الشام وبلدان المغرب العربي، وكانت "دومة الجندل" المحطة الوحيدة في الطريق بين العراق وبلاد الشام وهي تبعد سبع مراحل عن دمشق وتسع مراحل عن طبرية الاردن^(٤٠).

٥. وهناك ما يشير الى وجود طريق تجارية داخلية، يمثل نهر الاردن فيها جزءا مهما فهو ينحدر من خلف بانياس فيتجر بازاء قدس، ثم ينحدر الى طبرية، وعندها يشق البحيرة ثم ينحدر في اغوار الاردن، وتحمل في السفن الصغيرة في هذه الطريق حاصلات المدن ومآجرها الى جميع المناطق التي تمر بها ثم تعود حاملة معها بضائع تلك الاصقاع^(٤١).

٦. ونسمع عن طريق من جند الاردن وكورها الى جزيرة قبرص التي تقع قبالة مدينة صور وعلى بعد (٩٢) كيلو مترا وكانت قبرص تضم مدنا عامرة وللمسلمين فيها رفق وسعة لكثرة ما يحمل منها من الخيرات والثياب والالات وهي لمن غلب، المسافة اليها في البحر اقلع يوم وليلة وذلك على حد قول المقدسي^(٤٢) وبعد استيلاء الجنوبيين ومن ثم البنادقة، خلال الحروب الصليبية على هذه الجزيرة ازدادت صلاتها مع بلاد الشام وخصوصا التجارية، اذ نشط التجار الايطاليون والمسلمون في ايجاد فنادقهم وقياسهم ووخاناتهم سواء في مدن قبرص أو الاردن بغية الانصراف الى



منها ومن صيدا^(٣١) وبقيت هذه المدينة تتجر بالار جوان وهو نوع من الصبغة يصنع في صور، وكان الاوربيون يتهافتون في الحصول عليه^(٣٢) وفي مدينة عمان جبال حمر يسمى ترابها "السمة" وهو تراب رخو وفيها كذلك جبال بيض تسمى "الحوارة" فيه ادنى صلابة يبيض به السقوف ويطين به السطوح^(٣٣) ومن المرجح جدا ان السمة والحوارة تدخل في اكثر المباني والمنشآت في الشام والبلاد المجاورة.

وتؤكد المصادر المتوفرة على الاتجار بالـالحاصلات والمنتوجات الزراعية في اغلب مدن الاردن، فمدينة "بيسان" على النهر كثيرة النخيل والارزاق و"كابل" مدينة ساحلية، بها مزارع الاقصاب، وبها يطبخ السكر الفائق و"الفرادية" قرية كبيرة، معدن الاعناب والكروم، بها ماء غزير وموضع نزيه^(٣٤) و"الصلت" (السلط الحالية) في جبل الغور الشرقي، فيها بساتين كثيرة وحسب الرمان الجلوب منها مشهور في البلاد وهي بلد عامر أهل بالناس^(٣٥) و"الكرك" بلد مشهور، احد المعامل بالشام، لها بساتين كثيرة وفواكهها مفضلة من الشمس وغير ذلك، في الافاق و"الشوبك" بلد صغير كثير البساتين وفواكهها من الشمس وغيره مفضلة وتنقل الى ديار مصر^(٣٦) وفي البحيرة القريبة من مدينة "قدس" انواع من السمك منه البني حمل الى واسط^(٣٧).

ومهما يكن من امر تجارات هذه المدن التي ذكرها المؤرخون ووصفها الرحالة، سواء التي شهرت بالصناعة الحرفية أو بالزراعة فانها اوجدت بالضرورة الركائز الاساسية للنشاط التجاري على النطاق الداخلي في بلاد الشام عموما أو مع البلدان المجاورة أو البعيدة وهو ما كان يجري في جميع البلاد الاسلامية ولعل من أهم الركائز التي نقرأ عنها، المعاملات (المصنوعات) التي اشار اليها المقدسي^(٣٨) وهي تشمل على ما يبدو، جميع ما يصنع من المعادن أو من الحاصلات الزراعية أو من المنتجات الحيوانية التي هي من المواد الأولية الخام، أي ان موارد هذه المدن ونتاجها العام، خلق توجيها نحو التجارة فضلا عن نمو فئة الصناع والعاملين والحرفيين، الذين كانوا يجدون المادة الأولية لصناعاتهم^(٣٩).

اما الركيزة الاخرى، فهي فئة التجار بأصنافهم ومراتبهم وتخصصهم التدريجي في عملية الاتجار، فيذكر

تجاراتهم وتنظيم تعاقداتهم وممارساتهم الاقتصادية. ولعل من المراكز التجارية المهمة في الاردن، خليج ايلة "العقبة" التي امتد اثرها منذ العصر العباسي حتى وقتنا الحاضر، وقد عدا المؤرخون ميناء ايلة من أهم الموانئ على بحر القلزم (البحر الاحمر) فهو يشكل احد المنافذ الرئيسية في شمال هذا البحر، فعن طريقها يتم نقل السلع والحاصلات من الغرب الى الشرق وبالعكس وكانت مدينته تيسر عقد الصفقات التجارية بين المصدرين والموردين كما تؤمن وصول تجاراتهم الثمينة احيانا باقل كلفة وبأسرع وقت واكثر تأمينا حتى اصبحت ايلة مطمحا للغزاة والفاتحين، وخصوصا الصليبيين الذين ساروا بعد نشر سيطرتهم في جنوب الاردن وعلى ميناء قلعة الشوبك سنة ٥٠٩هـ / ١١١٠م الى احتلالها وابتناء المعقل والحصون والقلاع حولها لاحكام السيطرة على الطرق والممرات التي كانت تتحكم فيها.

الصناعة والزراعة وتجارتهما:

على الرغم من صعوبة فصل الصناعة عن التجارة في هذه الحقبة بشكل قاطع عن بعضهما، اذ كان الناس الذين ينتجون سلعة ما يقومون في الغالب بالاتجار فيها، كما يتجرون بالسلع المماثلة لها^(٤٠) ولكن يمكن الى حد ما، التمييز في بلاد الشام عموما وفي جند الاردن بصورة خاصة، بين السلع الموردة والمواد والبضائع التي كانت تصنع في مدن الاردن ويقوم الصنعون الحرفيون أنفسهم بالاتجار فيها وكذلك بين البضائع التي كان يتخذها هؤلاء في تجاراتهم وهي ليست من صنعهم بل كانوا يبتاعونها سواء من الداخل أو الخارج، فمدينة "اللجون" تنتج الزيت والزيتون الذي ليس في شيء من البلدان اكثر منه في بلادنا^(٤١) ومدينة قدس كثيرة الخير، اكثر اهلها ينسجون الحصر ويفتلون الجبال وقريب منها جبل عاملة ذو قرى نفيسة واعناب واثمار وزيتون وهو يطل على البحر ويتصل بجبل لبنان^(٤٢)، وكانت اكثر تجارات اجناد الشام من الزيت والحصر والحبال للسفن من هذه الكور وسواها، كما كان من بين سكان مدينة صور من يحترف صناعة الزجاج النفيس المعروف بالزجاج السوري الشهير في العالم وفيها كذلك السكر الجيد^(٤٣) ومعلوم ان صور كانت مشهورة بصنع الزجاج والسكر في العصور الوسطى، وقد ظلت معاملها تصدر هاتين المادتين حتى سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م، كما كانت ايضا اول مدينة اشتهرت بصنع الاصباغ منذ عهد الفينيقيين، وكان التجار يستوردونه

المقدس، وجود التجار والصناع^(٣٣) واهل الثروة واليسار^(٣٤)، كما يشير الى توفر معادن الكبريت والرغام والسمقية والحرارة (شبيه بالحبس والبورك للبناء والتشييد^(٣٥)) فضلاً عن وجود مزارع الاقصاب والنخيل والاعناب والزيتون والحبوب والاشجار والفواكه^(٣٦).

ومن الجدير بالذكر، ان هناك ما يشير الى وجود الصيارفة والجهابذة^(٣٧) الذين كانت تتم على ايديهم عمليات تجارية مختلفة، وخصوصاً ما يتعلق بالتباعدل، سواء بالنقد أو بالمقايضة، غير أنه لا يوجد لدينا ما يدل على وجود تجارة الائتمان بالصكوك أو بتحويل ثمن الشراء الى الصراف، وهو أسلوب من المعاملات التجارية كانت تجري في بعض البلاد الإسلامية^(٣٨).

التبادل وتجار المدن :

تسود منطقة البحر المتوسط، ظاهرة الحرية في نقل الصناعات والحاصلات الفائضة والمتعددة من بلد لاخر، ويرجع وجود هذه الظاهرة الى جهود ما قبل التاريخ، اذ مزج الناس في تلك البقعة وصهروا في عالم دائب التبادل في السلع والرجال والخبرة الفنية^(٣٩)، ويمكن ان نلمس تدفق السلع المستمر بين بلدان البحر المتوسط وأوروبا خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، فكان التجار الافرنج يستبضعون من ديار الشام، الحرير والقطن والكتان والخام والانسجة الكتانية والحريرية.

اما حركة الصناعيين الحرفيين في هذه المنطقة، فنجد المصريين في بلاد الشام والشاميين في بلاد المغرب العربي وكان منهم الصباغون والصاغة والفراؤون والخياطون والنساخون وصانعو الزجاج (الزجاجون) وغزالو الحرير والاسكافيون وغيرهم كثيرون من اصحاب الحرف والصناع. كما نستطيع ان نرى الى جانب هؤلاء تجاراً من بلاد الشام منتشرين في محيط البحر المتوسط، وتجار من القاهرة وتونس والاسكندرية والمهرية في صور وعكا وعسقلان وطبرية ودمشق وبيروت وبلبك وغيرها من الديار الشامية، وكان هؤلاء يجاهدون في حمل متاجرهم والتفتيش عن عملاء يبتاعونها، أو العثور على سلع مناسبة يمكنهم مبادلتها أو شراؤها. وفي هذا الصدد، نسمع عن اليعقوبي^(٤٠) وهو يتحدث عن مدينة صور يشير من

طرف خفي، الى تصديرها للسفن والراكب المصنوعة في دار صناعتها (ترسانتها) الى مصر وبلاد الروم، ثم نسمع في القرن السادس الهجري عن تجار بالارحوان والوانى الصينية والزجاج والثمار والعقاقير والحشائش الطبية والافاويه العطرية. وبقيت هذه المدينة، تعامل من قبل تجار الافرنج معاملة مثلى لا يمس احدهم بأذى، ولا يتعدى على حقوقه^(٤١). وعن المقدسي، وهو يعدد تجارات بعض مدن الاردن بقوله: ((ومن مدينتي "صغر" (ولعها صفد) و"بيسان" يصدر النيل والتمور من مدينة "عمان" الحبوب والخرفان والعسل والرز ومن "طبرية" شقاق المطارح والكاغد (الورق) والبر (نوع من النسيج) ومن "قدس" ثياب المنيرة والبلعيسية والحبال ومن "صور" السكر والخرز (أو الجزر) والزجاج المخروط ومن "مأب" قلوب اللوز^(٤٢)، ويفهم مما اورده ناصر خسرو ان هناك تجارة للمرور^(٤٣) (الترانسيت) كانت تزاولها مدينة "صور" ويؤيد التطيلي ما جاء في المصادر، عن شهرة صور بالسكر والزجاج^(٤٤) وان مصانعها كانت تصدره الى الافاق، فنجد في الاسكندرية وتونس والقيروان، كما كان المغاربة يستهلكون "فستق الشام" الذي كان يصل اليهم مع الاصناف الاخرى بواسطة التجار البصريين والشاميين^(٤٥) وكذلك الاقمشة المذهبة المنقوشة^(٤٦).

اما عن المستوردات فليست لدينا معلومات كثيرة ومفصلة ولكن يمكننا ان نقرر من خلال ما اورده المصادر التي اتيح لنا الاطلاع عليها ان تجار بلاد الشام ومنهم تجار الاردن كانت لهم دور وكالة^(٤٧) في القسطنطينية وفي القاهرة وفي العراق^(٤٨) (لعله في بغداد أو البصرة) وعن طريقها كانوا يتجرون عن البضائع المناسبة للبلاد الشامية لعقد صفقات تواريخها الى هناك، ونسمع عن استيراد "بيسان" احدى مدن الاردن، التمور الكثيرة والدبس من البصرة^(٤٩) وذلك بواسطة التجار الشاميين والعراقيين وغيرهم ومن ههنا استدل على وكالة الشاميين في البصرة، فقد كانت هذه الاخيرة مأوى كل تاجر وطريق كل عابر^(٥٠) ومن الجهة الاخرى، فإن تجار العراق ومصر والمغرب والشرق الاقصى وبلاد فارس، كانت تحدهم الرغبة المشوبة بالمعانة في الوصول الى بلاد الشام لتصريف بضائعهم من توابل الهند

التجار المسلمين والهندوس والمسيحيين للرواج في تجارات مربحة^(٣٨). وذكر التطيلي، ما يشير الى وجود هذه العائلات اليهودية في مدينة صور وهي تتجر بواسطة السفن والمراكب التي كانت تمتلكها فتجوب البحار في الشرق والغرب، كما كان بعضهم من احترف صناعة الزجاج والسكر^(٣٩).

ومن الجدير بالذكر ان الضرائب التي كان يفرضها الحكام والولاة على اقاليم بلاد الشام ومنها جند الاردن، كانت باهظة اذا قورنت بما كان يستحصله حكام الولايات الاخرى في البلاد الاسلامية، فقد فرض الحمدانيون في عهد سيف الدولة اموالا على مناطق بلاد الشام لا يبالغ المقدسي كثيرا في تقديرها، فقرر على قنسرين ان تدفع (٣٦٠) الف دينار وعلى الاردن (١٧٠) الف دينار وعلى فلسطين (٢٥٩) الف دينار وعلى دمشق اربعمائة ونيّف دينار وعلى حمص (٢٤٠) الف دينار، اما خراج الاردن فهو (٢٥٠) الف دينار وخراج فلسطين (٥٠٠) الف دينار^(٤٠) ويمكن ان نستدل من هذه الارقام على النشاط الاقتصادي المتعدد الجوانب الذي تمتاز به هذه البلاد ولعل التجارة في مقدمتها.

اما وحدات الاوزان والنقود التي ارى فائدة من عدم اغفالها في موضوع التجارات وتبادل السلع (البيع والشراء) الذي يستند في اساسه على الوزن وخصوصا ما يتعلق بكثير من سلع المحصولات والمعمولات والمصنوعات الحرفية، وما يختص بالنقد، قيمته وحجمه وعياره.

ووحدة الاوزان المستخدمة في بلاد الشام ثلاث:

١. وحدة الصاع
٢. وحدة المدى
٣. وحدة الارطال

اما الوحدة النقدية في هذه البلاد خلال الحقبة التي نهتم بدراستها فاساسها "الشعيرة" التي تدخل في قيمة الدينار والدرهم وربما في عيار الدينار (اي نسبة المعدن الثمين الذي يدخل فيه) ففي مدينة "الرملة" في فلسطين تحسب كل ١,٥ صاع كيلجة واحدة وان كل (٣) كيجال يعادل مكوكا واحدا ويساوي (١٠,٥) صاعا وكل (٢) مكوك يعادل (١) وية والوية (٢١) صاعا، اما اللفيز فيساوي (٤) ويات ويعادل (٨٤) صاعا. وفي مدينة "ايليا" يستخدم المدى الذي يساوي (٣) قفيزات ويحول الى (١٧٢) صاعا، وعلى هذا الاساس فكل (٢/١) مد يعادل قفيزا واحدا ويساوي (٤٢)

والعطور والفلل والدارصيني (القرفة) والقرنفل والزنجبيل والمسك والكافور والعقاقير والسياب والحناء والمناديل البلية (نسبة الى الابل في البصرة) والعمائم والاحجار الثمينة ونسيج الذهب واسنان الفيل والحريير والياقوت والماس واللؤلؤ والبللور والسنباذج والقصدير وخشب الساج وقرن الكركدن فضلا عن الذهب والفضة والطاووس والنعام وريشهما والقردة والموازين والطنافس والرصاص والاحذية، ولعل ابن جبير يجعلنا اكثر اقتناعا في ذلك وخصوصا عندما نقرا له ان عكا التي هي من جند الاردن، ملتقى السفن والتجار المسلمين والنصارى من جميع البلاد حتى انها كانت تضيق بهم^(٤١) كما ان هذه المدينة كانت الميناء الوحيد لتوريد الارز الى بلاد الشام بغية توفيره بسبب كثرة اعتماد السكان على هذه المادة مما رفع من شأنها ليس على نطاق الاردن فحسب وانما في جميع بلاد الشام والعالم الإسلامي، فضلا عن انها كانت المدينة الاكثر اتصالا باوروبا عن سواها من المدن الشامية فاصبحت مطمحا للغزاة الذين كانوا يستهدفون احتلال الشام وفلسطين^(٤٢).

اما دور التجار اليهود "الراذانية"^(٤٣) ويسمون ايضا "تجار البحر الرهدانية"^(٤٤) في نقل تجارة بلاد الافرنج، الى الشام عن طريق البحر المتوسط، فيمكن فهمه على اساس الاتجار بالذهب والنقود وهي ائمن تجارات ذلك العصر واغلاها واكثرها نفعا وربحا وكذلك الديباج والخز الفائق، فكانوا يحملون بضائعهم هذه بانفسهم من اواسط اوربا الغربية عن طريق مرافئ البحر المتوسط منها عكا وصور وبירות، فيبيعونها أو يبادلونها بسلع غيرها ثم يتجهون نحو بغداد والبصرة ويسلكون طريق الخليج العربي للوصول الى الهند والصين ثم يعودون ببضائع هذه البلاد، كما انهم يعرجون بطريق آخر الى بلاد المغرب الاسلامي فيتوغلون للوصول الى مراكزه التجارية ويحصلون على الذهب من السودان^(٤٥) وأودغست^(٤٦) ويعودون به الى اوربا عن طريق بلاد الشام وانطاكية والقسطنطينية^(٤٧) وربما تاجروا بالذهب والنقود هناك.

لقد كشفت جنيزة^(٤٨) القاهرة، ان عائلات يهودية كانت تمتن التجارة في فلسطين وصور وعكا والبصرة والاسكندرية وبعض بلاد المغرب، وقد تعاونت هذه الاسر فيما بينها على تبادل الصفقات التجارية والمشاركة مع

بداية القرن السادس الهجري يساوي (١٠) دراهم واحيانا (١٠,٥) درهم وفي وقت آخر يساوي (١١,٥) درهما. ولعل من المفيد انقول، ان نقود بلاد الشام ومنها الاردن في هذه الحقبة من دراستنا، كانت تقوم على اساس مزدوج وهو الدينار الذهبي والدرهم الفضي وهي النقود التي ورثتها هذه البلاد عن دولة بني امية وتتمثل بالنقود الهبرية التي ضربها عمر بن هبيرة والخالدية نسبة الى خالد بن عبد الله البجلي واليوسفية التي سكها يوسف بن عمر وكلهم من عمال العراق وولاته وكان العباسيون قد أبقوا التعامل فيها وخصوصا في العصر العباسي الاول. والمؤسف ليست لدينا معلومات مفصلة عن هذه النقود من حيث انسجامها وخصوصا ما يتعلق بعيارها أو حجمها أو وزنها أو فيما يتعلق باستداولها وكثرتها في ايدي الناس، مما يؤدي الى رخص ثمنها وكيفية طردها للعملات الاخرى سواء الجيدة منها أو الرديئة في السوق وفي محيط التداول.

واغلب الظن ان الدنانير "الارمانوسية"^(٧٤) و"الرابطية"^(٧٥) و"الصورية"^(٧٦) و"المصرية"^(٧٧) و"الاميرية"^(٧٨) كانت معروفة لدى اهل الشام وفي الاردن لتوفرها بايدي التجار الذين كانوا يختلفون الى الموانئ وتدل الحركة التجارية النشطة في الموانئ على ليونة النقد والتعامل بالدنانير الوافدة، فاغلبها كان عملة جيدة، يطلبها ويسعى اليها التجار لأنهم كانوا يتجافون مناطق العملة الرديئة والرخيصة في معاملاتهم وصفقاتهم التجارية. لكننا لا نميل الى الاعتقاد بوجود "القرضة" وهي اجزاء السكة وكسورها، وتقطع من الدينار الذهبي^(٧٩) وذلك في منطقة الاردن على الرغم من شيوعها في بعض البلاد الاسلامية^(٨٠) وربما كانت تدخل عن طريق بعض تجار العراق والجزيرة الفراتية لوجود التعامل فيها ولقرب هذه البلاد من الشام، ولكن لم يكن يؤخذ بها بصورة رسمية ودائمة.

اما دور ضرب النقود في الشام والاردن بصورة خاصة فهي نفسها التي كان قد اوجدها الامويون ثم ابقى على بعضها العباسيون في دمشق وحلب والرملة وعكا وغيرها، لكن معلوماتنا عنها لا تزال قليلة وغير كافية.

صاعاً. وفي مدينة "عمان" يستخدم المدي الذي يعادل (٦) كيلال التي مجموعها (٩) ساعات. ويشير المقدسي الى ان اهل عمان كانوا يبيعون في هذه الوحدة، الزبيب والقطين^(٨١)، وربما السملع والحاج الاخرى، ولعلمهم كذلك كانوا يستخدمون ما جرى عليه اهل الرملة أو اهل ايليا ايضا من وحدات للوزن في بيعهم وشرايهم، ويبعدو على اغلب الاحتمال، ان مدن الاردن الاخرى تستخدم اوزانا مختلفة، ففي مدينة "صور" القفيز يساوي (١) مدي ايليا أي (٢) قغيزات من الرملة ويعادل (١٧٢) صاعاً، اما الكيلجة عندهم - فهي صاع وغراره والاخيرة ربما تكون من وحدات الصاع. وفي دمشق يحسبون كل (١,٥) قفيز بما يساوي (١٢٦) صاعاً.

اما الارطال، فيجري استخدامها في بلاد الشام، ابتداءً من مدينة حمص حتى مدينة الحفار وتساوي ستمائة^(٨٢) وحدة وزنية وهذه الوحدة يوضح المقدسي الذي ذكرها ما هيته وطبيعتها غير انه يذكر ان رطل عكا الذي يساوي (١٢) اوقية، هو الذي فرض وجوده في عمليات البيع والشراء، وان الاوقية تساوي على حد قوله من (٥٠) الى بضع واربعين من هذه الوحدات، اما رطل قنسرين فيساوي (٤) اوقيات أي بمقدار ثلث رطل عكا. وفي موضوع النقد والعملات المستخدمة في الاردن ومدنه فان المعلومات عنها لا تكاد تفي بالاجابة الدقيقة والمفصلة فالتنقد اساسه "الشعيرة" اذ ان الدرهم يساوي (٦٠) حبة وان كل حبة واحدة تساوي شعيرة واحدة وان الدانو يساوي (١٠) حبات اي (١٠) شعيرات ويمكن تحويل الشعيرات الى قراريط الدينار الذي يساوي (٢٤) قراريطا يعادل في الوقت نفسه (٨٤) شعيرة، ونستطيع ان نحسب قيمة الدينار والدرهم بالشعيرات اذا عرفنا ان القراريط يساوي (٣,٥) شعيرة^(٨٣) نستخلص من ذلك ان الدينار الذهبي الذي كان يجري التعامل فيه في معظم بلاد الشام والاردن خلال تلك الحقبة يساوي (١,٤) درهما فضياً، اي ان الدراهم الفضية كانت غالية ويتطلبها الناس وذلك بعكس ما كان سائداً في البلاد الاسلامية الاخرى، فالدينار في العراق في

- (١٤) سفرنامه (نقلها الى العربية د. يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب اللبناني الجديد، ط ٢، ١٩٧٠) ص ٥١-٥٠.
- (١٥) م. ن. ص ٥٠.
- (١٦) رحلة بنيامين التطيلي (ترجمة عزرا حداد، بغداد، ط ١، ١٩٤٥) ص ٩١-٩٢.
- (١٧) رحلة ابن جبير (دار صادر، بيروت، ١٩٥٩) ص ٢٧٦.
- (١٨) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٢٧.
- (١٩) تقويم البلدان، ص ٢٤٢، ٢٤٥.
- (٢٠) خطاط الشام (بيروت، ١٩٧٠) ج ٢، ص ٢٤٥.
- (٢١) اقدم القناصل التي جاء ذكرها، هم الذين عينتهم جنواليا بها في مدينة عكا سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م وكان هؤلاء القناصل يصادقون على توقيعات العقود والوصايا والوثائق والصكوك ويتشبهون من هوية الوافدين الجدد من مواطنيهم، وخصوصا ما يتعلق بالتجار فيحسمون الخلافات التي كانت تقوم بينهم، واول ما ورد اسم القنصل في جملة النزلة الجنوبية التي كانت في عكا، اواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وقد دعوه بنائب القمص (-) ثم انتشرت هذه الرتبة في المناطق الاخرى.
- انظر: محمد كرد علي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٥.
- (٢٢) رحلة التطيلي، ص ٩١-٩٢.
- (٢٣) تقويم البلدان، ص ٢٤٩.
- (٢٤) آدم متر، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ص ٤١٢.
- (٢٥) كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٢٧-٢٢٩.
- (٢٦) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١١٥.
- (٢٧) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ١٨٤.
- (٢٨) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ١٨٤.
- (٢٩) جواتيائين، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، (الكويت، ١٩٨٠) ص ١٤٧.
- (٣٠) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١١٦.
- (٣١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٦١.
- (٣٢) رحلة بنيامين التطيلي، ص ٩٢ واقترن بالسكر انواع عديدة من الشراب والحلويات والساكر.
- (٣٣) رحلة بنيامين التطيلي، ص ٩٢، هامش رقم (٢).
- (٣٤) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٣، ص ٢٤٥.
- (٣٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٦٢، ١٨٤.
- (٣٦) م. ن. ص ١٨٤.
- (٣٧) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٤٢.
- (٣٨) م. ن. ص ٢٤٥.

- (١) وهو ما درج عليه المؤرخون منذ ان جند الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بلاد الشام، اربعة اجناد، جند دمشق وجند الاردن وجند حمص وجند فلسطين، ثم ظهر في عهد الامويين جند قنسرين فقال اليعقوبي: ((جند حمص من اوسع مدن الشام وجند دمشق وجند الاردن وجند فلسطين (كتاب البلدان) (الكتبة المرتضوية، النجف ١٩١٨) ص ٨٥، ٩٠، وقيل الجند: المدينة، جمعه اجناد، واجناد الشام خمس كور، دمشق، حمص، قنسرين، الاردن وفلسطين، وقد سميت بذلك لأن جند كل موضع يقبضون (اعطياتهم فيه، وقال ابن رسته: ((فجند عمر الشام، اربعة اجناد ومتفرقة في ايدي عماله، وبقيت على ذلك التجنيد حتى زاد فيها يزيد بن معاوية قنسرين وكانت من أرض الجزيرة، وجند فلسطين وهي الرملة وجند الاردن وهي الطبرية وجند دمشق وجند قنسرين (كتاب الاعلاق النفيسة، ليدن- ١٨٩١) ص ١٠٧.
- (٢) كتاب البلدان، ص ٨٨-٨٩.
- (٣) الاعلاق النفيسة، ص ١٠٧.
- (٤) المسالك والممالك (اعادت طبعه بالافوسيت، مكتبة المثني ببغداد)، ص ٧٨.
- (٥) كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٢٧-٢٢٩.
- (٦) م. ن. ص ٢٥١.
- (٧) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٢٧، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٧٨، ابن الفقيه الهمداني، مختصر البلدان، ص ١١٦، ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٤٢.
- (٨) المسالك والممالك، ص ٤٥٤.
- (٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٨٥-١٨٦.
- (١٠) م. ن. ص ١٦١.
- (١١) احسن التقاسيم، ص ١٦٢-١٦٤.
- (١٢) يذكر المقدسي، ان احمد بن طولون، الذي حكم مصر وبلاد الشام احب ان يتخذ لعاك مثل ما كان لصور ومنعتها واستدارة الحائط على مينائها، لجمع صناعات الميناء ومهرته وعرض عليهم ذلك فذكروا له ان ابا بكر البناء، وهو احد العارفين بهندسة بناء الموانئ، فكتب الى عامله على بيت المقدس فارسله اليه، فقام بمهمته في اقتطاع قسم من البحر يقع قبالة المدينة وبنى جوله وربطه بسلسلة ثم جعل على الباب قنطرة يدخل الى السفن والمرابك فيها، وعندما اكتمل دفع احمد بن طولون نظر ذلك الى ابي بكر البناء الف دينار وخلا مكافأة له (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٦٢).
- (١٣) م. ن. ص ١٦٢.

(٦١) وسموا ايضا "الرهمانية" أو "الراهدانية" وقد اشتق هذا من اسم نهر الرون، فنسبوا اليه (آدم متر، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٢٧١)
(٦٢) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص٢٧٠، ويسميه ابن الصغير المالكي "الرهاده" (سيرة الائمة الرستميين، ص٤١، ٥٧)

(٦٣) مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢١٩
(٦٤) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص١٥٩
(٦٥) جوايتاين، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص٢٧٧

(٦٦) المقصود بكلمة "جنيزة" حجرة تتخذ مخزنا، كان يلحق بالعبد اليهودي أو أي مكان تخزن فيه الاوراق المكتوبة بالخط العبري أو غيره، ويعتقد بأنه يجب ان لا تقطع اية ورقة يسطر عليها "اسم الله" وانما تحفظ في مكان امين، و جنيزة القاهرة هي جنيزة كنيسة الفسطاط (مصر القديمة) والجنيزة القريبة من جبانة البساتين بالقاهرة، وقد عرفت هاتان الجنيزتان باسم جنيزة القاهرة وضمت عقودات ومحاضر للجلسات والخطابات والتقارير (جوايتاين، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، ص٢٤٢، ٢٤١)

(٦٧) جوايتان، المصدر السابق، ص٢٨١، ٢٨٢
(٦٨) رحلة بنيامين التيطلي، ص٩١، ٩٢
(٦٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٩
(٧٠) احسن التقاسيم، ص١٨١

(٧١) م. ن، ص١٨٢
(٧٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٢
(٧٣) البيهزنية، تنسب الى الامير طور رومانس الثاني (القلشندي، صبح الاعشى) ج٧، ص١٠، ١٣
(٧٤) وهي الدنانير الذهبية ومصدرها بلاد الاندلس في عهد المرابطين

(٧٥) وهي الدنانير "المشخصة" افريقية ورومية (القلشندي، المصدر السابق، ص٤٣٧)

(٧٦) وقد شاع التعامل فيها في بلاد الشام والجزيرة (٧٧) الدينار العباسي، الذهبي الذي كتب عليه اسم والي العهد وقد منع التعامل بغيره من العملات التي ضربت في دار الضرب ببغداد.

(٧٨) وتسمى "مثلوما" اذا بقي ما يساوي اكثر من القراضة المقطوعة منه ليصبح الدينار يساوي مجموع حجمي (القراضة والمثلوم) (ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣١٢، ٣٩٦)

(٧٩) ذكر ابن خلكان، ان الناس كانوا يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونهم القراضة، وهي كثيرة الوجود بايديهم في معاملاتهم وخصوصا في بلاد الجزيرة والعراق (وفيات الاعيان، ص٣٩٦) وأشار الذهبي الى ان الناس كانوا يتعاملون بقراضة الذهب القيراط والحبنة ونحو ذلك (العبر في خبر من غير، الكويت ١٩٦٦) ص

(٢٩) المقدسي، المصدر السابق، ص١٦٢
(٤٠) م. ن، ص١٨٤، ونوه كذلك الى وجود معادن المغرة الجيدة والحديد والرخام والكبريت والملح في مناطق مختلفة من بلاد الشام. ومن المحتمل ان يتجر بها الناس في الاردن.

(٤١) احسن التقاسيم، ص١٥٢
(٤٢) م. ن، ص١٥٢
(٤٣) م. ن، ص١٨٤
(٤٤) م. ن، ص١٥٢
(٤٥) م. ن، ص١٨٢

(٤٦) يطلق الدكتور عبد العزيز الدوري على طريقة المعاملات التجارية بهذا الاسلوب، طريقة التعامل المزدوج، وهو ان يأخذ التجار العملة المحلية لقاء بضائعهم ثم يشترون بهذه النقود بضائع من تلك البلاد وقد وصلت هذه الطريقة حد الكمال في البصرة خلال هذه الحقبة، اذ كانت العملية بوجهيها تتم عن طريق الطرفين دون الحاجة الى استعمال النقود فعلا (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت، ١٩٧٤)، ص١٥٤

(٤٧) جوايتاين، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص١٧١
(٤٨) كتاب البلدان، ص٨٨، ٨٩
(٤٩) محمد كرد علي، خطط الشام، ج٣، ص٢٤٥
(٥٠) احسن التقاسيم، ص١٨٠
(٥١) سفرنامه، ص٥١
(٥٢) سفرنامه، ص٥١
(٥٣) رحلة التيطلي، ص٩٢

(٥٤) د. عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي في القرن السادس الهجري (بيروت، ١٩٨٢) ص٣٢٨

(٥٥) المنتمون اليها يسمون، نواب التجار أي "وكلاء التجار" وبالعبارة بيكيدها اسو حاريم ويميل جوايتاين الى القول ان هذه الوظيفة هي صورة مطابقة لقنصل المدن الايطالية التجارية في بلاد المشرق وفي الشام بصورة خاصة، ومهمته تشييد دار الوكالة ليخزن فيها بضائع زبائنه وتستخدم لعقد الصفقات التجارية العامة، اذ من المعتاد ان تجري صفقات البيع والشراء فيها (دراسات في التاريخ الاسلامي، ص٢٧١، ٢٧٢)
(٥٦) ابن ميسر، تاريخ مصر (نشر هنري ماسيه، القاهرة ١٩١٩)، ص٦٢، ٨٨

(٥٧) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٠
(٥٨) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص٩٣
(٥٩) رحلة ابن جبير، ص٢٧٦

(٦٠) اشار المصدر السابق الى ان الافرنج انتزعوها من ايدي المسلمين فاصبحت قاعدة من قواعدهم في بلاد الشام، وكان ذلك يمثل اكبر خسارة للعالم الاسلامي (فبكي لها الاسلام ملء جفونه، وكانت احد شجونته، ص٢٧٦)

المصادر والمراجع

- آدم منز .
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، عصر النهضة في الاسلام (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان).
الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٢٤٤هـ/١٥٢م).
المسالك والممالك (القاهرة، ١٩٦١).
بنيامين التطيلي، الرحالة الربي بنيامين يسمونه التطيلي النباري الاندلسي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٢م) البكري، ابو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (الطبعة الاوروبية، ١٨٥٧م).
ابن جبير ابو الحسين محمد بن احمد الكنانى الاندلسي الشاطبي البلسني (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م).
رحلة ابن جبير (دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٩).
س. ن. جوايتان .
دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية (ترجمة د. عطية القوصي) (الكويت، ١٩٨٠).
ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) صورة الارض (دار مكتبة الحياة، بيروت).
ابن خرداذبه ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م).
المسالك والممالك (اعادت طبعه بالافوسيت، مكتبة المثني، بغداد).
ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٢م).
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان (مصر، ١٣١٠هـ).
ابن رسته ابو علي احمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م).
الاعلاق النفيسة (لیدن، ١٨٩١م).
ابن الصغير المالكي، عبد الله بن ابي عبد الله (ت نهاية القرن الخامس الهجري).
سيرة الائمة الرستميين (باريس، ١٩٠٨).
د. عبد العزيز الدوري .
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨).
د. عز الدين احمد موسى .
النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، خلال القرن السادس الهجري (دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢).
آق سادامة بن جعفر ابو الفرج، الكاتب البغدادي (ت ٣٢٠هـ/٩٢٢م).
نبذ من كتاب الخراج مصنعة الكتابة (منشورات مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة).
الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ابن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
العبر في خبر من غير (تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٠).
ابو الفدا، اسماعيل بن نور الدين بن علي بن محمود بن محمد (ت ٧٣٠هـ/١٣٣١م).
تقويم البلدان (مطبعة دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠).
ابن الفقيه ابو بكر احمد بن محمد الهمداني (ت ٢٤٠هـ/٩٥١م).
مختصر كتاب البلدان (لیدن، ١٣٠٢م).
ابن القلانسي، ابو يغلي حمزة (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م).
ذيل تاريخ دمشق (بيروت، مطبعة الالباء اليسوعيين، ١٩٠٨).
القلقة شندي ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة، ١٩٢٢).
مجهول (عاش اواخر القرن السادس الهجري).
الاستبصار في عجائب الامصار (الاسكندرية ١٩٥٨).
محمد كرد علي .
خطط الشام (بيروت، ١٩٧٠).
الجزء الثالث المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م).
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (لیدن، ١٩٠٦).
ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م).
تاريخ مصر (طبعة هنري ماسيه، القاهرة، ١٩١٩).
ناصر خسرو، ابو معين القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م).
سفرنامه (ترجمة د. يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٤٥).
اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٥م).
كتاب البلدان (المكتبة المرتضوية، النجف، ١٩١٨).

من مظاهر التحديث في ديالى

وفقاً لجريدة الزمراء العراقية ١٨٦٩-١٩١٧.

أ. د. طارق نافع الحمداني

جامعة بغداد/ كلية التربية

العراق أول مرة. ومما يجب تأكيده هنا، أن التطور الذي شهدته المدن العراقية آنذاك، لم يأت دفعة واحدة، ولم يجر قبوله بسهولة، ذلك لأن المجتمع العراقي وقتئذ كان لا يزال يعيش في تراث الماضي وتقاليده، ولم ينفذ عنه غبار الماضي ويتلمس جلايب الإصلاحات الحديثة، إلا بفضل الضغوط العديدة التي جاءت من المكتشفات الحديثة التي إنتشرت سريعاً في العالم، ومن التأثير الغربي الواسع غير المقصود، ومن اجراءات حكومية عديدة^(١)، ابتدأت بمجيء مدحت باشا الى العراق عام ١٨٦٩.

يعد مدحت باشا أول وال عمل على إدخال مظاهر التحديث الى العراق في جوانب الحياة المختلفة، لإدراكه أن العراق كان يعيش في عزلة عن تيارات الحضارة الغربية التي تأثرت بها بعض الولايات العثمانية. وتميز الوالي مدحت باشا عن الولاة الذين سبقوه باطلاعه على المشكلات التي عاناها العراق ودراستها، والسعي لوضع الحلول الناجعة لها قبل تسلمه منصب الولاية، لذلك جاءت محاولاته الإصلاحية لوضع قواعد النهضة ودعائم التحديث في العراق، في مرافق الحياة الحيوية^(٢).

تناولت اصلاحات مدحت باشا مجالات

١- أوجه التحديث ومظاهره في مدن العراق عامة وديالى خاصة يتناول هذا الموضوع ((محافظة ديالى)) في الوقت الحاضر، التي كان يطلق عليها في حقبة البحث اسم ((قضاء خراسان))، فضلاً عن أقضية أخرى تشكلها المحافظة آنذاك وهي قضاء خانقين. وقد تغيرت أسماء الألوية والأقضية والنواحي كثيراً، حتى صار قضاء خراسان لواء باسم (لواء ديالى)^(٣).

ونحن ندرس مظاهر التحديث في ديالى لابد من القول إن تغييرات عديدة قد حصلت في هذه المدينة، شأنها في ذلك شأن بقية المدن العراقية الأخرى، بفضل اصلاحات تم اجراؤها في الميادين الادارية، والاقتصادية والاجتماعية، وقد أثرت بشكل أو بآخر في نمط الحياة العامة، ونقلها من حالة التخلف والركود التي كانت عليها الى حالة أفضل في تسيير امور الدولة إدارياً، وتقديم خدمات اجتماعية أكثر تقدماً. ويدخل في هذا الإطار إنشاء السكك الحديدية وخطوط البرق والجسور والمعابر. وكان الأثر الفعال لمثل هذه الخدمات قد تناولته الصحافة، وبالأذات الزوراء. باعتبارها الصحيفة الرسمية العثمانية، حيث نشرت اخبار هذه النشاطات التي استعملت في



العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نتيجة للاتفاقيات التي جرت بين الحكومتين البريطانية والعثمانية عام ١٨٥٧، والتي أسفرت عن اتصال خط برقي من الهند الى البصرة فبغداد، في قاع نهر دجلة، وتم مد خط مماثل ما بين بغداد واستانبول في حزيران عام ١٨٦١.^(٧)

مدت في السنوات القلائل التالية خطوط برق إضافية بين بغداد والفاو، وبين بغداد و خانقين، وبذلك تم وصل المدينة بالهند وفارس. واستمرت عملية اتصال الاسلاك البرقية من بغداد الى بقية مدن الولاية، فأوصل الخط البرقي منها الى مدينة بعقوبة، مركز قضاء خراسان، في عام ١٨٦٩.^(٨) ولما كانت ممارسة اعمال النقل بطيئة في العراق عموماً، ولا يمكن الاعتماد عليها كثيراً، فان اتساع نظام البرق الى معظم اجزاء العراق، قد ساعد على تقوية قبضة الحكومة على اموره، وإدخال الاصلاحات الحديثة التي كانت تنوي القيام بها.^(٩)

اما بالنسبة للبريد، فلم يعرف العراق وجود خدمات بريدية منتظمة قبل عام ١٨٦٨، اذ كان البريد يعتمد على بريد شركة الهند الشرقية البريطانية، وبريد السعاة المعروفين بالتتارية، الذي يقوم بنقل الرسائل بين بغداد واستانبول. ولكن الحكومة بدأت الاهتمام بأمر البريد، فقامت عام ١٨٦٩ باصدار نظام (ادارة البوسطة الاساسي) الذي نشر في ٢٦ ربيع الآخر ١٢٨٨هـ/تموز ١٨٧١م، وبموجبه شرعت بفتح دوائر للبريد والبرق في مدن العراق المختلفة، وشملت مدن: بعقوبة و خانقين والحلة وشهربان والدليم و كربلاء والديوانية، وهي المدن التي كان قد وصل اليها الخط البرقي آنذاك.^(١٠) وشهد العراق ومدنه الرئيسة في مطلع القرن العشرين، استخدام الهاتف (التلفون)، اذ ربطت

مختلفة، ففي مجال الادارة طبق نظام الولاية الذي أصدرته الحكومة العثمانية في عام ١٢٨١/١٨٦٤، وبموجبه اصبحت ولاية بغداد مؤلفة من لواء بغداد نفسه واقضيته، وضمت اقصية خراسان و خانقين، وادخل بموجب النظام الاداري الجديد عدداً كبيراً من الموظفين المدربين الذين حلوا محل اشباه الاميين من البشوات والاغوات، ووضع لكل وحدة ادارية ملاكاً ثابتاً من الموظفين وثبت واجباتهم لانجاز الاعمال التي كان يزعم القيام بها في العراق.^(١١)

ارسى مدحت باشا الاسس الاولى لعملية التحديث في مجال البلديات والمجالس البلدية، وبنى المدارس مما زاد في نسبة المتعلمين في العراق، وأسس المصانع وأوصى باستيراد عدد من المكنائن لتطوير الصناعة، وعمل على تطوير مشاريع الري، واصدر جريدة الزوراء. ولا يمكن لاحد أن ينكر مالهذه الاعمال الاصلاحية من أثر في العراق، وأقل ما يمكن ان يقال فيها أنها هيأت النفوس للاصلاح، ولو سار الولاة الذين جاءوا بعده على منواله لتغير وجه العراق.^(١٢) لقد تعاقب على العراق بعد عزل مدحت باشا عام ١٨٧٢ ولاة متعددون لم يقيم اكثرهم بعمل يذكر، فكانوا ضعافاً في الادارة تعوزهم الثقافة والمعرفة، ولم تعرف سوى أسمائهم، وصار العراق يستقبل الواحد تلو الآخر دونما فائدة تذكر منهم.^(١٣)

ومهما يكن من شيء، فإن هناك عدداً من مظاهر التحديث التي استفادت منها المدن العراقية، ومن بينها دياالى، حيث تركت اثاراً واضحة في حياة المجتمع ونهضته الحديثة، فخطوط البرق (التلغراف) مثلاً قد تم مدّها الى

مدينة بغداد بمدينة الكاظمية بالهاتف عام ١٩١٢، ثم جرى مد اسلاك للهاتف بين بغداد ومدينة بعقوبة، مركز قضاء خراسان^(١١).

وفي الوقت الذي سارت فيه الخطوط البرقية (التلغراف) والملاحة النهرية والبحرية على خير ما يرام لربط اجزاء العراق المختلفة وتسهيل السير فيه، فإن خطوط المواصلات الاخرى قد أصابها التعثر، فمن المعروف أن الطرق في العراق، باختلاف المناطق، كانت مهمة وغير مكسوة، وتغرق عمقاً في أتربة الصيف، وتفيض فتتحول الى بحار من الوحل، بسبب الامطار او فيضان القنوات، وغدت سكك الحديد اكثر قبولا باعتبارها من الوسائل العملية في هذه البلاد.

ولقد طرحت مشروعات مختلفة منذ خمسينيات القرن التاسع عشر لمد خطوط حديد من البحر المتوسط الى العراق، او حتى الى الهند، ولكنها لم تكن مشروعات اقتصادية، فصرف النظر عنها^(١٢). ومع ذلك، ففي سني الثمانينيات من القرن التاسع عشر، تألفت شركة محلية لمد خط حديد بين بغداد وخانقين، بالوسائل المحلية المتوفرة، الا ان عدم توفر رأس المال اللازم قد حال دون تحقيقه، ولم يكن المشروع الذي خلفه في سنة ١٨٩٠ أحسن حظاً^(١٣).

ومع تعثر مشاريع سكك الحديد في العراق، فإن خدمات النقل القديمة ظلت قائمة فيه، بين بغداد ومدنها إذ بدأ ظهور العربات البرية المعتادة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، وكان هناك خط عربات (تجرها الخيل) منتظم بين بغداد وبعقوبة، وبين غرب بغداد وسامراء، وهذه الخطوط تعتمد اساساً على حركة الحجاج الكثيفة^(١٤).

ومن وسائل الانتقال المهمة في ولاية بغداد، دواب الحمل، كالبغال والجمال، التي كانت تسلك طرق القوافل المهمة التي تربط بغداد بكرمنشاه وهمدان، مارّة بمدن بعقوبة وخانقين وقصر شيرين. ويمر على هذا الطريق، كما يقول عيساوي، ما يقرب من (٥٠) ألف حمل جمل و(٤٠) ألف حمل بغل الى كرمشاه خلال العام، وتتجه حمولة (١٠) الاف حمل فقط الى خانقين، وحمولة (٢) الاف الى قصر شيرين^(١٥).

ومما يذكر هنا، أن مدحت باشا قد أوجد في أثناء ولايته للعراق (دائرة النافعة) لتكون مسؤولة عن الطرق والمعابر في العراق. الا أن هذه الدائرة كانت قد ألغيت بعد مغادرة الوالي مدحت باشا لبغداد بأقل من شهرين وقد خلت ولاية بغداد طوال السنوات الواقعة بين عامي ١٨٧٢ و١٩٠٦ من وجود أية دائرة متخصصة تقوم بتنفيذ المشاريع العامة كالطرق والجسور ووسائل الاتصالات الاخرى ومشاريع الري، لذلك عهدت الى دائرة البلديات للقيام بهذه المهمات^(١٦) الا ان الملاحظ، ان هذه الدائرة لم تقم بأعمالها بصورة مرضية، وبخاصة في مجال انشاء الجسور في ولاية بغداد وأقضيتها، ومنها قضاء خراسان. ففي اثناء مروره بمدينة بعقوبة عام ١٩١٤، وصف لنا هيو بارد Hubbard، جسر بعقوبة العائم بقوله: ((في طريقي من بغداد الى (ارارات) مررت ببعقوبة حيث وجدت ما يثير إشمئزاًنا، ذلك لان الجسر العائم لم يكن يسمح بمرور العربات (ذات العجلات) ولذا وجب علينا ان نغير سير العرب، ونعبر نهر دياي بواسطة (قفّة). وفي الجانب الآخر من النهر وبعد مسيرة ميل وجدنا عربة اخرى بانتظارنا، لاستبدال

تعاقبت عملية بناء محطات القياس لارتفاع مناسيب المياه في اماكن مختلفة من دخول مياه نهري دجلة والفرات في العراق. وعلى الرغم من أهمية الفيضان وخطاره في العهد العثماني، فإن الولاة العثمانيين لم يقوموا بعمل جاد لدرء خطر الفيضان سوى تقوية السدود وبطريقة السخرة، وبطرق بدائية ومواد بسيطة كالتراب والخشب.^(١٧) ومن الفيضانات التي تعرضت لها بعقوبة ولم يتمكن الولاة العثمانيون من إيقافها ما حدث عام ١٨٨٤، إذ كتبت جريدة الزوراء في عددها ١١٥٦ نيسان ١٨٨٤ ((وفي الوقت نفسه طغت مياه نهر ديال فاغرقت مناطق بعقوبة وبهرز والهويدر ونواحيهم [كذا]))^(١٨)

ولعل من أخطر الفيضانات التي تعرضت لها بعقوبة، ذلك الذي حدث عام ١٩٠٧ في عهد الوالي أبو بكر حازم (١٩٠٧-١٩٠٨) حيث قالت الزوراء: ((فاض نهر ديال فيضانا لم يسبق له مثيل فصارت المياه تجري في نهري دجلة وديال حتى استولت على الاراضي في أطراف البلد فاحاطت بجوانبها الثلاثة، فابتدر من جهة محافظة البلد بتحكيم السداد الموجودة وهي من تراب، وسورع من الجهة الاخرى لتعمير المحال المنخرمة من الاسداد التي في طرفي دجلة وسدها بغاية الاهتمام، والضرر في قضاء خراسان من فيض هذين النهرين مرة وهو امر طبيعى، فلذلك اعطيت الاوامر الاكيدة الى من يلزم تبليغه بايثار المعاونة اللازمة الى اهالي تلك الانحاء، أما المياه المستولية على طريق القضاء المذكور فقد صارت مانعة للمرور والعبور وخربت أسلاك البرق)).^(١٩)

أما عن الخسائر الناجمة عن ذلك الفيضان فقد كتبت جريدة الزوراء:^(٢٠)

عربتنا))^(٢١)

وهكذا يظهر لنا من هذا الوصف، طبيعة جسر بعقوبة (جسر الطوافات او العوامات) الذي كان ضعيفا لا يسمح بمرور عربات النقل ذات العجلات. ويشير الأمر الى تقصير إدارة البلديات في العراق، في بناء الجسور الحديثة الكافية لعمليات النقل البري. ومن الامور الحديثة التي جرى إستخدامها في العراق في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، الكيروسين اذ بذلت محاولات (زمن مدحت باشا) للاستفادة من رواسب النفط حول مندلي، وذلك باعداد مشروع لتصفيته في بعقوبة سنة ١٨٧١. إذ كان يتم استخراج (الكيروسين) بالوسائل المحلية المتاحة، وكان يكلف البلدية ٦٧٠ بارة للقية، ومع ذلك فقد حل تدريجيا محل زيت الزيتون في الأسواق إذ جرت العادة على استخدامه من قبل كما أصبح في مكاتب الادارة وغيرها. ونتج عن ذلك الاستغناء عن الكيروسين الأمريكي، وأصبحت كل مدينة تستخدم مصابيح الكيروسين.^(٢٢)

ومع أهمية الزراعة والري في تحديث العراق، إلا أن المشاريع في هذين المجالين ظلت قاصرة. إذ أن أية خطة قد ترسم لتطويرهما لا تكون ناجحة بدون السيطرة على المياه، واطلاقها وتوزيعها، وموازنتها مع الاراضي الموجودة. ولم يكن الولاة العثمانيون في العراق يدركون مثل هذه القاعدة العملية السليمة، مما جر البلاد الى كثير من الكوارث والنكبات، بخاصة وأنه لم تكن هناك (محطات قياس) لمعرفة كميات الماء في الانهر وتصريفها عند مدينة بغداد. وكانت أول (محطة للقياس) قد أنشأها السير وليام ويلكوكس عام ١٩٠٦ في منطقة دار القنصلية البريطانية في الضفة اليسرى لنهر دجلة، بعد ذلك

((أمطرت السماء في قضاء الخالص لمدة ٤٨ ساعة ثم ثارت عاصفة فأنحدر سـبـيـل من نهر ديالـي فأنهدمت ديار كثيرة واحاط الماء قرية (الهويدر) وبساتين أطراف بعقوبة، وارتفع الماء على كافة بساتين وقرى (خرنابات) و(شفة) و(بهرز) وانقطعت الطرق، وخرب في قرية (دلي عباس) مائة مسكن، وفي ناحية (شهربان) اربعون داراً، وفي قرية (أبو صيدة الكبير) ثمانون مسكناً وبقيت بساتينها تحت الماء، وخربت ديار كثيرة من ديار (الزهرات) و(العواشق) و(أبو صيدا الصغير) و(المخيسة) و(بلدروز)، وتفرقت العشائر الساكنة تحت الخيام، وإنهدم صدر جدول (بلدروز) واستولت مياه ديالـي على قسم من مزارع الهارونية وشهربان والاسيود، فاتلفت المواشي والأغنام، وبسبب فيضان نهر ديالـي فاض الماء في النهر وانهدم ديالـي وانهدم في قرية تيل تاوه (قضاء الخالص حالياً) مساكن كثيرة)).

٢. جريدة الزوراء مظهر من مظاهر التحديث. كانت الزوراء أول جريدة صدرت أيام ولاية مدحت باشا في العراق سنة ١٨٦٩، وقد ظلت الجريدة الرسمية لولاية بغداد الى الاحتلال البريطاني لهذه المدينة عام ١٩١٧.

ومن قراءة الاعداد الاولى للجريدة يلمس القارئ أن مدحت باشا لم يصدرها دونما هدف، وإنما كان يروم تثقيف الشعب، وتنبيهه الى ما يروم القيام به من اصلاحات حديثة، وما يجب على الشعب عمله. صدر العدد الاول من الزوراء يوم الثلاثاء في الخامس من ربيع الاول من عام ١٢٨٦هـ/ الموافق الخامس عشر من حزيران عام ١٨٦٩، باللغتين العربية والتركية. وقد نشرت في هذا العدد صورة الفرمان العالي لتولية مدحت باشا ولاية بغداد،

الذي ألقاه في (سراي الحكومة)، وأطلع سامعيه على أنه جاء برغبة مخصصة لإفادة البلاد وإثراء السكان، وإدخال العديد من التغييرات والإصلاحات التي يرجو نفعها، والتغييرات التي قد لا تكون موضع موافقة في بداية الأمر، ولكنها قد تصبح موضع التقدير عندما يدرك الناس النفع الذي يعود عليهم من ورائها.^(١٢)

وفي هذا الفرمان يصف الوالي حالة العراق وتأخره، وما وصلت إليه الحال والى فطنة أهله وشهرتهم فيقول: ((وهنا الاراضي تقبل كل نوع من العمارة والاهلون لائقون لكل تعليم، وفطرتهم معلومة واستعدادهم مشهور، فيستطيعون اكثر من غيرهم التقدم، لينالوا حظاً من الثروة والحضارة، لكن الخراب المستولي، وعدم النشاط ناجم عن تقصير الأهلين، ونأمل أن نصل الى الغاية المطلوبة فنرى الاثار النافعة وثمار المساعي في أقرب مدة)).^(١٣)

وهناك شعور عميق بالتخلف عن الأمم الاخرى، وضرورة الاسراع في التقدم لمسايرة ركب الحضارة، بخاصة في مجال الزراعة والتجارة، كما يقـتـضيه العصر، حيث يقول:

((ما أعجب الحال وما أغرب هذه الاحوال ان قوة إنبائية أراضي الحنطة العراقية التي هي فوق العادة حال كونها قد حيرت العقول، وملأت بطون صحايف التواريخ وازهرت في آفاق العالم كالمريخ، فنحن الى الآن نروم خفض هذه الشدة المرتفعة ونريد ان نبقي بلا إسم ولا شهرة. والى الآن نستعمل الآلات الباقية من عهد نوح ومع هذا فلا يمر بخيالنا أمر تكثير زراعتنا ولا يسري بخاطرنا توسع دائرة تجارتنا وتوفرها.

عجبا ما هي الأسباب الموجبة لنقص مملكتنا



الدعوات والتوجيهات انظار الناس بعد فترة السبات الطويل الذي كانوا عليه، وان يتطلعوا نحو الاحسن في حياتهم.

(٣). مظاهر التحديث في ديارى وفقا لما نقلته جريدة الزوراء:

من العلوم أن جريدة الزوراء كان لها مراسلون ومدراء تحرير في مناطق العراق المهمة، وكان هؤلاء يمدون الجريدة بمعلومات المناطق التي يوفدون إليها أولاً بأول. فقد ورد عن أحد مدراء تحرير جريدة الزوراء في خانقين الآتي:

((... ان وظيفة مكلفية مدراء التحريرات وكتابها الموجودين بالامور التحريرية في الالوية والاقضية باعطاء الوقوعات والحوادث المحلية لجريدتكم العتيرة هي معلومة، فبناء على هذا الاساس ها أنا أبدأ بمكتوبي هذا لاعطاء الحوادث المحلية...)).^(٣٧)

والملاحظ ان قائم مقامى الاقضية آنذاك كانوا يسهمون في تسجيل أسماء المشتركين بجريدة الزوراء، إذ جاء في العدد ١٤٢٧:

((نشكر قائم مقام قضاء مندلي ذا العزة راشد بك أفندي على ما أسداه، ونذكر بلسان الثناء ما أبداه من إستحضار ثلاثة وثلاثين شخصاً مشتركين لجريدتنا وإرسال ورقة اسمائهم لطبعتنا، اذ علم أن دوام إنتشار جريدة الولاية في حالة تستوجب الافادة العمومية يتوقف على تكثير المشترين فبذل في ذلك همته واثر اعتناؤه وغيرته)).^(٣٨)

وليس ذلك فحسب، انما اوردت الزوراء في أماكن مختلفة - إشارات لقيام قائم مقامى الأفضية بجمع بدلات إشتراك المواطنين في جريدة الزوراء، مما استدعى إظهار الشكر لهم، إذ جاء فيها: ((نشكر همة مصطفى سالم أفندي، قائم مقام

عن درجة الاقطار السائرة، وما هي الامور المجبرة لتدني زراعتنا يوماً فيوماً، هل أنها [كذا] لا تحتوي على الاراضي القابلة للحرث والزرع؟ أم ليس فيها ما يروي مزارعها؟ فأن أجبننا عن أحد هذين السؤالين قلنا ليس عندنا أراضى [كذا]، فان الاراضي الخالية الوسيعة التي قد إمتلأت التواريخ في ذكرها، والتي هي اليوم تصب أعيننا، القابلة لكل نوع من أنواع الزروع تكذبنا // واذا قلنا ان مياهنا لا تروي مزرعاتنا فان نهري دجلة والفرات الشاهدان العادلان [كذا] الجاريان في وسط مملكتنا يكذبان مدعانا هذا

فالان الشيء الواجب علينا، والامر الموجب لترقيتنا انما هو ترك البطالة والعطالة والتشبث بأسباب الترقىيات، ووضع آثارها في ميدان

وهكذا نلاحظ كيف كانت الزوراء تلفت أنظار المواطن العربي الى أنه في بلد متخلف برغم تقدمه ووفرة إنتاجه في الماضي، وخصوبة أراضيه ووفرة مياهه، وعليه يجب نبذ الإهمال والأخذ بأسباب التطور والتقدم.

نبه الفرمان العالي بصورة صريحة الى حالة أوربا وتقدمها، ودعا الى السير وراء أوربا، لانها سبقت الشرق بثلاثة قرون أو أكثر، وكانت الزوراء تنشر فعلاً كثيراً من الأخبار عن معالم الحضارة والتقدم في العالم، لتنوير افكار الناس وتنبيههم على ما هم عليه.

والأهم من ذلك كله، أن الزوراء كانت تنشر على صفحاتها شؤون الولاية واحداثها، والقوانين والانباء الرسمية والبراءات السلطانية، حتى استفاق الناس بأن هناك حكومة وقوانين، وهناك اصلاً حافلياً، فلا بد والحالة هذه ان توقظ هذه

قضاء خانقين، المبذولة في جمع بدلات جريدتنا عن السنة الحالية من أصحابها وإرسالها بتمامها الى مطبعتنا. ولا ريب في أن صنيعه هذا الجميل دلل على حبه للمعارف، هذا ونرجو بصورة جديّة من قائم مقامي الأقضية السائرة ان يبذلوا همتهم)).^(٢٨)

ومثل هذه النشاطات التي كان يقوم بها قائممقامو الأقضية، أدت الى زيادة عدد قراء جريدة الزوراء، وكانت مثل هذه الزيادة مثار اهتمام محرري الجريدة، إذ جاء في احد اعدادها: ((بينما كان المشترّون لجريدتنا في قضاء مندلي منذ كم سنة بقدر ثمانية عشر اذ قد فهم أن مشترى الزوراء بهذه السنة بلغوا ستة وثلاثين مشترى، وذلك بهمة قائممقام القضاء ذي الرفعة عارف افندي)).^(٢٩)

وتساءلت الجريدة: ((وما هذا الشوق والرغبة الا من مزيد عرفان الأهالي بقدر أوراق الحوادث واهميتها، فنحن بالخاصة نشكر رغبة الأهالي في هذا الباب)).^(٣٠)

هذه هي جريدة الزوراء الرسمية، وهي تعكس لنا المرحلة التي كانت تعيشها البلاد آنذاك، إذ كانت تنقل اخبار المناطق المختلفة وحوادثها. فعندما كانت أسراب الجراد تغزو أطراف العراق وتلحق اقدح الخسائر بالمرزوعات فإن الزوراء كانت تنقل اخبار هذه الآفة، والجهود الحكومية المبذولة في هذا الشأن، مشيرة الى استخدام (التلغراف) كاحدى الاختراعات الحديثة للإبلاغ السريع، عن هذه الآفة في أقضية مندلي و خانقين وغيرها.^(٣١)

ولما كانت سكك الحديد من مشاريع التحديث

التي جرى العمل بها في العراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد روجت الزوراء لمثل هذه المشاريع وفائدتها العامة، وبخاصة في مجال النقل أو التجارة، كما حصل الأمر في أوروبا، إذ جاء فيها:

((طرق الحديد كما هو عند كل احد معلوم وبأي قدر ما تكون طرق الحديد زائدة في ملك فانه يترقى في التجارة والثروة، وهذا أمر غير موهوم. واذا جعل أمام نظر المطالعة أن طريق الحديد قد قصر جملة من الطرق الطوال البعيدة، فانما يتعين ان الواردات التجارية والاخذ والعطاء قد كسبت السهولة باي درجة وان طرق الحديد في أوروبا صادف ممرها في أكثر الاحيان جبالاً وتلالاً وأودية وإزالة.. ولم يحصل التأخر والا حجام عن إيصالها الى النقطة المطلوبة... أما طرقنا فهي مستوية للغاية وليس عندنا في غير العمليات الترابية جبال تخترق ولا لنا أودية تدفن)).^(٣٢)

وفي الوقت نفسه، فقد ثبتت الزوراء تفاصيل العمل بمشروع سكة الحديد التي تصل بين بغداد و كربلاء والنجف من جهة، وبينها وبين خانقين من جهة أخرى من قبل "شركة محلية"، والجهود التي بذلها الوالي العثماني آنذاك (عبد الرحمن باشا)، من أجل إرساء المقاوله على هذه الشركة المحلية، التي تعهدت القيام بمد السكة من بغداد الى المناطق المذكورة على شكل مراحل، على ان تعلق شعبة بغداد - خانقين)، الى حين الانتهاء من الشعب الاولى.^(٣٣)

واستكمالاً لتطوير مشاريع النقل والمواصلات فقد نقلت لنا الزوراء الاجراءات، لتنظيمها وتسييرها. فمن جهة جرى تنظيم تجارة



تحديثها نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت جريدة الزوراء - الجريدة الرسمية الواسعة الانتشار - تنشر كثيرا من هذه المظاهر، ومن معالم الحضارة والتقدم في العالم، مما كان له أكبر الأثر في تغيير النظرة الى التحديث في العراق.

الترانزيت (المرور) التي كانت تمر بخانقــــــــــــين الى فارس، وضبط الرسوم الكمركية المفروضة على هذه التجارة في كمر ك خانقــــــــــــين - (كمر ك الحدود) والتي كانت تقدر بـ ٧٪، لتكون معلومة لدى الجميع^(٢٢). وهكذا نلاحظ أن بعضاً من مظاهر الحياة في العراق عامة، وديالى خاصة، قد جرى العمل على

الهوامش

- الدكتور جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد في عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧ (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩١) ص ٤٣٥.
- (٨) جريدة الزوراء العدد ١٢ المؤرخ في ٢٣ جمادى الاولى ١٢٨٦هـ / الموافق ١٩ آب ١٨٦٩، انظر ايضا: النجار، المصدر السابق، ص ٤٣٧. ومما يذكر ان خطوط الاتصال البرقي بين بغداد ومدن اخرى في ديالى قد تمت ما بين ١٨٧٥ و ١٨٩٣، وشملت شهربان ومنديلي ايضا. المصدر نفسه، ص ٤٣٧.
- (٩) لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ج ١، ص ٦٥.
- (١٠) النجار، المصدر السابق، ص ٤٣٨-٣٩، عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق (مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣) ص ١٤٦.
- (١١) النجار، المصدر السابق، ص ٤٤٢.
- (١٢) شارل عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب، ترجمة رؤوف عباس حامد (بيروت، ط١، ١٩٩٠) ص ص ٣٤٠-٣٤١.
- (١٣) لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ج ١، ص ٦٣.
- (١٤) عيساوي، المصدر السابق، ص ٣٤١، انظر ايضا: ريجارد

(١) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين

(بغداد، ١٩٥٥) ج ٧، ص ١٦٩.

(٢) ستيفن هيمليسي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي (الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٨) ج ١، ص ٤٢.

(٣) نعيم طه ياسين، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٢٨.

(٤) حسين الرحال وعبد المجيد كمونة، الادارة المركزية والادارة المحلية في العراق، (مطبعة عبد الكريم زاهد، بغداد، ١٩٥٣) ص ٥٣.

(٥) الدكتور عناد اسماعيل الكبيسي، الادب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين (مطابع النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧٢) ص ٣٧.

(٦) منير بكر التكريتي، الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية من ١٨٦٩-١٩٢١ (مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩) ص ١٢.

(٧) نابليون المارديني، تنزه العباد في مدينة بغداد (المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٧) ص ٥٦، انظر ايضا:

- كوك، بغداد مدينة السلام، نقله الى العربية وقدم له
وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد وفؤاد
جميل (مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٧) ج ٢، ص ١٦٨.
(١٥) المصدر السابق، ص ٣٤١.
(١٦) النجار، المصدر السابق، ص ٤٤٩ - ٤٥٠.
(١٧) G.E.Hubbard, From the Gulf
to Ararat :an expedition through
Mesopotamia and Kurdistan
(william Black wood and sous
Edingurgh and London, 1916),p.
116,159.
(١٨) عيساوي، المصدر السابق، ص ٦٧٣ - ٤٠٠، انظر أيضا:
لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠،
ج ١، ص ٥٥.
(١٩) محمود شوقي الحمداني، لمحات عن تطور الري في
العراق قديماً وحديثاً (مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٨٤)
ص ٦٥.
(٢٠) للتفاصيل عن هذه الاحداث انظر: حسان ناجي
محمود الحديثي، تاريخ الري في العراق ١٨٦٩ - ١٩٣٢،
رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث،
مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص ٣٨.
(٢١) جريدة الزوراء، العدد ٢١٢٢ في ٢٢ صفر ١٣٢٥ هـ.
(٢٢) العدد ٢١٢٣ في ٢٩ صفر ١٣٢٥ هـ.
(٢٣) عيساوي، المصدر السابق، ص ١٨٧.
(٢٤) أورد هذه النصوص التكريتي، المصدر السابق، ص ٧٩.
(٢٥) الدكتور يوسف عز الدين، فهمي المدرس من رواد
الفكر العربي الحديث (معهد البحوث والدراسات العربية،
القاهرة، ١٩٧٠)، ص ٢٥ - ٢٧، حيث نقل لنا بعض
نصوص جريدة الزوراء في عددها الأول.
(٢٦) جريدة الزوراء، العدد ٨٨١ الثلاثاء ٢٧ محرم ١٢٩٦ هـ.
(٢٧) جريدة الزوراء، العدد ١٤٢٧ السبت ٢١ شعبان ١٣٠٧ هـ.
(٢٨) المصدر نفسه، العدد ١٨١٢ الاربعاء ٨ ذي القعدة ١٣١٦ هـ
الموافق ١٩/٤/١٨٩٩ م. هذا وقد وردت نفس صيغة الشكر
المرفوعة من تحرير جريدة الزوراء الى قائممقامي قضاء
خراسان وخانقين لقيامهما بجمع بدلات هذه الجريدة.
انظر الاعداد ١٧٦٩ - ٢٠ ذي الحجة ١٣١٥ هـ الموافق ٤/٥/١٨٩٨ م
والعدد ١٨٣٣ الاربعاء في ٢٢ جمادى الاولى ١٣١٧ هـ الموافق
٢٧/٩/١٨٩٩ م.
(٢٩) جريدة الزوراء العدد ٧٦٦ السبت ٢٨ جمادى الآخرة
١٢٩٥ هـ.
(٣٠) جريدة الزوراء العدد ٤٥٧ الثلاثاء جمادى الاولى ١٢٩١
(٣١) المصدر نفسه، العدد ١٢٢١ الثلاثاء ١٩ شعبان ١٣٠٢ هـ.
(٣٢) المصدر نفسه، العدد ٨٦٥ الثلاثاء ٢٠ شوال
١٢٩٦ هـ/١٨٧٨ م.
(٣٣) جريدة الزوراء العدد ٨٦٥ الثلاثاء ٢٠ شوال ١٢٩٦ هـ/
الموافق ١٨٧٨ م.
(٣٤) المصدر نفسه، العدد ١٠٠٩ السبت ٢ جمادى الاولى
١٢٩٩ هـ/والعدد ١٢٣٣ السبت ٢٥ ذي القعدة ١٣٠٢ هـ.

ابن رشد

ومشكلة التقابل المقولي المنطقي بين

ابن سينا وابن الطيّب

(دراسة مقارنة)

الدكتور/ علي حسين الجابري

المقدمة:

لواحق المقولات، مبحث منطقي اختلفت حوله وفيه آراء الباحثين، الذين درسوا أرسطو ومنطقه، أولاً والذين وقفوا عند الانجاز العربي اللاحق، بحسب الفرصة والطاقة!

ولما كانت (الذكرى الثمانمائة لوفاة ابن رشد) قد حلت مع عام ١٩٩٨، فوجدت هذه المباحث طريقها الى قراء، بدراسات مفردة او مقارنة لعرض حقيقة (الابداع) الرشدي الذي يخرج به من (دائرة الشرح والتلخيص الآلي) الى العمل الفلسفي الجدير باسمه، فكان كالشاهد على الانجازين السينيوي والبغدادي. ولما كان (ابن سينا) ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) و (ابن الطيّب البغدادي) ٤٢٥هـ / ١٠٤٣م) من اكثر المفكرين العرب تفصيلاً لمباحث المنطق بعامه والمنطق المقولي على وجه الخصوص.

بعد الفارابي جاءت دراستنا هذه، مقارنة بين هؤلاء العمالقة الثلاثة وهم يتصدون (للمتقابلات) في لواحق المقولات المنطقية، كما عرفها الفكر العربي، باحثين عن نقاط التأثير والتأثر، ومواطن الاتفاق والاختلاف، لاسيما ان واحداً من بين هؤلاء الثلاثة هو (ابن الطيّب) قد دخل في (لوحة الفكر العربي) المنطقي عبر (المرات الخلفية) كما يقال، مما يعد دخوله مفاجأة للكثير من الباحثين، وهذا وحده كفيل باغراء القراء على تلمس المسار المقولي في المنطق

العربي في القرن الخامس الهجري وما تلاه، مما يطول شرحه، ويتجاوز حدود هذا البحث المتواضع، لكنها مسألة جديرة بالدراسة والتأمل.

واذا كان الدكتور بدوي قد أثار (منذ نصف قرن) مشكلة عائدية (اللواحق) المقولية لأرسطو حين قال

عن [الفصول: العاشر - الى - الخامس عشر: اي (المتقابلات والاضداد، وفي المتقدم وفي معاً، وفي الحركة وفي له] أنها في أغلب الظن.. ليست من عمل أرسطو،

بل من عمل احد الاولين، ويخصون بالذكر منهم ثاوفراسطس، واوديموس، وان كان فيها روح مذهب

أرسطو سائدة^(١) قال بدوي ان هذا ليتجاوز تشكيكا اكبر واعم وأخطر، ورد على لسان اندرونيقوس، انكر

فيه عائدية (المقولات جميعاً) (لأرسطو) بحسب رواية ابن الطيّب^(٢). الذي فتد شكوك اندرونيقوس كلياً، لكن

الجديد في الامر، مع بدوي، ذلك الحديث عن كتابين لأرسطو في (المقولات) الأول (كبير) والآخر (تلخيص

المقولات)^(٣) التي وردت في شرح الحسن بن سوار للمقولات الارسطية وهو جديد أيضاً.

وخارج هذه الاشكالية ومستجداتها، يقف الباحث، هنا مفتشاً عن الموقف (العربي) من لواحق المقولات،

عند (ابن سينا) بعده الفيلسوف الذي خاض في بحر المنطق الارسطي! وقال الكثير فيه وعنه، بعد الفارابي، مما اثار فيلسوف قرطبة (ابن رشد) ودفعه للرد عليه،



بذات اللغة التي تداولها (ابن سينا نفسه) - لاسيما في
المواضع التي يشتمل منها رائحة (الاساءة لارسطو) - من
غير وجه حق!

فابن رشد كما وجدناه - في كل مناسبة - يأخذ على
الغزالي، لأنه استكثر على الفلاسفة - ومنهم ابن سينا -
حق (الاجتهاد) الفكري! فكفرهم! فكيف به يمارس
(السلاح نفسه) ضد (ابن سينا)! نقول: لابد من
الانتباه جيداً للفرق بين (النقد الرشدي) لابن سينا -
حين يكون الاخير معنياً بسأمر من الامور الفكرية
العامة! بخلاف ما يكون عليه الحال، حين يأتي الحديث
السينوي عن (ارسطو) بغير لسان ارسطو وروح
نصوصه! عندها يتصدى (ابن رشد) ليضع الأمور في
نصابها، ايماناً منه أن التفلسف نشاط عقلائي مشروع!
لكن (التقول) - المتسرع - على الآخرين من خلال
نصوصهم! أمر يرفضه ابن رشد وهو ما كان له مع ابن
سينا .. حتى نسب الكثير من (الجهل) في مباحث
القياس والبرهان وغيرهما، التي عرضها في (الشفاء)
نسبها ابن رشد الى مفكرين آخرين نوه بهم مرة،
وسماهم أخرى، ومنهم بعض (الناطقين من متفلسفة
النصارى)^(٩) في بغداد! وبذلك يقترب بنا من الشخصية
الثانية في هذه الدراسة المقارنة ونعني به (ابن
الطبيب) .. الطبيب والعالم والمنطقي والفيلسوف الذي
كانت له أكثر من وقفة مع ابن سينا وكان لابن رشد
أكثر من توافق معه مما سوف توضحه صفحات هذه
الدراسة اللاحقة مستكملة سابقتها.^(١٠)

لقد حرص الباحث هنا على جعل ارسطو (القاعدة
والدستور) . لينطلق منه الى فحص موقف (ابن رشد)
من خلال (ابن سينا) و (ابن الطبيب) وفي (فرع واحد)
من اللواحق! واعني به (المتقابلات - والتضاد) . تاركين
الأخرى الى مناسبة أخرى ان شاء الله، او لغيرنا من
الباحثين.

ثمة قضية جديرة بالتنويه، هي: ان مصادر البحث
الأرسطية والعربية (الاسلامية) كافة، منشورة

متداولة، ما عدا (مخطوطة ابن الطيب البغدادي)^(١١)
الموسومة - تفسير المقولات - (قاطاغورياس ارسطو
طاليس).

فهو من المصادر (النادرة)، والنسخة التي بين
أيدينا، لصورة مايكرو فلم لنص (وحيد) لا ثاني له في
العالم، حسب الاستقصاء المعرفي، لعدد من الباحثين
على صعيد الوطن العربي والعالم. طبعت منه نسخة
(على الورق) في (جامعة صلاح الدين) وأخرى في
(جامعة هارفرد) .. لأصل (مستنسخ) محفوظ بدار
الكتب المصرية - (فقد) لاحقاً، وأكثر من ذلك، نجد أن
(حملة) الإنجاز (الشروح) وضبط النصوص (المنطقية)
و (الفلسفية) الارسطية، قد تزايدت في زمن
(ابن الطيب) = القرن الخامس الهجري .. ثم انتقلت الى
تلامذته المشهورين، مثل (ابن بطلان) وابو الحسين
البصري! وابو الحكم المعري، وهبة الله ابن المفضل بن
هبة الله المتطبب وغيرهم. وصلت ذروتها سنة (٥٢٤هـ /
١١٢٩م)^(١٢) . على وفق النصوص التي وصلتنا وجرى
اخراجها للباحثين بعد ان استكملت هيئتها المعرفية
العربية، مضمونها واصطلاحاً و (معنى ودلالة)^(١٣) حتى
عدت الحقبة حقبة (انتاج) متميزة، على الرغم من
الجو القاتم، الذي تركه موقف الغزالي من الفلسفة
داخل (المكون الاسلامي)! المترجع منذ اعلان
(الاعتقاد القادري)^(١٤) في زمن ابن الطيب البغدادي
(٤٠٧-٤٣٣هـ / ١٠١٦-١٠٤١م) فكيف نظر الثلاثة الى ما

بعد المقولات؟

أولاً: الموقف من لواحق المقولات (ابن سينا - ابن
الطبيب - ابن رشد)

قبل أن نعرض (للمتقابلات المنطقية) في ما بعد
البحث المقولي! سنقف عند (خارطة) هذه اللواحق
وسماتها العامة بين (ابن سينا وابن الطيب وابن رشد)
معتمدين على (الدستور الارسطي) المتداول بترجمة
(اسحق بن حنين).



٤- وحين نصل الى (ابن رشد)، نجد لواحق المقولات قد انتظمت في قسمين، الاول جمع (المتقابلات والاضداد) جمعاً متناسقاً - كما سنعرض له في هذه الدراسة لاحقاً وفي قسم واحد^(٣١)، موزعاً على أحد عشر فصلاً. تاركا القسم الثاني للمتقدم والمتأخر^(٣٢)، والقسم الثالث، للقول في معنى معاً^(٣٣)، والقسم الرابع (للقول في الحركة)^(٣٤)، والقسم الخامس والأخير (للقول في له)^(٣٥). من غير زيادة أو تفصيل.

والملاحظ على العرض الرشدي للواحق المقولات، متابعته لمنهج ابن الطيب في توحيد المتقابلات، على المنهج الارسطي، فهو لم يهمل (له) التي غفل عنها ابن سينا أو تغافل لسبب ما، في عرضه لمباحث اللواحق في الأقسام الأربعة، وبذات الإيقاع المنطقي، الواضح الجلي، الذي يخرج عن تفصيلات الشرح والإطالة والتمثيل والمقارنات إلى (الرؤية الرشدية) المتميزة في (الدرس الفلسفي).

كما لوحظ على الأثنين استعمال مصطلح (التعليم)^(٣٦) والتعليم الاول. وغير ذلك مما هو من خصال منهج ابن الطيب.

ثانياً: في المتقابلات المنطقية والاضداد ليس من سبيل لمعرفة حقيقة انجاز (المثلث) المنطقي العربي- الاسلامي، في دائرة (اللواحق) أو بمبحث ما بعد المقولات- المنطقية- الأبالوقوف على آراء (ابن سينا) و (ابن الطيب) و (ابن رشد) قياساً على (النص الارسطي) الذي عزبه (اسحق بن حنين) منذ القرن الثالث الهجري، وعند دستوراً بين الناقلين والمترجمين العرب. وغاية مثل هذه الدراسة، ستساعد على كشف الغطاء، عن حقيقة (الانجاز الرشدي) داخل دائرة (المنطق المقولي) بعامة! والدرس الارسطي على وجه الخصوص. ومثل هذه الغاية (الاستثنائية) تهدف للإجابة عن مجموعة من الاستئلة، تتعلق بالمصطلح، وتطوره، والمعنى وصلته باللفظ ودلالته،

١- لم يفصل ارسطو في العرض بين (المتقابلات والاضداد)، لقناعته بوحدة الموضوع. من هنا وجدنا الاستطراد الارسطي عن (الاضداد) يأتي استكمالاً لحديثه السابق حول (السالبة والموجبة) من المتقابلات^(٣٧)، لحقتها مباحث (في المتقدم، والحركة ومعاً وله)^(٣٨) في سياق تكاملي واضح.

٢- أما ابن سينا، فعمد إلى منح (المتقابلات)^(٣٩) عناية أكبر متوقفاً عند (الشكوك) المثارة حولها. كما أنه فصل الحديث عن (الاضداد) فصلاً تاماً، يعدن الموضوع مستقلاً عن التقابل المنطقي في لواحق المقولات^(٤٠). وجمع في مبحث واحد هو (الفصل د) المتقدم والمتأخر ومعاً والحركة^(٤١) لكنه تغافل كلياً عن (له) أو القنية بلغة ابن الطيب، عادة الألفاظ الأخيرة هذه "الفاظاً استعملت في تعليم المقولات"^(٤٢). من غير أن يشكك بنسبتها إلى ارسطو.

٣- وعمد [ابن الطيب البغدادي] إلى (التمهيد) للواحق، بدراسة لم نجدها لدى المناطقة العرب، تحدث فيها عن (الحدود والتعريفات)^(٤٣). وأشكال الببحث فيما بعد المقولات المنطقية، بطريقة واضحة ميسورة، فكت مغاليق الببحث المقولي للواحق في الفكر العربي.

كما استعرض (المتقابلات والاضداد) في مبحث واحد- مثل ارسطو حتى كانت موضوع (التعليم الرابع والعشرين)^(٤٤)، مخالفاً بذلك التناول السينوي وشكوكه، ومتابعاً المنهجية الارسطية. ثم عرض في (التعليم الخامس والعشرين) موضوعات (المتقدم ومعاً، والحركة وله)^(٤٥) معرفاً الأخيرة (بالقنية)^(٤٦)، مسكماً الموضوعات الارسطية على وفق منهجية (واضحة)، لكنها تفصيلية^(٤٧)، تفوقت على التناول العربي السابق، لا سيما عند أبي علي الحسين بن سينا.





وتصل بنا الى اجابة شافية عن سؤال حضاري، مهد له آدم ميتز بجديته عن (حقبة النضوج) في القرن الرابع الهجري، مع انه عبر الى القرن الخامس وما تلاه! هو: هل تمكن العقل العربي في تلك الحقبة، من (انتاج) جوابه المنطقي والفلسفي؟

واذا كنا قد جعلنا (ارسطو) دستوراً (للاحتكام) بين (المبدعين) العرب وهم يتناولون نصوصه نقداً وتحليلاً وتقويماً وتصويباً وتعديلاً.. فما هي حقيقة (الانجاز) العربي في دائرة (التقابل المقولي) المنطقي في حقبة (النضوج) الحضاري العربي الاسلامي، في ثلاث بيئات (مشرقية) و(مغربية) و(وسطى) هي بمثابة (عصا الميزان) الذي يتأرجح صعوداً وهبوطاً بين جناحي النسر العربي؟ والمعايير المستخدمة في عملية (التوازن) والتقويم! أهى: (النص) والمصطلح الارسطي (الموضوع على طاولة التشريح) داخل صالة (الوعي العربي الاسلامي). عند العمالقة الثلاثة. (ابن سينا وابن الطيب وابن رشد) والثلاثة، علماء، واطباء، (وفقهاء) ومناطقه، وفلاسفة! و.. و.. الخ. ام هو (النص اليوناني) - الغائب؟

وللوصول بهذه الأسئلة الى نهاياتها سنقف مع كل واحد من هؤلاء الفلاسفة بالمقدار الذي يتيح له (البحث) وحدوده المقبولة. ففساناً نوفق في ذلك.

١- **التقابل - المقولي - المنطقي عند ارسطو بموجب الدستور**

بعد ان ينهي ارسطو مبحث (المقولات العشر) بالحديث سريعاً عن (متى واين والملك..) يدخل بعدها في مباحث (المتقابلات) و(الاضداد) يتبعها بالحديث عن (المتقدم والمتأخر ومعاً والحركة وله). ولما كان البحث في (المتقابلات والاضداد) واحداً متداخلاً يرى بعضهم انه (الجزء) المتمم للمقولات الارسطية، لذلك جاءت متكاملة مع بعضها بالشكل الذي احتواه (دستور) اسحق بن حنين ونقله عليه (يحيى بن عدي) وقابله به (عيسى بن زرعة)

وصححه الحسن بن سوار^(٢٨). وشرحه ابن الطيب! فيما ذا يخبرنا النص المعرب؟
أ- المتقابلات عند ارسطو على اربعة أوجه.
١/ أ: المضاف (على طريق الرسم) كما هو حال الضعف مع النصف.

٢/ أ: المضادة: بنى المتقابلات التي لا وسط بينها من جانب، والمتضادات ذات الوسط المشترك^(٢٩)، ممثلاً للأولى بالمقابلة بين الشرير والخير، والمرض والصحة، والفرد والزوج. وللثانية بالمقابلة بين (السواد والبياض) و(المحمود والمذموم) و(الحار والبارد)^(٣٠).
٣/ أ: العدم والملكة: فالتى تتقابل عن طريق العدم والملكة لا تتقابل واحدة ((من جهتي تقابل المتضادات^(٣١))) مثل (العمى) و(البصر) ولوضوع واحد.

٤/ أ: الموجبة والسالبة: وتقابلهما يوجب "بالضرورة أن يكون أحدهما صادقاً والآخر كاذباً" - مثل جالس، وليس بجالس، وينطبق ذلك عند ارسطو على المتضادات، والمضاف والعدم والملكة^(٣٢).

ومهما يكن أمر المتقابلات أعلاه، فإن ارسطو يخلص الى القول في معظمها على أساس القانون الآتي:
"ان التي تقال بغير تأليف أصلاً، فليس شيء منها لا صادقاً ولا كاذباً، وهذه التي ذكرت، كلها انما تقال بغير تأليف"^(٣٣) باستثناء حالة واحدة هي (الموجبة والسالبة) حين نخبرنا عن (قضية ما)! فلا بد أن يكون أحدهما هو الصادق! والآخر كاذباً. وما عدا ذلك "يقال من غير تأليف" كما يقول ارسطو.

كما اردف المعلم الاول المبحث الأنف بالحديث عن (الاضداد) كتضاد الشر للخير، والمرض للصحة والجور للعدل، والجبن للشجاعة^(٣٤). قائلًا من غير مقدمات: "والشر ضرورة مضاد للخير"^(٣٥) رافضاً وجود أوساط لهذه الاضداد.

٢- ابن سينا والمتقابلات المنطقية المقولية:-
فصل ابن سينا القول في (المتقابلات) ووسع الشرح



"التقابل على أساس الوجود وفي موضوع" ^(٢١) بخلاف "التقابل الذي هو التناقض، فيفارق الجميع من جهة ان المتناقضين يصلح فيهما الصدق والكذب" ^(٢٢).

٣/١: ويمثل لموضوعاته المختلفة، بتقابل (الحرارة والبرودة، والحركة والسكون) و(العمى والبصر) و(الابوة والبنوة) و(الايجاب والسلب) و(العدم والمملكة). لتكون بمثابة "معان مشتركة في موضوع لها أن توجد فيه، الا انها لا تجتمع فيه" ^(٢٣).

٤/١: وعلى مستوى ثنائية التقابل عبر مقولتي (القياس) و(الماهية) يمثل ابن سينا بالاولى بتقابل (المضاف، المشتركة في موضوع) ^(٢٤) كتقابل (الابوة والبنوة)، ويمثل للثانية بتقابل (العدم والقنية) تقابل مضادة، لأن (العدم لا يقابل الوجود) في هذا المستوى من التقابل (المضاد) بل يقابل (القنية). والعدم المقصود هنا "هو العدم الذي هو فقدان القنية في وقتها، أي فقدان القوة التي بها يمكن الفعل اذا صار الموضوع عادماً للقوة" ^(٢٥).

ب- وإذا كان ابن سينا قد رد على القائل- (في موضوع الضد)- بأن العلم الاول، قد ترك هنا- (التقابل بين الجوهر والعرض، والصورة والمادة) ^(٢٦)- يقصد ابن الطيب- لوقوع المبحث في دائرة الطبيعة، فإنه يوزع التقابل بين الاضداد على أساس (وجودي) و(عدمي)، الاول (الأيس) والثاني (الليس) مثل تقابل (الوجود والعدم) في ثنائيات: الحر والبرد، والصحة والمرض، والزوج والفرد، والحركة والسكون). اما ما قيل في التقابل بين الحرارة والبرودة فهو تقابل ضدي قياساً على سبيل الإضافة ^(٢٧). وتقابل (الفجور والعفة) و(الجور والعدل، والجبن والشجاعة، والمرض والصحة) قياساً لكلياتها وجزئياتها، حيث تتقابل كل جزئية (منها) ضد جزئيات الآخر، تقابلاً (على سبيل الإطلاق) وعلى سبيل (الجزئي). فالشر يضاد الخير، على الإطلاق، ويضاد الشرور الاخرى، لأن

وأتى على نصف ما خصه لعموم اللواحق المقولية ^(٢٨)، لأنه لم يكتف بعرض الفهم الارسطي، كما يراه ابن سينا، لهذه المتقابلات بل أضاف اليها وتحدث عن شكوك وحلول وخلافات مع الآخرين من المعاصرين والسابقين! وارف ذلك بمبحث ثالث عن (احكام وخواص في المتضادات) ^(٢٩).

ومهما يكن أمر اللواحق، فإن ابن سينا يراها "الفاظ استعملت في تعليم المقولات" ^(٣٠) جعلها موضوع (المقالة السابعة) من كتاب المقولات او كما سماه (الفن الثاني) من فنون المنطق بعد ان عد (ايساغوجي= المدخل= لفورفوريوس الصوري) هو (الفن الاول):

١- المتقابلات عند ابن سينا تعني بين ما تعنيه ان المتقابلين، لا يجتمعان في موضوع واحد من جهة واحدة وزمان واحد معاً ^(٣١) الا في حالات خاصة يؤشرها في سياق حديثه عن التقابل. ويمثل للمتقابلات بـ (الفرس واللافرس) و(الزوج والفرد) و(الاثبات والنفي) و(الصادق وليس بصادق) و(الطعام واللاطعام) وبعض هذه الامثلة، لا تمثل (تقابل متناقضات، ولا اضافة ولا تضاد) لكنه لا يمتنع لديه "اجتماع ما يقع عليه من المتقابلين في موضوع واحد بأن يكونا فيه" فكل مالم يجتمع في موضوع واحد سبيل الوجود فيه فليس يجتمع في موضوع في سبيل القول عليه، ولا ينعكس" ^(٣٢).

٢/١: وقبل أن نسترسل في عرض أوجه التقابل عند ابن سينا، نقف قليلاً معه عند حدود (التقابل): "المتقابلات: معانٍ اشتركت في موضوع لها أن توجد فيه، الا انها لا تجتمع فيه" ^(٣٣) والتقابل "اما أن يكون ماهيته مقولوة بالقياس الى ما هو مقابل له وبما أن لا تكون" ^(٣٤).

٢/٢: وإذا كان التقابل يتوزع على (الوجود) و(الطبائعات) و(الاضافة) و(الماهية)، فإن بعضه يكون "على أساس الحمل على موضوع" والآخر

جميع الافراطات (عند ابن سينا) والتفريطات، هي تطرف ينطوي على (شرور)^(٩٨) اما (الايوساط) فهي فضائل معبرة عن حكمة، وعن خير وعن شجاعة وعن عفة، وهذا هو (تقابل التضاد) الذي يختلف عن تقابل (العدم والملكة) ومن احكام المتضادين يعني "ان وجود أحدهما مطلقاً، لا يوجب وجود الآخر بوجه من الوجوه ايجاب المتضايقات"^(٩٩).

ولما كان تقابل (المضاد) غير تقابل (المضاف) بسبب كون الاول يتصل (بالماهية) و (الثاني يتصل بالقياس) فإن ابن سينا يقدم جملة حلول لشكوك عن (العلاقة بين المضاد والمضاف) وفي كون الاضافة طارئة، وليست هوية، على قاعدة ان "كل تقابل من حيث هو تقابل مضاف، وليس كل تقابل مضاف"^(١٠٠) اما القاعدة الثانية فيقول فيها "ليست الامور المتضادة، مقولة الماهية بالقياس الا ان تقال من حيث متضادة، ولا الملكة والعدم من المضاف" و"كل متضايقات فهو متقابل، وكل متضاد وكل عدم وملكة وليس كل متقابل من المضاف"^(١٠١) وينكر وجود الوسطية - بين الصحة والمرض^(١٠٢). ويسكت عن تقابل السلب والايجاب.

٣- ابن الطيِّب والتقابل المقولي:

جعل (فيلسوف بغداد) (المتقابلات المتضادات) موضوع التعليم الرابع والعشرين - بأكمله حين جمع فيه الحديث عن الموضوعين، في حدود الاطار الارسطي، وتفق على الآخرين في (مقدمته) عن القضايا المتعلقة بما بعد (المقولات)، او اللواحق! عموماً قائلاً "فقبل أن ننظر في كلام ارسطو طالع في المتقابلات ينبغي لنا أن ننظر في عدة مطالب"^(١٠٣) مثل حدها وقسمتها وترتيبها.

أ- حد المتقابلات: ((المتقابلان هما الشئان اللذان، الموضوع لهما واحد ولا يجتمعان جميعاً فيه)) او قل هما "حالتان موجودتان للشئ، لا معاً" تكون

((نسبة لاجتماعهما في موضوع واحد))^(١٠٤) ويمثل لهما بتقابل ((السواد والبياض، والابوة والبنوة والعمى والبصر والايجاب والسلب)).

ب- اما قسمة المتقابلات: فيوزعها ابن الطيِّب ابتداءً - كما هو شأن ارسطو وابن سينا - الى اربعة انواع: ب/١: التقابل عن طريق الاضافة كالابوة والبنوة فيكون ((الموضوع واحد ولا يجتمعان فيه)) وذات ((كل واحد منها تقال بالقياس الى الآخر))^(١٠٥).

ب/٢: التقابل عن طريق التضاد، مثل (الابيض والاسود) يكون ((الموضوع واحد ولا يجتمعان فيه جميعاً، وينتقل الموضوع من احدهما الى الآخر)).

ب/٣: التقابل عن طريق العدم والملكة (كالعمى والبصر) وهي ((التي يكون الموضوع لها واحد، لا يجتمعان فيه، ولا يمكن أن ينسب))^(١٠٦).

ب/٤: التفاعل عن طريق الايجاب والسلب مثل (يمشي ليس يمشي) وهي التي يكون "الموضوع واحد، ولا يجتمعان فيه، ويلزمها معنى الصدق والكذب"^(١٠٧).

وما عدا الأخيرة من الانواع، تكون المتقابلات عند ابن الطيِّب ((الصور والمعاني، لا الموضوعات))^(١٠٨) مما يقع خارج دائرة الصدق والكذب.

ج- اما الترتيب الذي يعرضه (ارسطو في الدستور)^(١٠٩) فيقلب ابن الطيِّب النظر فيه على اساس التسبب الرباعي وعلته:

ج/١: التقابل في اللفاظ: سلباً وإيجاباً.
ج/٢: التقابل في الامور المركبة للمضاف (اسود - ابيض).

ج/٣: تقابل في الطبع بين (الهيولي والصورة) لكل من الذات والنسب حين يعكس (التقابل بالتضاد)^(١١٠) جملة (امور تعليمية) و (امور اعمومية)^(١١١).

ج/٤: تقابل العدم والملكة، "الذي تنتقل فيه الملكة الى العدم، والعدم لا يرجع الى الملكة الابدية" - الهية^(١١٢) (اعجازية).



يعرض بعدها لجملة شكوك وحلولها ينتهي منها الى القول: "ان الحديث عن المتقابلات، لا في موضوعها، مما لا صلة له بالالفاظ الدالة عليها"^(٩٩). يضعها خارج حدود الصدق والكذب ثم ينسب بعدها مباحث التقابل الارسطية الى مصادرها قائلًا ((ولما كان ارسطو طاليس قد امعن في الكلام في المضافات لانها أحد المقولات العشر، وفي العدم والملكة، عند كلامه على الكيفية، لأن الملكة أحد انواع الكيفية، وفي الايجاب والسلب، في كتابه العبارة"^(١٠٠) الى جانب شروح ابن الطيب في مبحث الكمية.

ويفسر معنى ان يضاد الخير الشر، (في مبحث الاضداد) من المتقابلات، بعنصر واحد على الضد، وان المتوسط يضاد الطرف مضادة التفريط للتقشير: فيكون للضد ضد واحد لا اكثر"^(١٠١).

والاضداد عنده غير المضافات، ((اذا كانت المضافات متى وجد احدهما وجد الآخر لا محالة، ولا يفهم أحدهما الا بالآخر)) فان الاضداد، ((متى وجد أحدهما فلا يجوز وجود الآخر البتة"^(١٠٢).

والمسألة التي تستأثر باهتمام ابن الطيب (الطبيب) اكثر من غيرها (بخلاف ابن سينا الطبيب) هي انكار ارسطو، وابن سينا، لوجود (وسط بين الصحة والمرض)^(١٠٣). وهو العالم الطبـيـعي، الذي لا يمكن الاحاطة بموقفه الا بالرجوع الى دروسه السابقة عن هذه الاشكالية.^(١٠٤) كما يقف ابن الطيب عند الشك

القائل ((ان الالفاظ الدالة على الاضداد وعلى العدم والملكة وعلى المضاف، لا تصدق ولا تكذب.. ولكن لما كانت هذه موجودة في موضوعات ومعلقة بها، وجب أن تكون الالفاظ الدالة عليها معلقة بالالفاظ الدالة على موضوعاتها. واذا تعلقت، اجتمعت، وإذا اجتمعت تركبت. واذا تركبت صدقت وكذبت))^(١٠٥) -وهو رأي لابن سينا.

يناقش ابن الطيب هذا الاشكال قائلًا "كلامنا هو في

د- بعدها يقف ابن الطيب عند (المتقابلات) (من حيث) (جنس يعم الاقسام الاربعة) (الأنفة وبهذا تفوق على غيره، متوقفاً عند (الحدود الارسطية) - الاربعة- والشكوك المثارة عليها وطرق معالجتها"^(١٠٦).

فيصح (فهم الشراح) لتعليق ارسطو طاليس حول (الربـاعية) (الأنفة (الاضافة والتضاد والعدم والملكة والايجاب والسلب) كما يغلط القول الثاني في (المتقابلة)^(١٠٧) ويرى ان ارسطو قد عرض للفروق فيما بينها على اساس (رباعي) مع ان (قانون الازدواج) السداسي، يؤشر اكثر من ذلك.

لقد عد (ابو الطيب) المتقابلات فوجدها:

١/د: ثلاثة بين المضاف وما بعده.

٢/د: اثنان بين الاضداد وما بعده.

٣/د: وواحد بين العدم والملكة.

٤/د: وواحد بين السلب والايجاب فيصبح مجموعها سبعة اختصرها ارسطو الى (اربعة) ازواج: لكنه في حقيقة الامر يفرق بين (المضاف وبين الاضداد) التي

تقال المقابلة فيها (بالقياس الى الآخر)^(١٠٨). وبين الاضداد والعدم والملكة (وبين المضاف والعدم والملكة) و(بين الايجاب والسلب) وبينهما ثلاثتها (منفردة) و(مجتمعة)!

ولما كانت (المقابلة) تقال (بالاضافة) قياساً على الآخر، و(بالتضاد) (تقال على حدتها)، اما في (العدم والملكة) فتفهم على الجواز أي ((صور واعدام صور))^(١٠٩).

ثم يفرق ابن الطيب، بين (العدم) و(الملكة) و(الاضداد) على سبيل التفصيل والاجمال. فإذا كانت الاضداد عند ارسطو ((يتغير كل واحد منها الى الآخر، وينقلب موضوعها من احدهما الى الآخر، بعد ان لا يكون احدهما طبيعياً، او عقلياً)) فإن العدم والملكة، فيقول عنها ابن الطيب: ((وأما الملكة فتنتقل الى العدم. واما العدم فلا ينتقل الى الملكة على قانون الطبيعة اللهم الا ان يقهر بقوة الهية))^(١١٠).

المتقابلات لا في موضوعاتها، وهذه لا يلزمها الصدق أو الكذب. وإن أخذناها مع الموضوعات، لم يلزم فيها أن تصدق أو تكذب دائماً، لكن مادام الموضوع موجوداً أو لا فإذا لم يكن موجوداً، كذباً جميعاً، فأما الإيجاب والسلب، فإنهما يقتسمان الصدق والكذب دائماً، كان الموضوع موجوداً أو لم يكن موجوداً^(٨٦).
يعرض بعدها ابن الطيب، القوانين الارسطية للمتضادات.

القانون الاول: "إن الضد الواحد انما له ضد واحد"^(٨٧).
القانون الثاني: "الضدان لا يجتمعان جميعاً في موضوع واحد، لكن متى كان احدهما موجوداً، فيه لم يكن الآخر"^(٨٨).

القانون الثالث: "ان المتضادين هما اللذان موضوعهما واحد لا يجتمعان فيه"^(٨٩).

٤- ابن رشد والتقابل المقولي المنطقي:
اجتمع في (القسم الثالث) من تلخيص المقولات، عند ابن رشد (التقابل والتضاد) في مبحث واحد يحمل عنوان (القسم الاول)^(٩٠) توزع الحديث فيه عن التقابل والتضاد على أحد عشر فصلاً. كما هو شأن تناول عند ابن الطيب، وارسطو- بخلاف الاقسام الاربعة الاخرى، التي تناول فيها ابن رشد القول على المتقدم والمتأخر^(٩١) والقول في معنى "معاً"^(٩٢) والقول في الحركة^(٩٣). والقول في (له)^(٩٤).

ان الغاية التي ارادها ابن رشد من (تلخيص المقولات) الخروج من تعقيدات البحث المنطقي الى الوضوح والايجاز لذلك عمد في القسم الاول الى تقديم (المبادئ الاساسية) للمتقابلات كما تعبر عن روح الفهم الارسطي، لما بعد المقولات. ثم راح يمثل لها بايجاز لكي تكون قريبة الى الاتهام. فيعرض لنا ابو الوليد هذه الفصول كما يأتي:

١/٤: يعرف باصناف المتقابلات ويمثل للمضافين والمتضادين والعدم والملكة والموجبة والسالبة^(٩٥).

٢/٤: ولما كان التقابل على جهة التضاد "ولا تقال ما هية احدهما بالقياس الى الثاني، فان الخير مضاد للشر وليس الخير خير الشر"^(٩٦) اختلفت بذلك عن التقابل على جهة المضاف.

٣/٤: المتضادات عند ابن رشد نوعان: الاول: متضادان (ليس بينهما متوسط) ومتضادات بينهما متوسط^(٩٧).

٤/٤: اما الاشياء التي تتقابل على وجهه (العدم والملكة) فيقصد بها الاشياء التي ليست هي (العدم نفسه) او (الملكة نفسها) التي تتقابل هي بدورها أيضاً بل يمكن ان يكونا في الشيء نفسه مثل (العمى) و(البصر)^(٩٨).

٥/٤: الاشياء (الموجبة والسالبة) عنده، فيعرف بها لا على اساس القضية (الموجبة والسالبة) بل على اساس الوضع الناشئ من جراء تقابل الموجبة والسالبة^(٩٩).

٦/٤: ويميز (ابن رشد) بين (الملكة والعدم) وبين (المضافين) حيث يكون تقابل الاول، ليس بالتكافؤ، بخلاف تكافؤ الثانية^(١٠٠).

٧/٤: كما يفرق بين (العدم والملكة) وبين (الضدين)، بعدم عدا الاول من (المتضادات) التي بينها وسط، او بلا وسط. اذا وجد ((في العدم والملكة ما هو دائماً في موضوع))^(١٠١) والتغير في حقيقته هو الجاري حركته، من الملكة الى العدم، وليس العكس.

٨/٤: وفي حساب جدول التقابل الزوجي، يكاد ابن رشد يقترب من الترجيحات التي قدمها ابن الطيب، حين فرق بين (الموجبة والسالبة) و(العدم والملكة) و(المضافين) و(المتضادين) مع حل لبعض الشكوك المثارة على (المتضادات والمضافات والعدم والملكة)^(١٠٢).

٩/٤: وعن قوانين التضاد الارسطية، يرى ابن رشد

قد يضاد واحد الواحد وقد يضاد واحد لاثنين^(١٠٣).

١٠/٤: لم يجد ابن رشد ما يلزم "في المتضادين، متى وجد احدهما، ان يكون الآخر موجوداً، كما هو شأن المضاف"^(١٠٤).



حتى لنخال (حزمة الضوء السينوية) تمر من خلال (المنشور البغدادي) لابن الطيب الى حيث يتأمل (فيلسوف قرطبة).. اشكالات المبحث المقولي بخاصة، والمنطقي بعامة! وكيف (ضاعت) شخصية (ارسطو) بين ذلك الكم الهائل من (الشروح) لمباحث المنطق! ها هنا.. وجدنا.. ثمة إشرافات، تنعكس على (ذهن) ابن رشد وهو يزد على ابن سينا. اما حجم هذا (التردد.. والتناغم) بين فيلسوفي (بغداد وقرطبة) فقلنا فيه بعض الرأي تاركين الامر لغيرنا يمتحن الرأي ويختبر النتائج التي عرضناها في بحوث عديدة ومؤتمرات عديدة.. جميعها تقول: إن تلخيص ابن رشد جاء للانجاز العربي على (ارسطو) وليس لحقيقة النص الارسطي اليوناني. والملحق الموجود هنا يوضح ذلك.

١١/٤: المتضادان عند ابن رشد "اما ان يكونا من جنس واحد، او من جنسين متضادين، واما ان يكونا انفسهما جنسين متضادين لا داخلين تحت جنس واحد" (١٠)

ومثلما اعطى ارسطو لهذا المبحث اكثر مما اعطاه لبقية اللواحق، فإن ابن رشد فعل مثل ذلك في تلخيصه، مع ايضا حاشيات نافعة لاغراض تعليمية مقصودة.

خلاصة القول:

على ما اكتنف المبحث (المقولي) من مصاعب في الفكر العربي، فإن (لواحق المقولات) كانت اشد غموضاً من (المقولات) نفسها، وإن أكثر اللواحق تعقيداً يتجلى في الحديث عن (المتقابلات والاضداد) موضوع هذه الدراسة - لما تنطوي عليه من مضامين (منطقية) قد تفارق الفهم (الطبيعي) و (الاخلاقي) و (الماورائي)، لهذا السبب، عرضنا لحقيقة الانجاز الرشدي في التلخيص منظوراً اليه من خلال (منشورين) مؤثرين في مسار الفكر العربي - الاسلامي، الاول (ابن سينا) والثاني (ابن الطيب)!

ملحق/ جدول - مابعد المقولات المنطقية في الفكر العربي - الاسلامي - مقارنة بالدستور الارسطي

مابعد المقولات	مقولات لارسطو (١)	مقولات الشفاء/ ابن سينا	تفسير المقولات/ ابن الطيب	تلخيص المقولات/ ابن رشد
١- المتقابلات	٣٨ - ٤٧ = ١١ صفحة	٢٤١ - ٢٥٩ = ١٩	٦١٠ - ٦٣٧ ورقة (٦)	١٣٤ - ١٤٣ = ٩
٢- الاضداد	٤٧ - ٤٨ = ٢	٢٦٠ - ٢٦٥ = ٥	معه لمبحث المقولات ب- ١٩ ورقة وجمع المتقابلات الى الاضداد ١٣٨ - ١٤٣ = ٢٣	١٤٣ - ١٤٥ = ٢ ١٢ -
٣- في المتقدم	٤٨ - ٥٠ = ٢	٢٦٥ - ٢٦٩ = ٥	٢٠ - ٢٦٣ = ٦٤٣	١٤٦ - ١٤٧ = ٢
٤- في (معاً)	٥٠ - ٥١ = ٢	٢٦٥ - ٢٧١ = ٦	٤ - ٦٦٧ = ٦٦٣	١٤٨ - ١٤٩ = ٢
٥- في (الحركة)	٥١ - ٥٣ = ٢	٢٧١ - ٢٧٣ = ٢	٦ - ٦٧٣ = ٦٦٧	١٥٠ - ١٥٢ = ٢
٦- في (له)	٥٣ - ٥٥ = ٢	لا يوجد (٧)	القنية ٦٧٢ - ٦٧٦ = ٣	١٥٣ - ١٥٤ = ٢
المجموع (٨)	١٨ صفحة	٣٣ صفحة	٨٦ ورقة	٢٠ صفحة



الملاحظات:

- ١- الأرقام حسب طبعة ١٩٤٧.
- ٢- حسب طبعة القاهرة ١٩٥٩.
- ٣- مخطوطة دار الكتب المصرية ٢١٢/حكمة
- ٤- حسب طبعة القاهرة ١٩٨٠ في القاهرة (ج/١).
- ٥- لاحظ تناغم أرسطو وابن الطيب وابن رشد في موضوع العلاقة بين المتقابلات والاضرار بخلاف ابن سينا الذي فصلها.
- ٦- لاحظ اختصاص ابن الطيب بالتمهيد لما بعد المقولات لصالح الفهم الارسطي من جانب والابداع العربي من جانب آخر
- ٧- لاحظ اهمال ابن سينا لمبحث (له). بخلاف ارسطو - ابن الطيب - ابن رشد.
- ٨- دقق بمجموع الصفحات لتعرف هل كان ابن رشد ملخصا لارسطو او للاجاز العربي! (ابن سينا - ابن الطيب)



الهوامش والمصادر



- ١- عبد الرحمن بدوي: مقدمة (منطق ارسطو) طبعة القلم (ط/١) بيروت ١٩٨٠ ص ٦٣-١٧٥ (الجزء الاول).
- ٢- ايضاً ص ١١ (ج/١).
- ٣- ابن الطيب تفسير المقولات ورقة ٥٩١.
- ٤- جاء ذلك حسب ما نقله (الحسن بن سوار) شارح المقولات (الاسبق) على لسان (ارسطو) في ثبت كتب ارسطو طاليس، المصدر السابق: ص ٧٩، راجع الشرح الجديدة للمقولات (ج/١) ص ٧٧-٩٦.
- ٥- راجع ما سجلناه من هذا الباحث ببحثنا الموسوم (اشكالية الجوهر في الفكر العربي الاسلامي) لمبين ابن سينا وابن رشد: مقدم في ندرة ابن رشد العربية- بيت الحكمة في غداد للمدة من ٣-١ ايلول ١٩٩٨ ص ٢-٣١ اما أصل النص فذكره ابن سينا النص من ابن رشد: في رسائل فلسفية نشر جمال الدين العلوي ط/الدار البيضاء ١٩٨٢ ص ١٥٦ او ٢٠٠.
- ٦- للباحث العديد من الدراسات عن (ابن الطيب البغدادي) وعن (ابن رشد) قدمت وسوف تقدم في مؤتمرات عربية وعالمية، منها (منطقة المقولات عند ابن رشد بين النص الارسطي والانجاز العربي. ندوة (ابن رشد العالمية في تونس ٢١ شباط ١٩٩٨ ص ٤-٨٢ والبحث المقدم في الندوة لبيت الحكمة في بغداد، (مصدر سابق) وبحث المؤتمر العالمي لابن رشد في قرطبة ١١-٩ كانون الاول ١٩٩٨ ص ١٥٢. وغيرها.
- ٧- يترأس الباحث فريق عمل لتتحقيقه ونشره لصالح (بيت الحكمة) (عام ٢٠٠٠).
- ٨- راجع مخطوطة ابن الطيب تفسير المقولات ورقة ٦٧٧ قارنها لما ورد في الجزء الاول من كتاب الطبيعة لأرسطو ١/١٦٤ و ص ٤٨٥. والجزء الثاني (طبعة الارث) (القومي القاهرة ١٩٦٥ ٢/٦٠٤ و ٦٨٠ و ٩٣٧.
- ٩- تترجمها (شكوى ابن سينا) من صعوبة فهم المصطلح الفلسفي الارسطي (لولا شروح الفارابي في الميتافيزيق ويفصح عنها (تفصيلات ابن الطيب وشروحه الواسعة) على النصوص الارسطية).
- ١٠- تحدث عنه ابن الجوزي في المنتظم، واوجزه آدم متميز في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبد الهادي ابوريدة ص ٢٨١-٢٨٦ (دار الكتاب العربي) ط٤ المجلد الاول بيروت ١٩٦٧.
- ١١- ارسطو طاليس: كتاب المقولات (من المنطق) ترجمة اسحق بن حنين وتحقيق وتعليق ونشر د. عبد الرحمن بدوي القاهرة ١٩٤٧ ج ١/ ص ٣٨-٤٨.
- ١٢- المصدر السابق.
- ١٣- ابن سينا (كتاب المقولات من منطق الشفاء) - القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٤١-٢٥٩.
- ١٤- المصدر السابق ص ٢٦٠-٢٦٥.
- ١٥- المصدر السابق ص ٢٦٥-٢٧٢.
- ١٦- المصدر السابق ص ٢٧٢.
- ١٧- ابو الفرج عبد الله الطيب البغدادي: تفسير المقولات: مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٢١) حكمة تيمون) ورقة ٥٩١-٦٠٩. مشير الى تشكيك اندرونيقوس في عائدتها لارسطو.
- ١٨- المصدر السابق ورقة ٦١٠-٦٤٢.
- ١٩- المصدر السابق ورقة ٦٤٢-٦٧٠.
- ٢٠- المصدر السابق ورقة ٦٧٢-٦٧٦.
- ٢١- بلغت ما بعد المقولات عند ابن الطيب ٨٦ ورقة، في جني كانت عند ابن سينا (٢٢) صفحة وعند ارسطو (٨) صفحة.
- ٢٢- ابن رشد: كتاب تلخيص المقولات: تحقيق محمود قاسم، اكمله وعلق عليه د. تشارلي بترورث ود. احمد عبد



- المجيد هريدي. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة ١٩٨٠ ص ١٢٤-١٤٥.
- ٢٣- المصدر السابق ص ١٤٦-١٤٧.
- ٢٤- المصدر السابق ص ١٤٨-١٤٩.
- ٢٥- المصدر السابق ص ١٥٠-١٥٢.
- ٢٦- المصدر السابق ص ١٥٣-١٥٤.
- ٢٧- هو تقليد دأب ابن الطيب على استعماله لافي (تفسير المقولات) وحده الذي وزع على (٢٥) تعليماً، بل ومثل ذلك وجدناه في تفسير كتاب الطبيعة لارسطو طاليس. راجع نشرة بدوي القاهرة ١٩٦٥ (الجزء الثاني) ص ٧٢٣-٩٣٧ والجزء الاول (القاهرة ١٩٨٤) ص ١٧٧-٤٨٥.
- ٢٨- ارسطو: كتاب المقولات: نقل اسحق بن حنين: نشر بدوي طبعة القاهرة ١٩٤٧ (الجزء الاول ص ٥٥).
- ٢٩- المصدر السابق ص ٤٠.
- ٣٠- المصدر السابق ص ٤٣.
- ٣١- المصدر السابق ص ٤٤.
- ٣٢- ارسطو: كتاب المقولات: ص ٤٥.
- ٣٣- ايضا ص ٤٥. ٣٤- ايضا ص ٤٧.
- ٣٥- ايضا ص ٤٧-٤٨.
- ٣٦- ابن سينا: المقولات / من منطق الشفاء / تحقيق الاب جورج قناتاني، واحمد فؤاد الاهواني. ومحمود محمد الخضري، وسعيد زايد، مراجعة وتقديم ابراهيم مذكور القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٤١-٢٥٩ (استوفى ابن سينا الحديث عن اللواحق جميعاً ب ٣٣ صفحة، منها ١٩ صفحة عن المتقابلات (راجع ٢٦٠-٢٧٢).
- ٣٧- المصدر السابق ص ٢٥٥-٢٥٩.
- ٣٨- المصدر السابق ص ٢٧٢.
- ٣٩- المصدر السابق ص ٢٤١.
- ٤٠- ابن سينا: المقولات / منطق الشفاء / ص ٢٤٢.
- ٤١- المصدر السابق ص ٢٤٥.
- ٤٢- المصدر السابق ص ٢٤٤.
- ٤٣- المصدر السابق ص ٢٥٨.
- ٤٤- المصدر السابق ص ٢٤٥.
- ٤٤ب- المصدر السابق نفسة.
- ٤٥- ابن سينا / المقولات / من الشفاء / ص ٢٤٩.
- ٤٦- المصدر السابق ص ٢٤٧ و ٢٥٥.
- ٤٧- المصدر السابق ص ٢٤٨.
- ٤٨- المصدر السابق ص ٢٤٩.
- ٤٩- ابن سينا / المقولات / من الشفاء / ص ٢٦٠.
- ٥٠- المصدر السابق ص ٢٦٣.
- ٥١- المصدر السابق ص ٢٥١.
- ٥٢- المصدر السابق ص ٢٥١.
- ٥٣- المصدر السابق ص ٢٥٣.
- ٥٤- ابن الطيب: تفسير فاطمي غورياس ورقة ٥٩١.
- ٥٥- المصدر السابق ورقة ٥٩٢.
- ٥٦- المصدر السابق ورقة ٥٩٣.
- ٥٧- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٥٩٤.
- ٥٨- المصدر السابق ورقة ٥٩٣ و ٥٩٤.
- ٥٩- المصدر السابق ورقة ٥٩٣.
- ٦٠- المصدر السابق ورقة ٥٩٤-٥٩٥.
- ٦١- المصدر السابق ورقة ٥٩٥-٥٩٦.
- ٦٢- المصدر السابق ورقة ٥٩٥.
- ٦٣- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٥٩٦.
- ٦٤- المصدر السابق ورقة ٥٩٦-٥٩٧.
- ٦٥- المصدر السابق ورقة ٥٩٧.
- ٦٦- المصدر السابق ورقة ٥٩٩.
- ٦٧- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٦٠٠-٦٠٢.
- ٦٨- المصدر السابق ورقة ٦٠٤.
- ٦٩- ايضا ورقة ٦٠٥-٦٠٦.
- ٧٠- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٦٠٧.
- ٧١- المصدر السابق ورقة ٦٠٩.
- ٧٢- المصدر السابق ورقة ٦٠٩.
- ٧٣- المصدر السابق ورقة ٦١٧-٦١٨.
- ٧٤- المصدر السابق ورقة ٦٢٧.
- ٧٥- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٦٢٧.
- ٧٦- المصدر السابق ورقة ٦٢٧.
- ٧٧- المصدر السابق ورقة ٦٢٨.
- ٧٨- المصدر السابق ورقة ٦٤١.
- ٧٩- المصدر السابق ورقة ٦٤٢.
- ٨٠- ابن رشد: تلخيص كتاب المقولات (مصدر سابق) ص ١٣٤-١٤٥.
- ٨١- المصدر السابق ورقة ١٤٦-١٤٧.
- ٨٢- المصدر السابق ورقة ١٤٨-١٤٩.
- ٨٣- المصدر السابق ورقة ١٥٠-١٥٢.
- ٨٤- المصدر السابق ورقة ١٥٣-١٥٤.
- ٨٥- المصدر السابق ص ١٣٦.
- ٨٦- ابن رشد: تلخيص كتاب المقولات: ص ١٣٦.
- ٨٧- المصدر السابق ص ١٣٧.
- ٨٨- المصدر السابق ص ١٣٧.
- ٨٩- المصدر السابق ص ١٣٨-١٣٩.
- ٩٠- المصدر السابق ص ١٣٩.
- ٩١- ابن رشد: تلخيص كتاب المقولات ص ١٤٠-١٤١.
- ٩٢- المصدر السابق ص ١٤٢-١٤٣.
- ٩٣- المصدر السابق ص ١٤٣-١٤٤.
- ٩٤- المصدر السابق ص ١٤٤.
- ٩٥- المصدر السابق ص ١٣٤-١٣٥ و ١٤٤-١٤٥.

خصائص مدارس حنين بن إسحق

في الترجمة

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

الموصل / العراق

فأخذ ينقل الكتب لكل طالب، وينقح ما ينقله
الأتباع والنقلة الذين وجدوا المتسع في (بيت الحكمة)
لإظهار مواهبهم العلمية والفكرية^(١).

والذي لاشك فيه أن حنيناً والذين عملوا معه
وتلاميذه في (بيت الحكمة) شكلوا مدرسة كان لها
طابع مميز في حركة الترجمة، واتصفت بخصائص
مهمة يمكن حصرها ضمن خمسة أمور هي:

الخاصية الأولى- الترجمة بالمعنى:

يقول الشيخ صلاح الدين خليل أيبك الصفدي
(٧٦٤هـ): ((وللترجمة في النقل طريقان أحدهما
طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي
وغيرهما وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من
الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي
بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة
على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك
حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. وهذه
الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في
الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات
اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من
الألفاظ اليونانية على حالها)).

((الطريق الثاني في التبويب: طريق حنين بن
إسحق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي إلى الجملة
فيحصل على معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة
الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم
خالفها. وهذا الطريق أجود، ولهذا لم تحتج كتب
حنين بن إسحق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه
لم يكن قيمياً بها بخلاف كتب الطب والمنطق

إن من بين العوامل التي ساعدت على قيام
الحضارة العربية الإسلامية في بداية نشأتها، كان
ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي خاصة في
القرنين الثالث والرابع للهجرة، وفي زمن المأمون على
الأخص بلغت الترجمة أعلى درجات نضجها، فقد فاق
المأمون جميع خلفاء بني العباس عناية ورعاية لهذه
الحركة، مما دفع النقلة للإسهام والتفنن في نقل
تراث الأمم الأخرى إلى العربية ومن مختلف اللغات
لقد كان هؤلاء النقلة من جنسيات وأديان مختلفة
جمعهم في (بيت الحكمة ببغداد) هدف مشترك، ألا
وهو القيام بخدمة العلم عن طريق نقل ما خلفته
أمم سابقة كالإيونان والفرس والهند من تراث إلى
اللغة العربية.

ويقدر المعنيون بتاريخ الترجمة بأن مجموع ما
ترجم في هذا الدور من تاريخ حركة الترجمة يعادل
جميع ما ترجم في الأدوار الأخرى مجتمعة، بل يزيد
على ذلك.

ولعل حنين بن إسحق العبادي (١٩٤-
٢٦٠هـ/ ٨٧٢-٨٠٩م) وكان أشهر النقلة الذين برزوا في
هذا الدور الرائع في مجال ازدهار حركة الترجمة،
حيث عمل ((على إرساء قواعد علمية ثابتة ومكينة
أمكن بفضلها أن ينتقل العمل العلمي الجاد إلى
الآخرين، فكان أن التف حوله الأتباع الذين عملوا
معه، وأنس بهم، وأكملوا مسيرته من بعده. عمل
مترجماً في عصر المأمون لكتب الأوائل وكلف بإصلاح
ترجمات غيره من النقلة الذين عملوا في (بيت
الحكمة في بغداد) أكاديمية العلماء في ذلك الوقت،



النصوص الواردة في الكتاب الذي يراد ترجمته إلى اللغة العربية أو السريانية وفي سبيل تحقيق ذلك ((كان حنين يتجشم رحلات طويلة بغية الحصول على النسخ الكاملة مثال ذلك (كتاب في البرهان) لجالينوس الذي كان نادر الوجود في القرن الثالث الهجري والذي قال عنه حنين ((إنني بحثت بحثاً دقيقاً وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى أن وصلت إلى الإسكندرية لكنني لم أظفر إلا بما يقرب من نصفه في دمشق))^(١) و((في هذا الصدد نلاحظ أن المستشرق الألماني

برجستر اسر Bergstrasser وفرانز روزنتال Ronsenthal وكذلك ماكس مايرهوف Meyerhaf يدفعون بمجموعة من الآراء حول منهج حنين وطريقته في مقابلة المخطوطات أو النسخ بعضها ببعض. ففي فقرتين متتاليتين يذكرهما برجستر اسر عن حنين يرى أنه لم يكن ثمة طريقة خاصة به، وإنما طريقته اتباع دقيق لتقاليد وتعاليم المدرسة السريانية في الترجمة.

يقول برجستر اسر في الفقرة الأولى: ((ونحن نرى في تقاليد المدرسة اليونانية - السريانية أمثلة كافية للوقوف على طريقة مقابلة المخطوطات. فقد كان معروفاً عند هذه المدرسة، أن مقابلة المخطوطات المختلفة لكتاب ما، هي الوسيلة الوحيدة لإقامة نص موثوق به. وكان الغرض من استعارة الكتب بين علماء السريان وهو قراءتها ونسخها ومقابلتها)).

ثم نجد برجستر اسر في فقرة أخرى ليست بعيدة عن هذا الموضوع يقول: ((وكانت المدرسة اليونانية السريانية تدرك تماماً فائدة مقابلة المخطوطات، ونحن نعرف أن حنيناً قد استخدم قواعد المقابلة في عمله، ولكنها لم تكن من ابتداعه شخصياً. وهو حينما سماها (عاداته الشخصية) كان

والطبيعي والإلهي فإن الذي عربيه منها لم يحتج إلى (إصلاح))^(٢).

((إن جوهر هذه الطريقة (الترجمة بالمعنى). كما يدل عليها اسمها أيضاً. يعتمد على المعنى الشامل لكل جملة في أي كتاب يراد ترجمته، ومن ربط المعنى الكلي للجملة بعضها ببعض، حسب هذا الأسلوب يتكون مضمون الكتاب المترجم. والفارق الرئيس بين هذه الطريقة و(الترجمة الحرفية)، هو أن الترجمة هنا تقوم على الجملة مجتمعة لا على الكلمة منفصلة عن أختها الكلمة التالية لها. والواقع أن هذا الأسلوب هو أقرب إلى المنطق والفهم من الأسلوب السابق. ويعد حنين بن إسحق العبادي كما قلنا من أشهر النقلة الذين اتبعوا هذه الطريقة في ترجماتهم. وفي حقيقة الأمر أن هذه الطريقة قد افترنت بأسم حنين بن إسحق أكثر من أي ناقل آخر ممن سلك السبيل ذاته في الترجمة))^(٣).

وذلك لأنه كان دائماً يتوخى أداء المعنى بتعبير سلس ودقة علمية، متحاشياً الغموض ومتجنباً التحوير، ومما ساعده على ذلك وأضفى على ترجماته فصاحة وسلاسة امتلاكه زمام اللغات التي يترجم منها أو اللغة التي يترجم إليها.

الخاصية الثانية - فن المقالة في أدب الترجمة: من بين الخصائص التي اتصفت بها مدرسة حنين بن إسحق هو إتباع منهج علمي سليم يركز أولاً على محاولة الحصول على النسخة الأصلية التي لا يصل إليها الشك في أصالتها لأي كتاب يرومون ترجمته، أي أن حنيناً والعاملين معه كانوا يفضلون التعامل مع أصل الكتاب الخالي من التصحيف والانتحال.

وفي حالة تعذر الأصل كانوا يحاولون جمع عدة نسخ من المخطوط للأصل الواحد واستخدام طريقة المقابلة والمقارنة بين النسخ في سبيل تحقيق

يعني أنه التزم تطبيق قواعد أكثر مما التزم بها من سبقوه^(٥).

ويقف روزنتال في رأي مع برجستراسر ويعتقد أنه اكتشف الطابع المميز لأسلوب حنين في الترجمة، ويعتقد أيضاً أن الأسلوب الذي كان يتبعه حنين في الترجمة برتابة ودقة هو أحد التقاليد الرئيسية للمدرسة السريانية-الإغريقية في الترجمة، وأن هذا الأسلوب لم يكن من ابتدع حنين، وفي هذا الصدد يقول روزنتال: ((ونحن لا نظن أن طريقة حنين في معارضة المخطوطات التي كان يعالجها كانت من ابتكاره، بل يجب أن يكون قد اقتبسها عن التقليد الذي كان معروفاً في حلقات الترجمة السريانية اليونانية))^(٦).

الخاصية الثالثة- احترام النص الأصلي وتوخي الكمال في الترجمة: ((الترجمات مهما بسّلت فيها من حذق وعناية وعلم ودراية لا تكون كالأصل، وبخاصة الترجمات السريانية- فقد تعود أصحابها التصرف بالأصل وإضافة شروح وآراء أخرى إليها قد تخالف آراء المؤلفين، نسبت إلى أصحاب تلك المؤلفات عمداً أو سهواً. لذلك لم يكن غريباً أن تتعرض النقول الأولى لسبيل من الحملات أملتها النظرة العجلى، ولكن النقول لم تكن نهائية. وليس أدل على ذلك من إعادة ترجمة الكتاب الواحد مرات متعددة عن مصادر مختلفة ومقابلة الترجمات بعضها ببعض. لقد كانت هذه الطريقة من الأساليب المتبعة بين العلماء للوصول إلى النص الأصلي الصحيح مما يؤذن بالرغبة الأكيدة في تحري الدقة والحرص على الأمانة العلمية، كما نفعل في هذه الأيام، وهذه الطريقة العلمية السليمة بدت تباشيرها في القرن الثالث للهجرة، وكانوا يشترطون لصحة النقل إلى جانب معارضة النسخ وتصحيحها بعضها ببعض-

فهم اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها- ولا يقصر الأمر على ذلك بل كانوا يشترطون أيضاً فهم الموضوع وتصوره كتصور قائله والإحاطة به إحاطة تامة))^(٧).

((وكان حنين بن إسحق يبحث دائماً عن الأجود في عمله العلمي، وكان يراجع نقولاته السابقة التي ترجمها في صدر شبابه، وكذا ترجمات تلامذته، وفق منهج علمي دقيق ثابت، ليرسي بذلك القواعد العلمية لمدرسته، وليحذو تلامذته من بعده أسلوبه وطريقته. ولدينا بعض النصوص الهامة التي خلفها حنين في رسالته إلى علي بن يحيى يؤكد فيها أسلوبه، ولذا سوف نعرض هذه النصوص، ثم نناقش آراء من تناولوا أسلوب حنين وفقاً لها))^(٨).

١. حين تحدث حنين عن كتاب جالينوس في الفرق ذكر: ((وقد كان ترجمه قبلي إلى السرياني رجل يقال له ابن سهدا من أهل الكرخ، وكان ضعيفاً في الترجمة، ثم إنني ترجمته وأنا حدث من أبناء عشرين سنة أو أكثر قليلاً لم تطبب من أهل جنديسابور يقال له شير يشوع بن قطرب من نسخة يونانية كثيرة الإسقاط، ثم سألتني بعد ذلك وأنا من أبناء أربعين سنة أو نحوها جيش تلميذي إصلاحه بعد أن كانت قد اجتمعت له عندي عدة نسخ يونانية، فقابلت تلك بعضها ببعض حتى صحت منها نسخة واحدة ثم قابلت بتلك النسخة السرياني وصححته وكذلك من عادتني أن أفعل في جميع ما أترجمه))^(٩).

٢. ومن معرض حديثه عن كتاب جالينوس في القوى الطبيعية يقول: ((وقد ترجم هذا الكتاب إلى السريانية سرجس ترجمة سوء ثم ترجمته أنا إلى السريانية وأنا غلام قد أتت علي سبع عشرة سنة أو نحوها لجبريل بن بختيشوع ولم أكن أترجمت قبله إلا كتاباً واحداً سأذكره بعد وترجمته من نسخة

يتميز بعمق النظرة وصحة الاستدلال، وإصابة الفكرة، فضلاً عن التعبير الأنيق والتنظيم العذب. وكان يوفي الفكرة حقها، وفي كثير من الأحيان كان يترجم كل كلمة وردت في الأصل، ولا يتسرع في اعتبار هذه الكلمة أو تلك حشواً أو تزييداً.

وقد برهن أن على المترجم أن يقاوم ميله إلى الاختصار مضحياً بجملته هناك وكلمة هنا. ومن حيث أدوات الربط وجدناه في كثير من كتبه يميز بين الواو والفاء، وبين الفاء وثم حروف الجر ومعانيها لأنها مع الفعل والوصل أساس البلاغة. وقد كان الرجل فطنا إلى الصعوبات المتضمنة في كل هذه العملية، لأنه قد يصبح من العسير في كثير من الحالات نقل الصور الخيالية والأقوال الدارجة والكلمات الماثورة ووجوه البلاغة الأخرى من لغة إلى أخرى، ربما يكون السبب الحقيقي في هذا أن لكل لغة رصيدها واختلافاتها، وتباين نظرة الناطقين بها إلى الكون والأشياء^(١٣).

و((كثيراً ما كان حنين يصف بعض ترجمات الآخرين بأنها (رديئة)، ويقوم بإعادة الترجمة مرة أخرى، وهذا ما فعله في كثير من الأحيان في بعض مترجماته التي نقلها في صدر شبابه، فهل هذا يعني أن تلك الترجمات كانت رديئة فعلاً؟

لدينا افتراضان: الأول / إما أن تكون الترجمة الموصوفة رديئة فعلاً وفي هذا الحالة كان لابد من مترجمين آخرين أن يفطنوا إلى هذا الأمر، وهذا ما لم يحدث، وظلت تلك الترجمات معمولاً بها، يدرس عليها الطلاب، كما هو الحال في الكتب التي كانت تدرس بالإسكندرية ونقلت إلى السريانية، لقد وصف حنين بعضها بأنها (رديئة).

والافتراض الثاني / أن يكون مستوى حنين في الترجمة رفيعاً وعالياً إلى درجة كبيرة جداً بحيث كان

يونانية فيها إسقاط، ثم إنني تصفحته إذا أحسنت فوقعت منه إسقاط آخر فأصلحتها وأحببت إعلامك ذلك لكيما إن وجدت لهذا الكتاب من ترجمتي نسخاً مختلفة عرفت السبب في ذلك))^(١٤).

٢. وعن كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة، ينسول: ((وقد كان بختيشوع بن جبريل سألني تصفحه وإصلاح إسقاطه ففعلت بعد أن أعلمته أن ترجمته أجود وأسهل فلم يقف الناسخ على تخلص المواضع التي أصلحتها فيه وتخلص كل واحد من تلك المواضع بقدر قوته فبقي الكتاب غير تام الاستقامة والصحة إلى أن كانت أيامنا هذه وكنت لا أزال أهم بإعادة ترجمته))^(١٥).

٤. وعن كتاب حيلة البرء لجالينوس، يقول أن سلمويه أراد أن يصلح الترجمة: ((فقابلني ببعض المقالة السابعة ومعه السرياني ومعني اليوناني وهو يقرأ على السرياني وكنت كلما مر بي شيء مخالف لليوناني خبرته به فجعل يصلح حتى كبر عليه الأمر وتبين له أن الترجمة من الرأس أرخى وأبلغ وأن الأمر يكون فيها أشد انتظاماً))^(١٦). ثم يتابع قائلاً: ((وكانت عندي للثمانية المقالات الأخيرة منه عدة نسخ باليونانية فقابلت بها وصححت منها نسخة وترجمتها بعناية ما أمكنني من الاستقصاء والبلاغة فأما الست المقالات الأولى فلم أكن وقعت لها إلا على نسخة واحدة وكانت مع ذلك نسخة كثيرة الخطأ فلم يمكنني لذلك تخلص تلك المقالات على غاية ما ينبغي. ثم إنني وقعت على نسخة أخرى فقابلت هذا الكتاب باليونانية قليلة))^(١٧).

ومن أجل أن يقترب حنين من الكمال في الترجمة وكما يقول الدكتور ماهر عبد القادر كان دائم الاحترام ((للنص الأصلي من حيث المضمون، وفي كثير من الأحيان كان يلتزم بالشكل أيضاً. وهذا يعني أنه

ينظر إلى هذه الترجمات على أنها ليست دقيقة، أو أنها ليست جيدة، أو بتعبيره هو (ترجمات رديئة). ومن جانبنا نرجح هذا الافتراض. لكن ينبغي أن نشير إلى أن حنين بن إسحق أشار إلى هذه المسألة في مرحلة متأخرة، وليس في صدر شبابه. ومن ثم ينطبق على ترجماته من صدر شبابه المقولة التي تصدق على الافتراض الأول، والدليل على حجية هذا التصور الإشارات المتعددة التي أوردها حنين في كتابه إلى علي بن يحيى^(١٣). والتي ذكرناها في فقرة سابقة.

الخاصية الرابعة - الأمانة في النقل:

ولابد لنا ونحن نتكلم على خصائص مدرسة حنين في الترجمة أن نتطرق إلى نقطة أخرى تتصل اتصالاً مباشراً بالموضوع وعلى جانب كبير من الأهمية، تلك هي مسألة الأمانة والدقة فيما تم نقله من العلم والمعارف من اللغات المختلفة إلى العربية.

وقد اختلف الباحثون المحدثون في تقويم أمانة أولئك النقلة السريان بشكل عام، فمنهم من أطرى ومدح وآخرون كانوا ناقدين قاده حنين.

ففي هذا المضمار يقول الأستاذ أحمد أمين: ((وكان هؤلاء السريان ينقلون العلوم اليونانية بدقة وأمانة فيما لم يمس الدين والمنطق والطب والريضة، أما الإلهيات ونحوها فكانت تعدل بما يتفق والمسيحية حتى لقد حولوا أفلاطون في كتاباتهم إلى راهب شرقي، فقالوا أنه بنى لنفسه معبداً في برية بعيداً عن الناس وظل يتعبد فيه سنين، وهذه هي الطريقة التي سلكها المسلمون بعد، فقد أغفلوا من الإلهاب كثيراً مما يخالف تعاليم الإسلام))^(١٤).

ويقارن الدكتور أمين أسعد خير الله بين هؤلاء

النقلة والنقلة اللاتين في العصور الوسطى المسيحية فيقول: ((فبين ما ترجم العرب من اليونانية وبين ما ترجم الإفرنج من العربية إلى اللاتينية نجد البون الشاسع بين أمانة أولئك وصدق ترجمتهم وبين تقصير هؤلاء وعدم أمانتهم))^(١٥).

ويقول الدكتور رشيد الجميلي: ((كان حنين بن إسحق أميناً في نقله، حريصاً كل الحرص على أداء النص اليوناني أداءً صادقاً وأعاناً على ذلك تمكنه من اليونانية والسريانية وقدرته على التعبير العربي السليم، وكان حنين يحقق ويدقق ويصحح ويراجع، ولا يأنف أن يعيد ترجمة ما ساءت ترجمته. وبرغم انتسابه إلى الثقافة السريانية، لم يتردد في أن يعلن قصور مترجماته القديمة، وحاول أن يتدارك نقصها عن طريق الترجمة العربية)).

ويقول في موضع آخر: ((وكان الترجمة، حنين بن إسحق العبادي، وابنه إسحق بن حنين، وابن أخته حبيش بن الأعسم، وثابت بن قرة، وقسطا بن لوقا البعلبكي، ويعقوب بن إسحق الكندي، جميعهم مشهورين بصدق النظر وسعة المعارف والنزاهة واستقامة الأخلاق، فضلاً عن فهمهم الموضوع الذي يترجمونه ومعرفتهم بالـ اللغتين المترجم عنها والمترجم لها معرفة وافية، وكانوا يأخذون من المخطوطات اليونانية لبابها ويضعونه في قالب واضح بارز)).

((وكان أشهر المترجمين (الذين مر ذكرهم) مثال المانة فيما نقلوه، وكانوا إذا وجدوا الترجمة غير مرضية يهملونها ويبداونها من جديد. كما اتفق في ترجمة بعض تأليف جالينوس فقد أهملت ترجمة ابن البطريق وأخذ مكانها ترجمة حنين، كما أهملت عدة تراجم للمجسطي، فلم يبق سوى ترجمة حنين وإصلاح ثابت))^(١٦).



بينما يقول الأستاذ أمين مدني على أن هناك من يرى: ((أن النساطرة واليعاقبة لم يكونا أمناً فيما ينقلونه وأن كثيراً من أخطاء الباحثين القدامى يرجع سببها إلى عدم أمانة العرب أو ضعفه. وأنا لا أستبعد وجود الخطأ فيما ينقل من لغة إلى لغة في الماضي والحاضر. ولكن الأخطاء مهما بلغت لا تشمل جميع ما ينقل. ولا أعتقد أن الأخطاء التي ينسبها البعض على عدم الأمانة. وقعت جميعها عمداً لغرض ما، فقد يكون هناك خطأ في الترجمة من اليونانية إلى السريانية وفي النقل من السريانية إلى العربية. وقد يكون اجتهد في الفهم وفي التأويل وفي التفسير)).

((على أنني لا أبرئ النساطرة واليعاقبة من الأخطاء المتعمدة التي قد تدفع إليها عقائدهم وعنصريتهم، ولكن وجود هذه الأخطاء فيما عرب في الرها ونصيبين وحران. لم يبلغ درجة عدم صلاحيتها للرجوع إليها))^(١).

الخاصية الخامسة. الترجمة للسريانية أولاً ثم للعربية:

((تجدر الإشارة هنا إلى أسلوب آخر اتبعه بعض من النقلة في ترجماتهم، وينطبق هذا الأسلوب بصفة خاصة على الترجمة السريان، وأعني به أسلوب الترجمة من اليونانية إلى العربية عن طريق السريانية. فقد جعل الترجمة السريان من لغتهم الواسطة التي تنتقل منها علوم ومعارف اليونان إلى اللغة العربية، وهذا ما طبقه حنين بن إسحق ومدرسته إذ نرى أن حنيناً هذا كان يترجم من اليونانية إلى السريانية، ليتولى بعد ذلك إسحق بن حنين، وحبش الأعسم تمة الترجمة إلى العربية من اللغة السريانية، علماً بأن حنين بن إسحق كان يتقن اللغة العربية إتقاناً كاملاً كإتقانه للغات التي

يترجم منها كالإيونانية مثلاً)).

((ونحن نرى أن الأسلوب الجديد في الترجمة، على الرغم مما كان يرافقه من قلة ما يترجم إلى العربية، وما كان سيحدثه العكس فيما لو اتبع أسلوب الترجمة المباشر من اليونانية إلى العربية، وانصراف النقلة الآخرين بجهودهم إلى ترجمات مماثلة أو مغايرة عوضاً عن حصرها في ترجمة عربية واحدة لكتاب واحد وبت ترجمة سريانية سابقة عليه، أقول على الرغم من المأخذ على هذه الطريقة السريانية في الترجمة، فإنني أرى أن وراءها أسباباً أدت إلى ذلك أهمها:

١. رغبة حنين وجماعته في نشر لغتهم السريانية على نطاق واسع، حيث يضطر الشخص الذي يرغب في الاطلاع على علوم ومعارف اليونان إلى أن يتعلم اللغة السريانية أولاً كي تسهل عليه قراءة هذه الترجمات، على الرغم من معرفتنا بأن الكتب السريانية كانت تترجم بدورها إلى العربية، ولكن من يدري، فلعل الكثير من الكتب اليونانية قد ترجمت إلى السريانية فقط ولم تترجم إلى العربية فيما بعد.)).

٢. العمل على إغناء التراث السرياني بعلوم ومعارف التراث اليوناني، الأمر الذي يكسبه أهمية فوق أهميته الأصلية.

٣. رغبة حنين بن إسحق في إشراك ابنه إسحق بن حنين وابن أخته حبش بن الحسن الأعسم في ترجماته هنا، الأمر الذي يوسع دائرة النقلة السريان في ترجماتهم للتراث اليوناني، خاصة أنهما في الصف الأول من فريق النقلة لمدرسة حنين بن إسحق للترجمة.

٤. وأما من حيث اللغة اليونانية. وهي مصدر تلك الترجمات السريانية. فإن حنين بن إسحق، كما

هو معلوم، كان يتقن هذه اللغة اتقاناً عظيماً وإلى الدرجة التي لا ينافسها فيها أحد، وأن كل من عرف هذه اللغة من النقلة الآخرين، يأتون بعده درجة في الترجمة، لذلك فضلوا جميعاً على أن يتولى حنين تنفيذ المرحلة الأولى في الترجمة من اليونانية إلى السريانية. لغتهم الأصلية. لينفذوا هم بعد ذلك المرحلة الثانية والأخيرة في الترجمة من السريانية إلى العربية^(٣٠).

وبهذا الصدد يقول أوليري: ((وكثيراً ما وضع المترجم نفسه ترجمتين من الإغريقية، إحداها بالسريانية والأخرى بالعربية، وكان ثمة مترجمون من السريانية، ولكن هؤلاء يأتون عادة بعد المترجمين من الإغريقية))^(٣١). وبخصوص هذا الأسلوب في النقل يذكر الدكتور محمد عبد الرحمن مرحسياً: ((أما الترجمة الحرفية فقد كانت شائعة بين المترجمين السريان عندما كانوا يترجمون من لغة اليونان، وبين المترجمين اليهود اللاتين في طليطلة عندما كانوا ينقلون من العربية إلى العبرية واللاتينية بعد سقوط طليطلة. إن هذا النوع من الترجمة الحرفية، كان أسلوباً مألوفاً عند العرب، ولكن منذ عهد حنين بن إسحق في القرن التاسع الميلادي أصبحت مهمة المترجم - نظرياً وعملياً - نقل المعنى الصحيح نقلاً دقيقاً مضبوطاً))^(٣٢).

وبصدد هذا الأسلوب المميز في الترجمة يرى الأستاذ عبد الرحمن بدوي: ((إن المترجمين إلى العربية في القرن الثاني كانوا يميلون عادة إلى الترجمة من السريانية إلى العربية إلى المترجمين من الدرجة الثانية، وهكذا كان يفعل حنين بن إسحق في غالب الأمر، على الرغم من إتقانه للغة العربية. والسبب في هذه الظاهرة الغريبة - فيما

يلوح - الرغبة في الإسراع في إنجاز أكبر عدد من الكتب، وكان المصطلح العربي لم يتكون بعد بينما تكون في السريانية منذ قرون، فكان من الأسير خصوصاً في الكتب الطبية - أن يقوم كبار المترجمين الذين يتقنون اليونانية - وهم قلة - بعبء الترجمة من اليونانية إلى السريانية ويعرفون العربية وهم كثرة وجلهم أو كلهم لا يعرفون اليونانية - أن يقوم بالعمل الثاني، وهو الترجمة من السريانية إلى العربية، على أنه قد يقع للمترجم الواحد أحياناً أن يترجم الكتاب الواحد من اليونانية إلى السريانية، ثم من السريانية إلى العربية))^(٣٣).

ويعقب على ذلك الدكتور رشيد الجميلي فيقول: ((والواقع إنني لا أتفق مع ما ذهب إليه الأستاذ بدوي حول باعثة هذه الطريقة في الترجمة وذلك لأن الذي يترجم من اليونانية إلى السريانية، يمكنه أن يؤدي نفس الدور الذي يقوم به غيره من النقلة، الذي ينقل من السريانية إلى العربية، بسبب معرفته لليونانية والعربية وهما اللغتان الرئيسيتان في الترجمة المنشودة.

وعلى عكس رأي الأستاذ بدوي تماماً، فإنني أرى أن هذه الطريقة تؤدي إلى قلة الإنتاج في الترجمة لا إنجاز أكبر عدد من الكتب. كما يقول الأستاذ بدوي. وذلك لاشتراك عدد غير قليل من النقلة في ترجمة كتاب واحد، وبعبكسه ماذا سيؤول إليه الأمر لو أن المترجم من اليونانية قد ترجم إلى العربية مباشرة دون واسطة اللغة السريانية؟ إن الأمر بطبيعة الحال سيترتب عليه زيادة في عدد الكتب المترجمة، وهو عكس ما قرره الأستاذ بدوي. ومهما يكن من أمر هذه الطريقة في الترجمة، فإن العرب قد تمكنوا بواسطتها من الإطلاع على تراث اليونان وهذا هو الأهم))^(٣٤).

١. محمد، الدكتور ماهر عبد القادر: حنين بن إسحق العصر الذهبي للترجمة. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٧، ص ١٤٧.
٢. الصفدي، الشيخ صلاح الدين خليل آيبك: الغيث المسجّم في شرح لامية العجم. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٥، المجلد الأول، ص ٧٩.
٣. الجميلي، الدكتور رشيد: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري. دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦، ص ٤٠.
٤. حنين بن إسحق: كتاب العشر مقالات في العين. تحقيق وتقديم وترجمة ماكس مايرهوف (طبعة عربية إنكليزية) المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٢٨، ص ٢٩.
٥. برجستر اسر: أصول نقل النصوص ونشر الكتب. إعداد وتقديم حمدي البكري، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، مطبعة الكتب، القاهرة ١٩٦٩، ص ٩٢، ٩٤.
٦. روزنتال، فرانز: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. دار الثقافة، بيروت ١٩٦١، ص ٧٢.
٧. الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص ٤٧-٤٨.
٨. الدكتور ماهر: حنين بن إسحق (مصدر سابق)، ص ١٣٣-١٣٤.
٩. حنين بن إسحق: رسالة إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم، نشرها عبد الرحمن بدوي في دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١، ص ١٥١.
١٠. المصدر نفسه: ص ١٥٤.
١١. المصدر نفسه: ص ١٥٥.
١٢. المصدر نفسه: ص ١٥٨.
١٣. المصدر نفسه: ص ١٥٨-١٥٩.
١٤. الدكتور ماهر: حنين بن إسحق (مصدر سابق)، ص ١٤٠.
١٥. المصدر نفسه: ص ١٤٢.
١٦. أمين، أحمد: فجر الإسلام. بيروت ١٩٦٩، ص ١٣١.
١٧. خير الله، الدكتور أمين أسعد: الطب العربي. المطبعة الأمريكية، بيروت ١٩٤٦، ص ٤٦.
١٨. الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص ٤٦، ٤٧، ٤٨.
٢٠. أوجزنا هذه الفقرة عن الدكتور الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص ٤٢-٤٤.
٢١. أوليري، دي لاسي: الفكر العربي ومكانه في التاريخ. ترجمة تمام حسان، القاهرة ١٩٦١، ص ١١٣.
٢٢. مرحبا، الدكتور محمد عبد الرحمن، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. ص ٣٢٠.
٢٣. بدوي، الدكتور عبد الرحمن: الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام. القاهرة ١٩٥٤، ج ١، ص ٤٠.
٤١. الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص ٤٤.
٢٤. المصدر نفسه: ص ٤٤.



ظاهرة الجنون في الشعر الصوفي

د. قيس كاظم الجنابي

توطئة:

اسمه عمرو أيضا، ولبشار بن برد شيطان اسمه شنقناق^(١).

فإذا كان ثمة علاقة وطيدة بين الشعر والجن، فقد كان للجن شعرها وتوابعها، وكذلك هو حال الشعراء الذين تمتعوا بالعبقريّة، واستلهموا قصائدهم من وحي الشعر، فتفتقت قرائحهم عن رأي الشعر، وتكهنت الكهان حتى أن الشاعر كثيرا ما كان يتقمص دور الكاهن، فقد كان بعض الشعراء إذا أراد الهجاء دهن أحد شقي رأسه، وارخى إزاره، وأنتعل نعلًا واحدة^(٢). محاكيا بذلك هيئة الساحر، أو الكاهن، ومؤديا طقسا كهنوتيا يجمع بين الشعر والكهانة واستثمار العلاقة بالجن والهواتف لشحن القرينة من أجل الاضرار بالخصم، مع اقتفاء لروح ومنزلة ووسائل الكهانة والسحر حتى يسهل عنده قول الشعر، ويصبح أكثر تأثيرا وانتشارا وإيغالا في دحر المهجو.

ظاهرة الجنون في الشعر العربي:

إذا كان الشعر يرتبط بالجن والشياطين بهذه الطريقة، فإن الشعر العربي ربط ارتباطا واضحا بين العشق والجنون، فقد لقبوا قيس بن معاذ، الذي يقال له: قيس بن الملوح بالجنون، أو مجنون بني عامر، ولم يكن قيس مجنونا، وإنما جننه العشق لذهاب عقله من شدة عشقه^(٣)، وأنشد:

الجن في اللغة: ولد الجان، وهم نوع من العالم سماوا بذلك لاجتنابهم عن الأبصار، ولأنهم أسستجنا من الناس فلا يرون. والجمع جنان ويقال: جن الرجل جنونا، وأجنه الله فهو مجنون: رأيت نضو أسفار أمية شاحبا

على نضو أسفار، فجن جنونها^(٤) وتعتقد العرب بأن ثمة علاقة بين العبقريّة والجن، وأن موضعاً كثير الجن يسمى (عبقر)، قال لبديد:

ومن فاد من إخوانهم وبنهم

كهول وشبان كجنة عبقر^(٥)

لذا قرنوا الشعر بالعبقريّة والشياطين، واعتقدوا بأن لكل شاعر شيطانا يلقي إليه الشعر، أو أن للشاعر تابعا أو رثيا^(٦). حتى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تطرأ إلى زهير بن أبي سلمى وقال: (اللهم أعذني من شيطانه)^(٧). فجعلت العرب لكل شاعر شيطانا يلهمه الشعر، فكان لأعشى قيس شيطان اسمه مسحل، ولعمرو بن قطن شيطان اسمه جهنام، ولعبيد بن الأبرص شيطان اسمه هبيد وللنابغة الذبياني شيطان اسمه هادر، ولامرئ القيس شيطان اسمه لافظ بن لافظ، ولحسان بن ثابت شيطان اسمه الشيصبان، وللمخبل شيطان اسمه عمرو، وللفرزدق شيطان



ورأوا أن العشق هو أعظم ما في المجانين، وانه
يصرع صاحبه ما يصرع مرض الصرع صاحبه،
فقال أحدهم:

قالت جنت على رأسي فقلت لها
العشق أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه

وإنما يصرع المجنون في الحين^(١٢)
وان الحب يعلن ما في الإنسان من جزء جنى،
بوصف الإنس والجن عالين متقاربين، فإذا استعر
الحب أعلن عن الجنون كما في قول الشاعر:

كتمت جنوني وهو في القلب كامن
فلما استوى والحب أعلنه الحب
وخلاؤه والجسم الصحيح يذيه
فلما أذاب الجسم ذل له القلب
فجسمي نحيل للجنون وللهمى

فهذا له نهب وهذا له نهب^(١٣)
فيتقاسم الحب والجنون الجسد، ويلقيان به في
حلبة السقم والمرض، حتى يبدو العاشق نحيلًا،
فكان الشعر خير من عبر عن حالات الإحساس
بالحب والوله والاقتراب من الجنون، لأن إحساس
الشاعر قادر على نقل المشاعر الإنسانية
والعواطف الجياشة، وهو اجس النفس البشرية
الملتاعة، هذا فضلا عن العلاقة الخفية الكامنة
بين الشعر والجن، التي هي علاقة متصلة
باستمرار الحب الذي تلبسته نوبات الجنون
والاستغراق التام بالمحبوب. فكان عمر بن أبي
ربيعة يوصل بين الحب والجنون فيقول:

ليس حب فوق ما أحببتكم
غير أن اقتل نفسي أو أجن^(١٤)

يسمونني المجنون حين يروني
نعم بي من ليلي الغداة جنون
وقيل سمي بالمجنون لقوله:
وإني لمجنون بليلى موكل

ولست عزوفاً عن هواها ولا جلدًا^(١٥)
ولعله سمي بذلك لتوهمه بسماع هاتف يصيح: (يا
ليلي) في ليلة ظلماء^(١٦). والهاتف له علاقة بالجن
والرئي، فكان الحب يوصل بين جانبين مختلفين،
أحدهما مرئي والآخر مستتر يتوارى خلف
الأوهام، لذا زال عقل المجنون وامتنع عن الأكل
والشرب، فعرف أنه جن وذهب الحب بعقله^(١٧). ثم
أضافوا إليه شعراء آخرين وصفوهم بالمجنون،
فقالوا: كان معاذ بن كليب مجنونًا، وكان يحب ليلي،
وشركه في حبها مزاحم بن الحارث العقيلي، فقال
مزاحم يوما للمجنون:

بــــــــــــــــفي وفيك من ليلي التراب
شركتك في همى من كان حظي
وحــــــــــــــــظك من مودتها العذاب
لقد خبلت فؤادك ثم ثنت

بقلي فهو محبول مصاب^(١٨)
وكانوا يرون بأن العشق إذا استولى على صاحبه
تركه ذاهلاً شبه المغشي عليه لا يسمع ولا يبصر إلا
حبيبه، فيفر عن كل شاغل يشغله، فيكون في سائر
أحواله معرضاً عن أحوال العقلاء شبه مجنون،
ورأوا أن العشق عشق الهي، وأن العشق جنون،
والجنون فنون، وانشدوا:

ولقيت في حبك ما لم يلقه
في حب ليلي قيسها المجنون
لكنني لم اتبع وحش الفلا
كفعال قيس والمجنون فنون^(١٩)



واتهم عروة بن حزام بالجنون بسبب الحب فقال:

ما بي من خبل ولا بي جنة
ولكن عمي يا أخي كذوب

أقول لعراف اليمامة داوئي

فأنك إن داوئني لطبيب

فوا كبدا أمت رفاتا كأنما

يلدعها بالمؤقتات طبيب

عشية لا عفراء منك بعيدة

فتسلو ولا عفراء منك قريب^(١١)

من هنا ارتبط الشعر بالمجانين العشاق

والموسوسين، فذكروا عددا كبيرا منهم، يخامرني

شك في صحة وجودهم، أولا لكثرة أخبارهم،

وثانيا لاحتمال انتحال هذا التراث الشعري على

السنة الرواة بعد نشوء مجالس القصص، فذكروا

منهم:

شحطون الموسوس البغدادي، وأبا غصن

سوسنة الموسوس، المجنون الأديب، وطيرون

المجنون، وعليان المجنون البصري أو عليانة

المجنونة، ومجنون المربد، وماني الموسوس (ت

٢٤٥هـ) واسمه محمد بن القاسم شاعر لبن الشعر

رقيقه، لم يقل شيئا إلا في الغزل، وماني لقب

غلب عليه قدم بغداد أيام المتوكل، وكان من

اظرف الناس^(١٢). فكان يشكل ظاهرة خاصة

لاتصاله بالفقهاء والمحدثين حتى قيل إن ابن

عمار يجيء بالمجانين فيكتب هذيانهم ويسلطهم

على المشايخ فيصفعونهم في الصوامع إذا أدنوا،

ومن شعره قوله:

فان لم يقولوا مات أو هو ميت

فريدي إذا قلبي جنونا ووسواسا^(١٣)

وكان الفويرك من عقلاء المجانين يرميه

المسيبان بالحجارة فيقول: اما ترى ما يصنع هؤلاء

بي ما انا فيه من العشق والجنون، ثم انشد:

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو

فهذا له حسد وهذا له حسد^(١٤)

كما كان سوسنة، أبو غصن الموسوس من عقلاء

المجانين يقول:

ما أرى غير عدله في سكون

وطمأنينة وفي حسن مس^(١٥)

أما شحطون الموسوس البغدادي، فكان يقول:

يا شيخ قل لي أهذا عدل من المهيم دل

بان يكون هذا عقل وما لي عقل^(١٦)

وكان جعيفران بن علي بن اصغر الأنباري،

العروف بجعيفران لوسوس، موسوسا فإذا تاب إلى

رشده قال الشعر الجيد^(١٧)، فكان علي بن يوسف

عنه:

طاف به طيف من الوسواس

نفس عنه لذة النعاس

فما يرى بأنس بالأناس

ولا يلد عشرة الجلاس

فهو غريب بين هذا الناس^(١٨)

والشاعر يرفض هذا الاتهام، ويرى انه بسبب

أفلاسه وقلة حظه من الدنيا، وهو في هذا يعبر عن

نزوع سلوكي خاص يرى في الجنون تمردا على

واقع مشحون بالماديات والكذب، لأنهم يجهلون ما

ببه من إحساس خفي، لهذا يدعوا صحبه إلى

الأستئناس بالخمرة، ومن قوله يصف حاله:

رأيت الناس يدعوني بمجنون على حال

ما بي اليوم من جن ولا وسواسيبلال

ولكن قولهم هذا لإفلاسي وإقلالي^(١٩)

فكان الناس يرمونه بالوسواس، وهو يهرب



الإنسانية المتدفقة التي يولدها العشق، لأن الجنون يتكون من مخالطة الجن لعقل الإنسان، والجموح العاطفي المتوهج يدفع الشخصية الإنسانية الحساسة نحو الانفصال عن واقعها، والتزاماتها تجاه الآخرين وتقاليدهم الاجتماعية وعاداتهم وأعرافهم التي تتضمن مجموعة من الضوابط والقيم الأخلاقية، وهذا ما يجعل شدة العشق تخترق الحواجز فتدفع الناس إلى وصف العاشق بالجنون والمس والوسوسة، مما ينبئ بأن العشق هو أعظم حالات التمازج الإنساني والاتحاد الروحي والذي يصبح لدى المجانين أكثر انفلاتا وتعبيرا عن حقيقة الشوق واللوعة والوجد بالحبيب، وتعامل الحب مع عواطفه تعاملًا بعيدا عن رقابة المجتمع، لأنه اتصال روحي مثله مثل الحب الإلهي عند المتصوفة، فأصبح الشعر والجنون والحب والتصوف مربعا شعوريا يتصل بالحدس الإنساني وسمو العواطف النبيلة التي تلغي المسافات وتجمع بين القلوب.

ظاهرة الجنون في الشعر الصوفي: افرز التصوف والزهد وإيثار العبادة الخالصة والتفرغ التام لله ظاهرة خاصة وصفت بالتلبس والوسوسة والجنون حتى أصبحت شخصية المجنون رمزا للحب الإلهي وخلقًا صوفيًا جديدًا حتى قيل إن عبارة (أنا ليلي) هي التي أنطقت الصوفية بها قيسًا، وهي تشبه عبارة العلاج (أنا الحق) لتشابهه الفناء والاتحاد حتى أدخل الصوفية في أخبار المجنون ما يدل على رصف حسه ورقة شعوره وشبوب عاطفته، فامتدت شخصية قيس ونمت ودخل نسيجها في تكوين شيء من رموز الحب الصوفي^(٢٠). ويشكل الجن صورة لباطن

منهم إلى الخمرة:

رأيت الناس يرموني
ومن يضبط يا صاح
فدع ما قاله الناس
الكاس^(٢١)

ويصف الناس بالكذب، لأنهم وصفوه بالجنون وفقدان العقل فيقول:

قالوا عليّ كذبا وبطلا
أني مجنون فقد ذلت المة
قالوا المحال كذبا وجهلا
أقبح بهذا الفعل منهم فعلا^(٢٢)

واعترى خالد الكاتب الجنون من السوداء، فكان يصحو أحيانا، ويغمر أحيانا، فترك العمل مدة، حتى وسوس آخر عمره^(٢٣) فكان يقول:

يا تشارك الجسم بلا قلب
أن كنت أغواك فما ذنبي؟
يا مفردا بالحسن افر ذنبي
منك بطول الهجر والعجب
إن تسك عيني أبرت فتنة

فهل إلى قلبي من عتب^(٢٤)
فالحب يشكل حالة إنسانية متفردة تدفع بالحب إلى التضحية بالنفس من أجل حبيبته عبر استعداد خاص في التفاني، لأن الحب يلغي الحواجز بين الأجساد ويوصل بين الأرواح، فيفتح أفقا خفيا في الامتزاج النفسي، لهذا بدت قصائد الشعراء العشاق المجانين معبرة خير تعبير عن حقيقة المحبة مما يجعل سلوك ونزعات النفس الإنسانية المولهة أقرب إلى سلوك ومشاعر المتصوفة وهو يخفون تجربة الحب الإلهي، وبهذا كان الحب خير وشيجة بين التصوف والجنون. من هنا ارتبط الجنون بالشعور الإنساني والعواطف

الإنسان في مقابل ظاهره^(٣١). بما يديم الصلة بين الإنسان والجن ويجعلها كعلاقة الظاهر والباطن، والعام والخاص عند المتصوفة، فالخاص الصوفي هو باطن متوغل في الأعماق مثله مثل الجن الذي يتوارى عن الأبصار، فقد كان أويس القرني أول من نسب إلى الجنون في الإسلام حين هام على وجهه فلم يوقف له على أثر^(٣٢). وكانت له أفكار في الزهد والأرواح وآراء في تحاب المؤمنين بروح الله وإن لم يلتقوا^(٣٣). ولعل ذلك حصل بسبب إحساسه بخيبة الأمل بعد نشوء الفرق والأهواء والصراعات السياسية، لأن الجنون يمنح الإنسان حرية في التعبير دون نفاق، فكان الجنون نوعاً من الرفض السلبي لواقع متقلب، وإدانة خفية لما يجري من أحداث ومناصرات سياسية أدت إلى متغيرات خطيرة في بنية المجتمع العربي-الإسلامي اجتماعياً وثقافياً حتى إن أبا بكر الشبلي (ت ٣٢٤هـ) ظهر وهو يهيج مردداً بعض شعر المجنون^(٣٤). وقيل سمع معنوها يقول: أنا مجنون الله، أنا مجنون الله^(٣٥). ولعل ذلك قاده إلى القول:

قالوا: جنت على ليلي فقلت لهم

الحب أيسره ما بالمجانين^(٣٦)

وقال أيضاً:

باح مجنون عامر بهواه .

وكتبت الهوى ففرت بوجدي^(٣٧)

فكان يحدث في مجلسه مهيباً بشخصية الجنون الرمزية التي تنطوي على البواكير الأولى لتحول الحب العذري إلى حب صوفي، كما انطوت شخصية ليلي على ما اشرب الصوفية المرأة من رموز ودلالات^(٣٨) وإلى ذلك يشير أحد المتصوفة:

اشتاقه لا عن مسافة بيننا

ولكن يحن إلى لقاء جناني^(٣٩)

وأثر العباد والمتصوفة التظاهر بالجنون لئلا يفصحوا عما يكونون في أنفسهم من هوى ومحبة حتى أصبح الجنون طريق جماعة من السلف، وحال طبقة من صادقي الخلف، اخفوا أنفسهم وأسقطوا منازلهم حتى سموا (عقلاء المجانين)، وهذا من الزهد في النفس وحقيقة التواضع، إلا أنه زهد مجانين الأولياء، وتواضع موقفي الضعفاء^(٤٠)، فكانوا ظاهرة لافتة للنظر تستدعي من الباحثين البحث والدراسة، فكيف كان الجنون تعبيراً عن موقف؟

كان الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) يتظاهر بالخرس والجنون مراراً ليتفر الناس عنه، ولا يشغله عن ربه عروء وجل، فأقام في صحراء بغداد والعراق وخرائبها نحو خمس وعشرين سنة على التجريد والسياسة حتى كان لا يعرف الخلق ولا يعرفونه^(٤١). وكان ذو النون المصري (ت ٢٤٥هـ) يجيب عن أحد الأسئلة فيقول: ((يا أخي له محبوب صغار وكبار ومجانين وعقلاء، فهذا الذي رأيته من مجانينهم والمحبة كتمان بلاء الحبيب بعد الرضا لأن ذلك من السر عنده وحسن الأدب لديه))^(٤٢). ومن هنا كثر عدد العباد والزهاد المتظاهرين بالجنون من أمثال أبي علي المعتوه، وعباس المجنون، وسعدون المجنون، وسمنون المجنون، وبهلول المجنون، ونمير المجنون، وريحان المجنون، والبغدادى المجنون، فهذا أحد العباد في بيت المقدس يقول:

وموّهت دهري بالجنون عن الورى

لأكتم ما بـي من هواه فما أنكتم



فلما رأيت الشوق والحب بائحا
كشفت قناعي ثم قلت: نعم

فان قيل مجنون فقد جنني الهوى

وان قيل مسقام فما بي من سقم^(٤٣)

وهذا يجيب عن سبب تظاهر المتصوفة بالجنون

حتى أصبح موقفا وظاهرة، وكما اتصلت المقابر

بالمجانين فان المتصوفة الذين مالوا الى الجنون أو

تظاهروا به مالوا الى سكنى المقابر، لأن الموتى

باعتقادهم أقرب من الأحياء إليهم وأكثر منهم

سكينة، فقد كان بهلول المجنون (ت ١٩٠هـ) يقول:

((أنا عند قوم لا يؤذني، وإن غبت عنهم لا

يغتابوني))^(٤٤). فكان الجنون خير معبر عن توهج

العواطف كما النار التي تتلظى فلا تخبو كما وصف

ذلك أحد محبي المتصوفة:

جنوني فيك لا يخفى وناري فيك لا تخبو

فأنت السميع والناظر والمر والمهجة

والقلب^(٤٥)

فكان التظاهر بالجنون عند المتصوفة يتوغل

ليعقد صلة حميمة بين الحب الإلهي والعبادة

الخالصة لله وهذا ما جسده عباس المجنون بقوله:

يا حبيب القلوب من لي سواكا

ارحم اليوم مذنباً قد أناكا

أنت سؤلي ومنيتي وسروري قد

أبى القلب أن يجيب سواكا

ليس سؤلي من الجنان نعيم

غير أنني أريدها لأراكا^(٤٦)

وكان البغدادي المجنون يقول: ((أنا مجنون الله))

ثم ينشد:

يقولون زرنا وأقض واجب حقنا

وقد أسقطت حالي حقوقهم عني

إذا رأوا حالي ولم يأنفوا لها

ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني^(٤٧)

وأشار يحيى بن معاذ الرازي المتصوف (ت

٢٥٨هـ) الى اتهامه بالجنون فقال:

أموت بداء لا يصاب دوائيا

ولا فرج مُـأرأى في بلائيا

يقول يحيى جُنَّ من بعد صحة

فمن غيره يرجو طبيبا مداويا^(٤٨)

كما يشير أبو علي الروذباري (ت ٣٢٢هـ) إلى لطف

الجنان فيقول:

أغراك بالحب حب في تخيه

لطف الجنان وعطف في تغييه^(٤٩)

وانقطع أبو الفوارس الصوفي، الحسين بن يلمش

بن يزدمر التركي (ت ٥٣٢هـ) الى الله عدة سنين،

فتواصلت لديه المحبة الصوفية بالجنون في قوله:

يا من أجن لها الفؤاد هوى سببا بالجنون^(٥٠)

وشاعت بجانب ذلك علاقة الجنون بالعبادات

من أمثال ميمونة السوداء التي كانت عليها جبة

صوف مكتوب عليها: لا تباع ولا تشتري^(٥١)، كما

أنشدت إحدى الجوارى المتهمات او المتظاهرات

بالجنون السري السقطي (ت ٢٥٣هـ) فقالت:

وجاوبني الحق من جناني

وكان وعظي على لساني

قربني منه بعد بعد

وخصني منه اصطفاني

أجبت لما دعيت طوعا

ملييا للذي دعاني

وخفت لما جنت فيه

ما يوقع الحب بالأمانى^(٥٢)

توحد المرأة العابدة بين العبادة كدعاء والمحبة

الإلهية حتى قادتتها هذه المحبة الى جنون المحبين



فقالت جارية مجنونة ثانية:

زهد الزاهدون والعابدون

إذ ملولاهم أجاجوا البــــــــــــــــطونا

اسهروا الأعين القريحة فيه

فمضى ليلهم وهم ســــــــــــــــاهرونا

حيرتهم محبة الله حتى

علم الناس أن فيهم جنونا^(٥٣)

وهنا أصبحت المحبة الإلهية تخفي وصما بالجنون،

فالعابدة المتصوفة ترى في الجنون خير تعبير عن

خلاصها من حياتها الدنيوية وإحساسها

بالأغتراب فتحاول أن تعلن محبتها لله بإخلاص

وتجرد، وخشية أن تمنع أو يكبح جماح رغبتها،

كانت تتظاهر بالجنون كي تحصل على مساحة ما

من الحرية كما في قول ثالث للسكري السقطي:

معشر الناس ما جنت ولكن

أنا سكرانة وقلبي صاحبي

قد غللت يدي ولم آت ذنبا

غير هتكي في حبه وأفتضاحي

أنا مفتونة بحب حبيب

لست أبغي عن بابه من براحي

فصلاحي الذي رأيت فسادي

وفسادي الذي رأيتم صلاحي^(٥٤)

تشير هذه العابدة إلى أن اتهامها بالجنون جاء

نتيجة الفهم الخاطئ لتفسير محبتها لله، هذا الحب

الذي صار صورة من صور الحب المحرم، لأن

المجتمع يقمع أي حب للمرأة فاصبح الجنون مهربا

من ذلك القمع ومحاولة لممارسة أي نوع من الحب

تفضي به هذه المرأة الزاهدة إلى نفسها المشبعة

بالأسى والحرمان، لذا أصبح الجنون تعبيراً عن

الحب الإلهي، ثم تبسّعه رؤى المتصوفة كالنفاء

والسكر الصوفي وهتك الحجب وتبادل الأفكار ولأن

للمتصوفة فهمهم الخاص بمظاهر الأشياء فلكل

صحوه الخاص به، ولربما جنونه الخاص

وصلاحه الخاص. ولأن صحبة الله هي فوق

مستوى الوعي والإدراك بوصفها صلة القلوب في

نداءاتها الترامية بالأعماق بين الذات الإنسانية

والخالق الكبير مما يجعلهم في تيه وتلبس

خاصين، فقد كان التصوف علم القلوب والبواطن

الذي يدفع العارفين نحو الاندماج الروحي مع

الحق فينتزعه من مباهج الحياة المادية الزائفة

وملذاتها المحسوسة ويدفعه نحو عالم خاص لا

يلغه إلا من سلك الطريق وأمن بكتمان الخواطر

واستسلم لصراعات الحب التي فسرّها الواقع

تفسيراً مختلفاً، فهذه جارية تصف الحب عند أحد

مجانين التصوف في أن تقول للمجنون: قم،

فيقوم، ورمقته فقال الجني ويحك لا عدت إليه

أبداً^(٥٥). مما يشير إلى حقيقة تلبس الجن بالحبيين

الذين هاموا وتجردوا من الاتصال الحسي

بآخرين، لأنهم آثروا الاتصال بالجانب الروحي

وغير الجسدي بالحب مما ينسجم مع حقيقة

الصلة بين المتصوف والعاشق، فقد كان المتصوف

يرى المحبة تجرداً عن الماديات وانغماساً عميقاً في

الحب الإلهي، وهذا ما أشارت إليه إحدى العابدات

بقولها:

لك عليم بما يحنّ فؤادي

فارحن ذلي وذلي وانفرادي^(٥٦)

قادت الظروف العامة بكل جوانبها إلى انكماش

فئات كثيرة من أبناء المجتمع وابتعادهم عن

جمهور العامة وإيثارهم حياة العزلة والزهد في

عملية رفض سلبى للواقع فاتخذت التصوف

فكان صاحب صحبة يهيم بها فتعتوره نوبات من الوجد تدفعه الى الانفصال عن حوله، لأنه صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنوناً لتردد قوله في المحبة^(١١). فكان يقول عن العارفين الذين عرفوا الله حق معرفته وتراموا في حبه حد التوحد:

قلوب العارفين تحن حتى

تَحُلُّ بقربه في كل راح

صَفَتْ في وده مولاها فما أن

لها من وده أبداً — راح^(١٢)

وسمى سمنون المجنون، سمنون بـ — من حمزة (ت، ٢٩٨هـ) نفسه بسمنون الكذاب بسبب أبيات منها قوله:

فليس لي سواك حظ

فكيف ما شئت فامتحن^(١٣)

وهو صاحب محبة لله، وعزلة خاصة تجرد فيها من مغريات الدنيا وآثر الزهد والتقشف والكفاف، أبطلت بعلّة عسر البول، فكان يصبر ولا يجزع، ويطوف على المكاتب، ويقول: ((أدعو لعنكم الكذاب))^(١٤). ومن شعره في الحب الإلهي عند الصوفية قوله:

أهل المحبة ما نالوا الذي وجدوا

حتى بسيدهم في الخلوة أنفردوا

تراهم الدهر لا يمضون من بلد

إلا ويكي عليهم ذلك البلد^(١٥)

تقرن المحبة لله بالخلوة عند الصوفية والانقطاع التام لسلوك الطريق وبالسياحات والرياضات التي توصلهم إلى حالة من التجرد التام عن كل ما يحيط بمغريات الحياة، لهذا عبروا عن حياتهم

والعبادة، وبعضها أوغل في تحرره من هذا الواقع فاتخذ الجنون وسيلة من وسائل نقد الواقع وتعريته، والتعبير عن أفكاره بسلوكية المجانين بعيداً عن الرقابة بكل أشكالها، وبانفلات عن ضوابط السلوك الاجتماعي يمنح الإنسان مساحة من التعبير والاحتجاج أكثر مما يوفرها المجتمع أو توفره السلطة السائدة، فهذا بهلول المجنون، وهو بهلول بن المغيرة (ت، ١٩٠هـ) صاحب مساجلات عديدة مع هارون الرشيد تشير إلى وجود صراع خفي بين حياة الدعة والترّف وبين حياة الزهد، بين الغنى والفقر، بين اللهو والعبادة، فكان إهداء الجنون أو التظاهر به لدى هؤلاء المتصوفة نوعاً من الخلاص، في حين كان الجنون تهمة للتقليل من حجم وأهمية النقد اللاذع الذي يشنه عقلاء المجانين من الصوفية على السلطة السياسية والاجتماعية سلوكاً وشعراً^(١٦). فقد كانت مواعظ بهلول وحكمه للخليفة ذماً للدنيا ولذاتها الفانية:

أف للدنيا فليست لي بدار

إنّما الراحة في دار القرار

أبت الساعات إلا سرعة

في بلى جسمي بلىل نهار^(١٧)

أما سعدون المجنون، سعدون بن عمر (ت، ٢٥٠هـ) فأنه يقول عن جنونه: ((ترعمون أني مجنون وما بي من جنون، ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي وجري بين لحمي ودمي وعظامي وأنا والله من حبه هائم مشغول))^(١٨). فهو يشير إلى الحب الإلهي وصحبة الله عز وجل ويتذمر من صحبة الناس الذين وصفهم بالعقارب حين يقول:

وأرض بالله صاحباً

خذ من الناس جانباً

تجدهم عقارباً^(١٩)

قلت: الناس كيف شئ

الخاصة خير تعبـير في نفثاتهم الوجدانية
المتدفقة التي كان الشعر واحداً من روافدها
المهمة.
الخاتمة:

شكل الجنون في الشعر العربي ظاهرة، مثلما شكلت
ظاهرة الجنون في الشعر الصوفي ملمحاً وصفيًا لمجموعة من
الشعراء الذين اتصل سلوكهم وشعرهم بموقف خاص جعل
الجنون تعبيراً إشارياً وموقفاً اجتماعياً وسياسياً يرفض كل
ما يتعارض مع مصلحة المجتمع، فكان رفضاً خفياً للواقع
ولمارسات المجتمع البعيدة عن روح المصلحة الصادقة
للأكثرية المستلبة، فكان موقف بهلول الجنون يتصف
بالجرأة والصراحة، لأنه يرفض مباهاج الحياة المادية ويدعو
إلى استذكار الحياة الآخرة والعمل على التزود بالتقوى،
ويتجه باتجاه التعبير عن الحب الإلهي بما يكشف عن ملامح
التجربة الشعرية المرتبطة بالطريق الصوفي وذلك باتخاذ
الجنون وسيلة من وسائل التحرر والانفلات من ضوابط
السلطة والمجتمع، وهذا ما جعل الشعر والسلوك يتلازمان في
كشف خفايا هذه التجربة الإنسانية الفريدة تجربة شعر
عقلاء المجانين عبر تركيبة خاصة من الوعي واللاوعي،

والظاهر والباطن، والخاص والعام، وهي تسلك سبيل النقد
اللاذع للحياة المادية، الموصوف بالتخليط تجنباً لاحتدام
الصدام المباشر بين السلطة والمجتمع من جهة وبين عقلاء
المجانين من جهة ثانية حتى غدا هذا الشعر تعبيراً عن
شاعرية مختلفة تماماً عن الشعر العربي لغة وسلوكاً وأفكاراً،
وإن بقي شعر المجانين يتصل اتصالاً واضحاً بالشعر الصوفي
ويلتزم بضوابطه الفنية وموضوعاته في التخاطر والسكر
الصوفي والحب الإلهي واعتزال العامة وإيثار التجربة الذاتية
الخاصة فكان هذا الشعر تعبيراً عن المعرفة الصوفية
والمكاشفات والإشارات الخفية، وهرباً من ظروف وضوابط
خانقة جعلت الصوفي يدعي الجنون، أو جعلت المجتمع يتهمه
به، وهو في هذا يدين واقعاً ليؤسس تجربته الخاصة المرهونة
بالمجاهدات والرياضات الروحية من هنا كانت هذه الظاهرة
تكشف عن وضع اجتماعي ونفسي خاص، وعن سلوك
لطريق يرفض واقعاً مفروضاً فيتمرد عليه بالصمت
وإعلان الجنون والتزام الزهد ونقد الترف حد تقديم
الموعظة لأولياء الأمر.

الهوامش

- (١) لسان العرب (جنن).
- (٢) نفسه (عبر).
- (٣) ربيع الأبرار: ٣٨٣/١.
- (٤) الأغاني: ٣١٠/١٠.
- (٥) لسان العرب: (شصب)، ربيع الأبرار: ٣٨٤/١.
- جمهرة أشعار العرب: ٤٧/١، الحيوان: ٢٢٧/٦.
- (٦) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٢٢٦/٦.
- (٧) الشعر والشعراء: ٤٦٧/٢.
- (٨) الأغاني: ٣٣/٢.
- (٩) نفسه: ٤٤/٢.
- (١٠) مصارع العشاق: ١٢٥/١.
- (١١) الأغاني: ١٠/٢.
- (١٢) مشارق أنوار القلوب: ص ٩٨-٩٩.
- (١٣) مصارع العشاق: ١٢٦/١.
- (١٤) نفسه: ٢٥/٢.
- (١٥) الأغاني: ١٤٤/١.
- (١٦) نفسه: ٣٠٦/٢٣.
- (١٧) الأغاني: ٦٠٥٦/٢٣، فوات الوفيات: ٢٢/٤.
- (١٨) مصارع العشاق: ٩٨/١.
- (١٩) تزيين الأسواق: ٢٢١/١.
- (٢٠) الوافي بالوفيات: ٤٤/١٦.
- (٢١) نفسه: ١٢١/١٦.
- (٢٢) الأغاني: ١٤٨/٢٠، الوافي بالوفيات: ١٦٩/١١.
- (٢٣) الأغاني: ١٥٣/٢٠.
- (٢٤) الأغاني: ١٥٠/٢٠، الوافي بالوفيات: ١٦٩/١١.
- (٢٥) الأغاني: ١٥١/٢٠، الوافي بالوفيات: ١٦٩/١١.
- (٢٦) الأغاني: ١٥٠/٢٠، الوافي بالوفيات: ١٧٠/١١.
- (٢٧) الأغاني: ١٤٩/٢٠.



- (٤٩) اللع: ص ٣٠٧.
 (٥٠) الوافي بالوفيات: ٨٣/١٤.
 (٥١) صفة الصفة: ٩٣/٣.
 (٥٢) روض الرياحين بهامش قصص الأنبياء
 للثعلبي
 (العرائس): ص ٣٠.
 (٥٣) صفة الصفة: ٥١/٤.
 (٥٤) روض الرياحين: ص ٢٨.
 (٥٥) تزيين الأسواق: ٤٩/١.
 (٥٦) نفسه.
 (٥٧) ينظر شعره الموجه الى الرشيد: علم القلوب:
 ص ٦١-٦٢، الطبقات الكبرى: ٥٨/١، صفة
 الصفة: ٥١٧/٢.
 (٥٨) صفة الصفة: ٥١٧/٢، عقلاء المجانين: ص ٧٧
 في ترك الحرص.
 (٥٩) روض الرياحين: ص ١٩٤.
 (٦٠) نفسه.
 (٦١) تزيين الأسواق: ٤٣/١.
 (٦٢) عقلاء المجانين: ص ٦٢.
 (٦٣) الرسالة القشيرية، ص ٣٦، مصارع
 العشاق: ٥٠/١.
 (٦٤) الرسالة القشيرية: ص ٣٧.
 (٦٥) عقلاء المجانين: ص ١٠٦.
 (٢٨) الأغاني: ٢٣٤/٢٠، تزيين الأسواق: ٢٢٢/١.
 (٢٩) الأغاني: ٢٣٥/٢٠، تزيين الأسواق: ٢٢٣/١.
 (٣٠) الرمز الشعري عند الصوفية: ص ١٣٤.
 (٣١) المعجم الصوفي: ص ٢٧٩.
 (٣٢) عقلاء المجانين: ص ٦٩.
 (٣٣) إحياء علوم الدين: ١٩٢/٩.
 (٣٤) مصارع العشاق: ١٧٢/١.
 (٣٥) صفة الصفة: ٥١٩/١، الوافي بالوفيات: ٢٧/١٤.
 (٣٦) ديوانه: ص ١٧٠.
 (٣٧) نفسه: ص ١٩٩.
 (٣٨) الرمز الشعري عند الصوفية: ص ١٣٥. راجع
 مصارع العشاق: ٣٣-٣٤.
 (٣٩) الروض الفائق: ص ١٢٩.
 (٤٠) قوت القلوب: ١٤٢/٢.
 (٤١) الأنوار القدسية: ٨٢/١.
 (٤٢) قوت القلوب: ١٣١/٢.
 (٤٣) صفة الصفة: ٢٤٩/٤.
 (٤٤) الروض الفائق: ص ٢٢٩.
 (٤٥) نتائج الأفكار: ٨٣/٤.
 (٤٦) صفة الصفة: ٢٥٠/٤، حلية الأولياء:
 ١٤٥/١٠.
 (٤٧) المنتظم: ٢٣٥/٦.
 (٤٨) اللع: ص ٣٢٣-٣٢٤، مصارع
 العشاق: ٢٧٥/١.



مصادر ومراجع البحث

- * إحياء علوم الدين، الغزالي، مطبعة لجنة نشر الثقافة
 الإسلامية سنة ١٣٥٦هـ.
 * الأغاني، الأصفهاني، دار الثقافة بيروت، د.ت.
 * الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، الشعراني،
 تحقيق: سرور والشافعي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
 * تزيين الأسواق في أخبار العشاق، الأنطاكي، دار حمد
 ومحيو، بيروت ١٩٧٢م.
 * جمهرة أشعار العرب، القرشي، تحقيق: البجاوي: دار
 نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
 * ديوان الشبلي، تحقيق: مصطفى الشبيبي، دار التضامن،
 بغداد، ١٩٦٧م.
 * ربيع الأبرار، الزمخشري، تحقيق: سليم النعيمي،
 * الرسالة القشيرية، مطبعة محمد علي صبيح،
 القاهرة، ١٩٦٦م.
 * الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر، دار
 الأندلس، بيروت، ١٩٧٨م.
 * روض الرياحين في حكايات الصالحين، اليافي، بهامش
 قصص الأنبياء للثعلبي المعروف بـ(العرائس) مكتبة
 القاهرة، د.ت.
 * الروض الفائق في المواعظ والرقائق، الحريفيش،
 المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٧٣م.

- ☆ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الثقافة، ط٤ بيروت، ١٩٨٠م.
- ☆ صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق: فاخوري، دار الوعي، القاهرة، د.ت.
- ☆ الطبقات الكبرى، الشعراني، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، د.ت.
- ☆ عقلاء المجانين، النيسابوري، تعليق: وجيه الكيلاني، المطبعة العربية بمصر، ١٩٢٤م.
- ☆ علم القلوب، المكي، تحقيق: عبد القادر عطا، شركة الطباعة الفنية المحدودة، القاهرة ١٩٦٤م.
- ☆ فوات الوفيات، الكتبي، تح: احسان عباس، مراجعة: سعيد مكارم، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ☆ لسان العرب، ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.
- ☆ اللمع، السراج الطوسي، تحقيق: عبد الحليم محمود، ١٩٨٢م.
- ☆ وطله سرور، مطبعة السعادة، ١٩٦٠م.
- ☆ مشارق أنوار القلوب، ابن الدباغ، تحقيق: ريتز، دار صادر - بيروت، د.ت.
- ☆ مصارع العشاق، السراج القارئ، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ☆ المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨١م.
- ☆ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م.
- ☆ المنتظم، ابن الجوزي، الشركة الوطنية، بغداد، ١٩٩٠م.
- ☆ نتائج الأفكار القدسية، العروسي، دمشق، د.ت.
- ☆ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج١١، تحقيق: شكري فيصل، بفيسابدن، ١٩٨١، ج١٤، تحقيق: ديدرينج، بفيسابدن، ١٩٨٢.



الاغتراب في شعر المتنبي

أ. د. فليح كريم خضير الركابي
كلية الاداب - جامعة بغداد

فكبله بقيود وغمره بالأم وشروور واشعره بأنه
غريب بين اهله وناسه^(١).
والاغتراب:

هو انعدام السلطة والانفصام عن الذات والتذمر
والعداء والاعتزال والانفصال والنفور والانزعاج
والعجز عن التلاؤم والاختفاق وعدم التكيف مع
الاضواء السائدة وقد يكون الاغتراب لظروف
اقتصادية في المجتمعات الرأسمالية جراء اغتصاب
حقوق الآخرين^(٢)، او لاسباب دينية تسبب العزلة
والتصوف للنفس الغريبة تلك النفس التي تكون
نائية عن المجتمع بأفكارها ومشاعرها وذلك ما
سنلاحظه عند ابي الطيب وعلى لسانه.

اسباب الاغتراب

لا يأتي الشيء من العدم، او يكون منقطع الجذور
اذ لا بد من اسباب موجبة تكون وراء ظهوره
وبروزه على السطح فيكون مشخفاً من لدن
القارئ او المتأمل وذلك ما لاحظناه من خلال
استعراضنا لحياة المتنبي المولود عام ٣٠٢ هـ في حي
كندة بالكوفة، وفيها تلقى علومه الاولى وفي مدارس
العلويين على وجه الخصوص^(٣). فنهل البيان من
منهل عذب ثم صقله حين بدأ مع ابيه غلاماً.
شعر المتنبي بالاغتراب عن واقعه منذ ولادته او
منذ ادراك الحياة يتيم الام فانعكس ذلك بوضوح
في شعره، وسلوكه، ومن اسباب اغترابه.

١. النسب المصنوع

المتنبي الشاعر الظاهرة، الذي يتربع على عرش
مملكة الشعر منذ مئات السنين، وسبقى دوي
ذلك الاسم ما بقيت الانسانية، والملاحظ ان اللغة
انقادت له انقياداً رائعاً، فكانت طوع بنانه، باتفاق
الاراء، وقد وقفت خلفها مضامين فكرية ثرة بينت
لنا حالة العصر الذي عاش فيه الشاعر، والملايسات
التي رافقت حياته، كما عكست الطموح والكبرياء،
والشمم، التي غمرت أقاصي نفسه الغريبة،
المتمردة، التي تبجست عن الامارة والملك، فكان
موضوع الباحث الاغتراب في شعر المتنبي حيث
الحقائق تبرز واضحة من خلال استنطاق شعره
مستعرضاً معنى الغربة والاغتراب أولاً، وبعض
اسباب الاغتراب ثانياً ونتائجها ثالثاً، ثم خاتمة
المطاف، وما آلت اليه نهاية هذا العملاق.

الغربة والاغتراب

الغربة لغة كلمة تشترك فيها معان عديدة كما
جاء في لسان العرب منها:
البعد، والنوى، والاعتزال، والنفى، والتنجي،
والنزوح عن الوطن والاغتراب^(٤). اما اصطلاحاً فهي
عاطفة تستولي على المرء لا سيما الفنانون
فيعيشون في قلق وكآبة لشعورهم بالبعد عما
يهوون، ويتداخل المعنى اللغوي والاصطلاح
ليعطيا مفهوماً واحداً هو الابتعاد عن الناس
بالجسم او بالفكر.

ومعنى الاغتراب:

شعور الفنان بأن العالم كله سجن أقحم فيه مرغماً،



كن ايها السجن كيف شئت فقد

وطئت للموت نفس — عترف

لو كان سكناي فيك منقصة

لم يكن الدر — ساكن الصدف

ثقافة عالية في انتقاء المعاني وتبصر فريد

بعادات اهل البادية واهل الخليج الذين اشتهروا

بصيد اللؤلؤ.

الفقر والسجن زادا من مرارة الاغتراب او قسوة

الزمن فضلا عن قسوة الانسان التي جعلت ذلك

العلاق المترفع يرزح تحت طائلة السجن، ولن

يتمكن من تحقيق مأربه ووضعت الايام الشاعر

تحت رحمة من لا يقيم له وزنا ولا يقدر نسبه

وعلمه.

٣. الجسد

اعتداد المتنبي بنفسه وفروسيته والبحث عن

السلطان اثار الحساد عليه وذلك ما أجب الاغتراب

في نفسه، وهو في الشام يبحث عن مستقر له فشعر

حساده بأن طموحه تهديد لمصالحهم وحياتهم

المستقبلية عند الامراء مثل ابن كرويس، نديم بدر

بن عمار حاكم طبرية، الذي ساءه، ان يستأثر

الشاعر بعطف ابن عمار، فكاد له وابعدته عن الامير،

فناى الشاعر مغتربا بجسمه وفكره حتى استقر به

المقام في بلاط الحمدانيين واصبح من مقربي سيف

الدولة وذلك ما الهب الحسد في النفوس التي تبغض

هذه الموهبة المتدفقة التي بدأت تنعم بخير الامير

الذي ((كان يفيض عليه الهبات تلو الهبات ويوليه

من الحفاوة ما لا يولي احد فشق هذا على من

بحضرته من العلماء والادباء والشعراء وصاروا

يحسدون الشاعر على مكانه من الامير ويكيدون له

ويثلبونه ويحطون من قدره)) (٣). فخطب الشاعر

الامير قائلا (٤).

ان كان سركم ما قال حاسدنا

فما لجرح اذا ارضاكم الم

اكبر من ذلك، وان هذه المهنة الوضيعة التي الصقت

بابيه لا تليق به وبنسبه، فمن هنا بدأ التنحي

والترفع عن المجتمع بل ان الشاعر اكد ارتقاءه

وترفعه، وان نبوءته لنفسه تحققت اذ فاق الاولين

والآخرين في فن الشعر وكان قمة الهرم: (٥)

أي محل ارتقى أي عظيم أتنقى

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق

محتقر في همتي كشجرة في مفرقي

ان ذكاء الشاعر وموهبته المتدفقة والفراة

التي خص بها كان لها دور رئيس في اغترابه

وترفعه.

٢. شعور المتنبي بالاخفاق وخيبة الامل

شعر المتنبي بالاخفاق حين زار بغداد في شبابه

ولم يجد من يعتد به، أو بشعره، مما جعله يحس

بالمرارة والالام، والاغتراب، فقرّر الرحيل الى بلاد

الشام معلنا عن بدء الغربة المكانية لانه ((لم يجد في

بغداد ولا في الكوفة شيئا مما يصبو اليه من مال

وجاه وشهرة ولذلك عول على ان ينشد هذا كله

وبعضه في بلد آخر فرحل الى الشام عام ٣٢١ هـ كما

يرجح ابو العلاء، فاكثّر من التجوال فيها وحاج

حاضرتها وباديتها وعرف كثيرا من اهلها ومدح

عددا كبيرا من عظمائها ونبلائها)) (٦). لكن النحس

رافقه حين تضافرت عليه عوامل عديدة مثل

الفقر والسجن والغربة لتزيد من الالام النفسي

والشعور بالضعف والمهانة وهو يقبل المعونة من ابي

دلف الذي ألب الحاكم عليه ثم توسط في الافراج

عنه فنراه يقول (٧):

أهون بطول النواء والتلف

والسجن والقييد يا أبا دلف

غير اختيار قبلت برك بي

والجوع يرضي الاسود بالجيء

واحسن الشاعر مديحه ومن اروع ما قاله المتنبي
هناك قصيدته المشهورة في وصف شعب بوان^(١٧) :
مغاني الشعب طيباً في المغاني
بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان
ان موقف المتنبي الفكري في هذه القصيدة واضح
وفيه شك فقد كان جمال الوادي مبعث حديثه عن
ال خليفة من آدم(ع) الى معجزة سليمان ثم عن واقع
الشاعر المليء بالتناقضات وعن جمال الطبيعة
الساحر الذي اثار شجون المتنبي وشكوكه.
نتائج الاغتراب

لقد اغترب المتنبي - كما مر بنا - مكانياً فأبتعد
عن اهله ووطنه ولاقى في محال اقامته الرخاء
والعناء معا، وسببت له نفسه المترفعة التي تسكن
بين جوانحه نفوراً من المجتمع او نفور المجتمع منه
ولانه لم يحقق بعض آماله التي كانت تراوده ضاق
ذرعاً بما آل اليه ترحاله، فتعرض الى اغتراب نفسي
وفكري انعكس جلياً في شعره ومن نتائج ذلك
الاغتراب:

١. الحنين الى مراتب الطفولة
حن المتنبي الى مهد صباه (الكوفة) لاسيما حين
ورده خبر وفاة راعية طفولته جدته فقال^(١٨) :
لك الله من مفعوعة بحبيبها
قتيلة شوق غير ملحقها وصما
أحن الى الكأس التي شربت بها
واهوى لمشاها التراب وما ضما
أتاها كتابي بعد يأس وترحة
فماتت سرور ابي فمت بها غما
رقا دمعها الجاري وجفت جفونها
وفارق حبي قلبها بعدما ادمى
اول ضحايا غربة المتنبي هذه العجوز التي فجعت

الجرح والالام رفيقا الشاعر ومن اسباب اغترابه
النفسي والفكري وهو يخاطب الامير والحساد معا
بكل عنفوان ورفعة وجراء ذلك الحسد، يبدو ان
المتنبي تشاءم منه فسمى ولد ((محسدا)).

٤. خذلان كافور للشاعر
لم يحقق كافور الاخشيدي بعض مطامح المتنبي،
بل انه خذله بسبب الوشاية والحسد وهما اللذان
لعبا دوراً رئيساً في اقضاء الشاعر عن مصر، وأحس
بأنه محاصر، فاجتمع في نفسه الخوف والضياع،
والاغتراب المكاني والاخفاق في تحقيق المبتغى وعاد
متخفياً هارباً من بطش الامير الاخشيدي وذلك ما
ولد لديه اغتراباً فكرياً، ونفسياً وهو محبط لم
يحقق ما يصبوا اليه وقد قال في كافور ما ليس
فيه^(١٩) :

اذا كسب الناس المعالي بالندی
فأنك تعطي في ندادك المعالي
وغير كثير ان يزورك راجل
فيرجع ملكاً للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذي جاء غازياً
لسائلك الفرد الذي جاء عافياً
ان سؤال الشاعر للامير بأن يحقق مطامحه فيكون
ملكاً او والياً لن يحصل مما أثار في نفسه ردود افعال
نفسية سيئة جعلته يعيش مغترباً عن واقعه
ويشعر بانه مرفوض من لدن السلطة الحاكمة في
مصر ونادم على ذلك المديح لكافور الاخشيدي.

٥. عدم انسجامه مع المجتمع البغدادي مرة اخرى
زار المتنبي بغداد سنة ٣٥٢ هـ واتصل بابي الحسن
محمد وزير معز الدولة المعروف بالساهلي لكنهما
(ال خليفة والوزير) عزفا عنه بسبب عزوفه عن
مدحهما بل انه خاصمهما مخاصمة شديدة في اثناء
وجوده في بلاط الحمدانيين^(٢٠) وذلك ما دعا الرجل
بأن يغترب مكانياً مرة اخرى ويتجه الى ارجان في
بلاد فارس عند ابن العميد الذي احسن وفادته



ترك مدحيك كالهجاء لنفسي
وقــــــــــــــــــــليل لك المديح الكثير

غير اني تركت مقتضب الشعر
لامر مثلي به معذور
وسجايك مادحاتك لا لفظي وجود على كلامي
يغير

فسقى الله من أحب بكفيك : وأسقاك أيهذا الأمير
التداعي والاحباط كانا وراء عزوف المتنبي عن
مدح ذلك الرجل، وشعوره بالخيبة وخذلان الأمير
الحمداني له، وعدم انصافه والاخذ من خصومه
وهذه الحادثة كافية ان تثير الاغتراب النفسي،
والفكري في هكذا رجل عنيد مترفع ذكي.

٣. عدم تمكنه من تحقيق مأربه
كان هدف المتنبي منذ شبابه الحصول على اماره
او ولاية وفي أي مكان، وان طموحه لن يتوقف عند
تلك الحدود التي بلغها وكان يرى انه قرين الامراء
الذين حل ببلاطاتهم بل انه في بعض الاحيان يرى
انه اشرف نسباً منهم وان الهدف الذي جال من اجله
في البلدان لن يتحقق وان المؤامرة ابعده عن بلاط
الحمدانيين على الرغم منه وانتهى الامر به
معتدى عليه فقرّر الرحيل الى بلاد مصر بعد
مخاطبات مع والي كافور في الشام الذي وعده بملك
او ولاية، فأغترب المتنبي مكانياً مرة اخرى نائباً عن
الكوفة الموطن الاصلي، وعن حلب التي تألف معها
ميمماً وجهه نحو العاصمة المصرية التي لم يحقق
فيها مبتغاه وادرك فيما بعد انه سجين كافور او
رهن الاقامة الجبرية فعول على الفرار عام ٣٥٠هـ
عائداً الى وطنه (العراق) ومختتماً سني الاغتراب
التي ذاق فيها حلاوة مجالسة الامراء ومبراة
جفائهم.

٤. النتيجة المخيبة للآمال:
انتهت حياة ذلك العملاق على يد عملاء السلطة

بفراق حبيبها المغرب الذي نأت به الايام منذ
شبابه فماتت دون ان ترى وحيدها الذي قابل
ذلك الخبر بالحنين واللهفة الى قبرها البعيد، ويرى
الشاعر ان سبب وفاتها الفرح المفرط بمعرفة
اخباره واتصاله بها بعد ان اوشكت تلك العجوز ان
تفقد الأمل ولا تراه ثانية لقد بنى الشاعر نصه
على التضاد والمفارقة (يأس وترحة - سرور وغم)
وان النص تحرك حركة سريعة الى الخلف ليتذكر
الشاعر دموع الفراق التي سكبتها جدته حين
ترحاله وابتعاده عنها وهو اليوم يقف عاجزاً لا
يتمكن من رؤيتها وقد خطفتها يد النون فجفت
دموعها وجف عمرها الى الابد ليرد عليه خبر
وفاتها ويزيد من لوعته واغترابه.

٢. التعرض الى الاعتداء
لقد جر الاغتراب على المتنبي كثيراً من النتائج
السلبية ومنها حادثة البلاط الحمداني المشهورة
حين تعرض الى الضرب من ابن خالويه في مجلس
الامير وهو يناقش في مسألة لغوية وسكوت الامير
عن ذلك؛ فأثر هذا الموقف في نفس الشاعر الذي
آثر الرحيل مختتماً حياته في حلب هناك
ومتوجهاً الى صاحبه الحسن بن عبيد الله بن طغج
صديقه القديم، يرافقه الحزن والاغتراب. وقد
استقبله ذلك الصديق واكرم وفادته وسأله ان
يمدحه لكن الشاعر اعتذر لاسباب نفسية مؤلة
تركها تلك الحادثة، والملاحظ ان المتنبي ابلغ في
قصيدة المديح وفي اشراقها ورفع مكانة الممدوح
وقد تصرف الشاعر باللغة ببراعة حين قال
(مدحيك) وهي لفظة مولدة كشفت عن صورة
رائعة حين جمع المتضادات (مدح - هجاء - قليل -

كثير) في بيت واحد قائلاً^(١٩) :



وفي الختام لابد من القول ان المتنبي ولد مغتربا وعاش مغتربا ومات مغتربا وان الفقر والطموح والذكاء والموهبة المتدفقة والحسد وراء تلك النتيجة المحزنة التي انتهت اليها حياة الشاعر المتنبي مقتولا في دير العاقول مرميا في العراء وقد لف الغموض حادثة القتل كما لف بعض تفاصيل حياته ليستحيل لغزا محيرا ويكون بحق مالى الدنيا وشاغل الناس لكن يوم مقتله كان يوم ولادته وانتصاره على الفناء.

وهو امرير جحه العقل لعزوفه عن مدح الخليفة والوزير ومخاصمته لهما، اما مسؤولية فائك الاسدي عن دم المتنبي جراء هجاء المتنبي له، فأنها بسيطة ولا تحظى بالتأييد.
5. النتيجة الايجابية:
استفاد المتنبي في اثناء اغترابه في اثره تجربته الشعرية جراء الترحال في امصار مختلفة وافادته من مجالسة الامراء وادباء عصره وذيوخ صوت الشاعر بين الامصار فكانت مجموعة تجارب متنوعة.



هوامش البحث ومصادره

١. ينظر لسان العرب (مادة غرب) ابن منظور.
- الدار المصرية للتأليف والترجمة جعفر خياط.
٢. ينظر المعجم الادبي - جبور عبد النور - دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩.
٣. ينظر الاغتراب - شاخت ص ٦٦ ترجمة كامل يوسف حسين بيروت المؤسسة العربية للدراسات / ١٩٨٠.
٤. ينظر في الادب العباسي - د. محمد مهدي البصير مطبعة النعمان - النجف الاشرف، ص ٣٢٥.
٥. ينظر نفسه ص ٣٢٤.
٦. شرح ديوان المتنبي - البرقوقي - دار الكتاب العربي بيروت لبنان ٢/ ٤٦.
٧. نفسه ٤/ ٨٨.
٨. نفسه ١٩٧.
٩. نفسه ٢/ ٤٨.
١٠. نفسه ٣/ ٨١.
١١. في الادب العباسي ص ٣٢٦.
١٢. شرح الديوان ٢/ ٢٣.
١٣. في الادب العباسي ص ٣٣٢.
١٤. الديوان ٤/ ٨٧.
١٥. نفسه ٤/ ٤٢٧.
١٦. ينظر في الادب العباسي ص ٣٤٠.
١٧. الديوان ٤/ ٢٨٣.
١٨. نفسه ٤/ ٢٢٧.
١٩. نفسه ٢/ ٢٥١.





الشخصية والطبيعة في الشعر القديم

د. عبد الفتاح نافع
جامعة اليرموك اربد - الاردن

المقدمة:

يعيد كثيرون كل شيء في حياة العربي في الجاهلية الى الصحراء. فيرجعون نظام معيشته وطريقة تفكيره ونوع شعوره وما اعتاده من عادات كريمة او خصال ذميمة الى أثر حياة البادية التي يحياها. ويرون في شجاعته وتفانيه وفخره وزهوه وإعجابه بقومه، وسماحة نفسه بصمات أو طوابع خلفتها فيه حياة الصحراء. وقد ذهب هؤلاء في حماسهم مذهبا بعيدا أغفلوا معه الى حد كبير شخصية الشاعر وما تقوم به من دور فاعل أو أثر خلاق في المراثيات، وما لها من رؤى خاصة تنفذ عن طريقها الى باطن الأشياء تمنع فيها وتسبر أغوارها وتستجليها لتصل الى حقائق ومفاهيم جديدة كامنة لا يمكن أن نصل إليها دون فهم حقيقي لهذه الشخصية التي أبدعتها.

وإذا كان النقد في أحد مظاهره ترجمة لحياة الفنان، فإن من الخطأ أن نضع حداً فاصلاً بين الفنان وبين عمله المبدع. ذلك أن تحاشي الدخول في حياة الفنان الباطنية، ودراسة العمل الأدبي مستقلاً عن مبدعه أو اعتبار العمل الأدبي بكامله انعكاساً للحياة الخارجية وأثارها على الأديب يضع الفنان في دائرة من السلبية المطلقة ويستلزم منه القدرة على العطاء ويجعله مجرد متلق لا فظ لا مبتكر خلاق.

وإذا كنا لا ننكر أثر الطبيعة على الشاعر القديم وعلى خلق كثير من التوجهات لديه، إلا أننا ينبغي أن نضع في الاعتبار أن هذا الشاعر لم يكن أبداً مجرد مردد لأصوات البيئة التي يعايشها وما يتردد فيها من أصداء. فهذا الشاعر هو أولاً وقبل كل شيء إنسان يحسن ويتأثر

وينفعل فيعبر عن إحساسه وتأثره وانفعاله عن طريق الأدب. ولا يمكن لنا بأي حال من الأحوال فهم الأدب على أنه صوت من أصوات الصمت أو عزله عن صاحبه وما تتأجج به نفسه من مشاعر وانفعالات. إن الشاعر القديم كان يتأمل الطبيعة، بل يغرق في تأملها والبناء فيها، ولكن هذه المعطيات التي كان يقدمها كان يخلطها بشخصيته، بل هو يفكر من خلالها، فتتكشف لها رؤى جديدة ما كانت لتتكشف لو اكتفى الشاعر بنقلها كما هي في الواقع.

فإذا آمنا بأن العمل العظيم لا يأتي مستقلاً عن مبدعه، بل لا بد لهذا المبدع أن يترك بصماته الخاصة في هذا العمل، وإذا آمنا بأن هناك دائماً خيوطاً مرئية وغير مرئية تربط العمل بالشعور الذي أبدعه أمكننا أن نصل الى العلاقة المتينة التي تربط بين شخصية

والاديب وبين بيئته. وقد حاولنا في هذا البحث أن ندرس هذه العلاقة واضعين في الاعتبار أن في قلب كل عمل أدبي مبتكر وجوداً إنسانياً يربط بين صاحبه وبين الوجود حوله، وأن الأدب والحال هذه ليس أكثر من وساطة بين الأديب وعالمه، وليس أكثر من أمانة يؤديها الفنان، لا ينقل هذا الوجود على حقيقته أو تصوير الواقع كما يراه الناس الاعتياديون بل عن طريق شق الحجب ومحو الطلاء والتوصل الى رؤية هي إن كانت خاصة إلا أن الفنان بعمله الإبداعي يعممها لتصبح شبه مطلقة تلاقي القبول والرضى وتبعث في النفس مزيداً من التأمل والإعجاب.

وقد اقتضت هذه الدراسة أن نقدم لها بلمحة حول أثر الطبيعة الصحراوية في تكييف الشخصية، على



الطبيعة الصحراوية وأثرها في تكوين الشخصية

كان طبيعياً أن تكيف البيئة الصحراوية أبناءها تكييفاً خاصاً، فهي بيئة تتعذر فيها الحياة لقسوة مناخها في الصيف والشتاء ولقلة أمطارها وما يتركه هذا من جذب وقحط. فندر الماء وشح الطعام، واضطر العربي أن يعيش حياة متنقلة كانت في مجملها صراعاً دائماً مع الطبيعة.

وليس من شك في أن هذه البيئة بما فيها من شظف ومتربة أكسبت العربي خلق الصبر وقوة الاحتمال والتكيف وأحالتة إلى محب للآخرين ينظر إليهم بعين العطف والكرم. كما قوت هذه الظروف صلة العربي بالقبيلة وقوت صلة القبيلة به. فهو لا ينطق إلا باسمها وهي لا تتخلى عنه أبداً.

وعلى الرغم من خشونة الصحراء وقسوتها فإننا نجد خبياً متغلغلاً في أعماقهم، يعيشونها ويتعلقون بها ويحنون إليها ويتحسرون في غربتهم على الدهناء ورمالها وسهولها وجبالها ورياحها وغبارها. بل إن هذا الفناء الشديد في البيئة أدى ببعضهم إلى عبادة موجوداتها^(١). كما أدت بهم علاقتهم الوثيقة بالصحراء أن عرفوا كثيراً مما يتصل بالطبيعة، فعرفوا أسماء الكواكب ومسالك النجوم ومواقعها وألوانها ومطالعها وأنواعها، وما يتصل بذلك من خصب أو محل أو رياح أو مطر فملأت هذه المعارف أشعارهم ثم كتبهم فيما بعد^(٢).

ولعل أهم ما تركته الصحراء في أبنائها أنها أطرت العلاقات وصنعت القيم الاجتماعية والأدبية. وشكل الارتباط الوثيق بين العربي والصحراء وحدة عضوية لإفكاك لأواصرها، فتكونت عنده نظرة مقدسة تجاه صحرائه وأخذت تعني بالنسبة له الحرية والانطلاق وعدم التقيد، وخلقت منه شخصية لها سمات وملامح رومانسية انعكست على أدبه فساهمت في جعله خالداً على مر العصور^(٣).

ولما كانت حياة الصحراء تحمل طابع التحرك، فقد تركت بصماتها في حياة البدو، فقوت في أنفسهم معنى التشبث بالوطن والتغني به. فالطبيعة الصحراوية والحياة الرعوية والنظام القبلي والتنقل المستمر جعلهم حريصين على مكان إقامتهم متشبثين به. وبعث في أنفسهم إحساساً حاداً بالغربة عندما كانوا

اعتبار أن هذا التكييف لا يعني أن هذه الطبيعة كانت تملي وتفرض ولكن على اعتبار أن هناك تفاعلاً حياً بين الشخصية ومحيطها، وأن الشعراء لا ينسجون على منوال الطبيعة بل هم يمتزجون بها ويرونها من واقع طباعهم وأمزجتهم. ولما كان هذا التفاعل يبدو واضحاً في كل جانب من جوانب الطبيعة التي تناولها الشعراء، قدمنا موجزاً لموقف الشعر من هذه الطبيعة، جامدة أو متحركة على اعتبار أن الشعر مصداق للطبيعة والإنسان معاً.

ثم عرضنا للجانب الأساسي من البحث، وهو عملية الإبداع الناجمة عن تسخير الطبيعة لخدمة الفن. ولم يكن بالإمكان أن نغرق في هذا المجال، فتناولنا شخصية امرئ القيس، وزهير، وطرفة، وعنترة، ولم نقصد بهذا الاختيار أن نحدد أو أن نقتصر بل كان عرض هؤلاء الشعراء بمثابة أمثلة مختلفة المزاج والطابع والرؤية، رأيت كل منها الطبيعة بمنظار خاص مختلف. ثم عرضنا لغير هؤلاء في أماكن أخرى حيث اقتضت طبيعة البحث.

وقد وجدنا لزاماً علينا أن نعرض في نهاية البحث ما قدمنا له في بدايته، مناقشين رؤية النقاد للنظرة الحسية عند الشعراء وأحكامهم العامة على الشعراء القدماء بأنهم مصورون حسيون لا يخرجون من دائرة الواقع، وأن خيالهم المحدود جعل صورهم مجرد نقل حري لمشاهداتهم، وأن شعرهم في الطبيعة لا يعدو هذه الرؤية، فعرضنا للأصالة والمحاكاة وموقف الشخصية بينهما، ثم توصلنا في نهاية البحث إلى أن شعر الطبيعة لدى الشعراء القدماء لم يكن مجرد محاكاة أو قوالب مكررة يصب فيها كل شاعر مشاهداته، بل هو علاقة روحية وثيقة بين الشخصية الأدبية ومشاهد الطبيعة، وأن هذه المشاهد لم تأت في أشعار القدماء تجميلاً وتزييناً للقصيدة أو حشواً يقصد منه الشاعر أن يظهر براعة في الوصف أو البيان، وأن نظرات الشعراء القدماء لمظاهر الطبيعة كانت متباينة. رغم تشابه المشاهد. وأنها كانت تصدر عن مواقف نفسية متباينة يرسم فيها كل شاعر شخصيته بما فيها من أهواء وميول ومزاج وطبع. فجاءت هذه اللوحات تحمل جمال الوجود لا بسبب ما فيها من ألوان وزخارف وأطر فحسب، بل لما فيها من طابع إنساني شامل يعمها فيبعث فيها سر خلودها.

المقدرة وسمو نفسه عند المصائب وحلمه عند الشتائم ونضجه وألعيته عند حزم الأمور^(١) وإذا كانت مغالبة الطبيعة العاتية قد صنعت للعربي شخصية قوية ظهرت بأنانيته ونزوعه إلى الحرية والاستقلال وحب الخير لنفسه من دون غيره، وظهرت في جلده وصبره، فقد جعلته هذه الطبيعة أيضا شديد الحساسية سريع التأثر متوتر الأعصاب مذعنا للقضاء والقدر، وعلمته أن يكون مقداما جسورا يلقي الأهوال، كريما يقرى الضيوف ويمنع الجار ويغيث الملهوف^(٢). وقد انعكس هذا على أدبه فقوى عنده الحس العملي فمال إلى الانطواء على نفسه وتجميع أفكاره في جمل موجزة^(٣).

وإذا كانت البسيطة قد تركت آثارها في شخصية العربي وتصرفاته، فقد تركت آثارها في تصوراته ونظراته، فبنيت له رؤية خاصة تجاه موجودات الصحراء من حيوان وطيور ونبات، فعبّر وأحدثهم عن رحلاتهم وما وصفوه من حيوان عن رحلة الحياة نفسها في أهوائها ومسرراتها ومواجعها وكفاحها الخائب^(٤) فنقلوا وجدان الجماعة العربية في قلقها ومخاوفها وأفراحها وأحلامها، ورأوا في حقيقة الصراع الماثل بين الأحياء والطبيعة صراعا يمثل جوهر الحياة وقانونها الخالد^(٥).

وعندما تغنوا إعجابا بالمرأة كانوا في الحقيقة يعبرون عن إعجابهم بالطبيعة المثالة أمامهم المحفورة في مخيلتهم، ومن ثم خلعوا على المرأة صفات الطبيعة وسمات عناصرها، فالقوام جريدة نخل والكفل كثيب رمل والشجر نور أقحوان جلالة الندى، وهي في إقبالها ظبية رشيقة ترعى في منهبط الوادي الخصيب وتهز ثمر الأراك^(٦).

وقد تفاعل العربي مع بيئته تفاعلا حيا ظهرت آثاره في مختلف جوانب حياته وتصرفاته، وانعكس هذا الأثر على فن الشعراء كل حسب شخصيته، فلم يصبوا شعرهم في قوالب جامدة ولم تكن تصوراتهم بعيدة عن شخصياتهم^(٧) وإنما برزت واضحة جلية متميزة، فأبدع كل منهم في الاتجاه الذي ناسب شخصيته وعرض كل منهم خواطر نفسه بالطريقة التي ارتضتها هذه الشخصية.

(٢)

موقف الشعر القديم من الطبيعة

تناول العرب مواضيع كثيرة في شعرهم، كان

مضطرين إلى تركه، وقد تنامي هذا الإحساس مع الزمن حتى أصبح ملازما للفرد وظهر واضحا جليا في شخصه وانعكس على أدبه، فظهرت في شعره الحيرة والدهشة والرغبة والضياع والقلق والهيام^(٨). فالشاعر الجاهلي يبدو غريبا مهاجرا قلقا قليل الثقة بصروف الدهر. ولحظات الفرح لديه تظل وشيكة الرحيل، فهو يغتصب المتعة اغتصابا في حياة فانية يسابق فيها الموت إلى لذته:

ألا أيهذا اللاتي أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى؟

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي

فدعني أبادرها بما ملكت يدي^(٩)

وعلمتهم طبيعة الحياة القاسية الخشنة معاني الرجولة، وزرعت في أنفسهم خصال الحياة الكريمة، وما قيمة الحياة إذا لم يعيش الإنسان حياة حرة كريمة! ألم تر أن المرء رهن منية

صريع لعافي الطير أو سوف يرمس

فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة

وموتن بها حرا وجلدك أملس^(١٠)

وهم يفضلون البيت على الطوى على أن تخدش كرامتهم، ويدفعون كل ما يملكون حفاظا على أعراضهم وشرفهم^(١١) كما علمتهم قسوة الطبيعة أن يسارعوا إلى نجدة القوم وأن يشاركوا في بحث الأمور الخطيرة التي تحدق بالقبيلة:

إذا القوم قالوا من قتي؟ خلت أني

عنيت فلم أكسل ولم أبُلد^(١٢)

كما غرست في نفوسهم الجراءة والشجاعة والنجدة والكرم والمجاملة وحسن المصانعة وعدم إيذاء الجار والعشير وجعلتهم ينفرون أشد النفور من البخل والجبن والغش والتخاذل.

وسيطرت مظاهر الجاهلية على النفسية العربية القديمة، ووصلت إلى حد التناقض أحيانا، فهم يثنون على شجاعة الفارس ولكنهم يعجبون باعتداله عند

الوصف من أبرزها. ويرى بعض النقاد أن العرب لم يخرجوا عن الصور المادية في تصوراتهم، وأن صورهم جاءت سطحية الخيال محسوسة لا تجرية فيها. وأن الشاعر الجاهلي بسبب ماديته الكثيفة لم تظهر عنده عاطفة الطبيعة واضحة جلية، ومن ثم لم يستطع أن يعبر عن اختلاجات نفسه نحو الطبيعة أو أن يبت الحياة فيها أو أن يتعدى مرئياتها فيرفع بها عن منزلتها، فليس له قوة الخيال المبدع الذي يختزن المحسوسات ويجمع بينها ويحللها ويركبها ليقدم صورا جديدة مبتكرة^(٣١). كما أن مثلهم في القصيدة لا يعدو الحديث عن الحببية النائية والديار العافية والتشوق إلى الحببية بحنين الإبل ولع البرق والارتياح إلى النسيم الذي يهب من ناحيتها والنار التي تلوح من جهتها ثم وصف الرحيل والانتقال والسفر وتجشم المشاق^(٣٢). وكم نال الشعر الجاهلي عندما نقطع الصلة بينه وبين الطبيعة، وننظر إليه على أنه نقل حرق للواقع من دون أن يمس الروح الإنسانية. فالشعر الجاهلي حقا مرآة للحياة العربية مثل بيتتها المتحركة والصامته، وتناول كل جانب من جوانبها فجاء صورة صادقة أمينة لكل ما في البيئة المترامية من حيوان أو نبات أو جماد، فوجدنا طعم البادية وريح الصحراء في كل مقطوعة أو قصيدة. ولكن الشاعر يسكب أنفاسه وأحاسيسه في كل هذه الجزئيات التي يتناولها. فقد تمثل الشعراء بيئتهم وامتزجوا بها، فابتدعت في أذهانهم الخواطر، فاخترعوا واشتقوا وصاغوا ونسجوا كل على منواله، فامرؤ القيس جلى في رسم صورها والشنفرى سجل بؤسها الشديد، وعنترة بشمالها الفارسة، وحاتم بمكارمها النادرة، وزهير بحكمتها العفوية، وطرفة بمصيرها المحتوم، والنابعة بقبلياتها، وابن كلثوم بغرامها الجامح، والحطيئة بلؤمها ودناءتها^(٣٣).

كانت الطبيعة منزل وحي الشاعر القديم ومن جاء بعده، لجأ إليها زهير حين استعصى عليه قول الشعر فعطفت عليه وأعانتها^(٣٤) واستعان بها كثير، فلم تبخل عليه^(٣٥) وظل ذو الرمة محافظا على الصحراء وما فيها، فعشقها وأحبها وأنطقها، فهي عنده تتكلم والصمت يغتي والفضاء الواسع تتعالى منه أصوات الناس يدعون بعضهم بعضا^(٣٦). وقد عظم اهتمام العرب بالطبيعة كما وكيفاء،

فوصفوا دروب الصحراء ومنسرباتها الخفية، وعيون الماء وما يكسوها أو ينبت حولها، ووصفوا الربيع ومرجه الخصيب ورياضه المعشبة وازدحام النحل والذباب يتغنى ثملا بنشوة الحياة، ووصفوا الصيف بحرّه وديدانه وأفاعيه ومنظر الحيوان والطير تلغجه الحرارة، والنبات وقد جف وأخذ يتطاير متناثرا في الهواء. والشتاء ببرده القارس وأثره على الزواحف والحيوان. ووصفوا الجبال الشامخة والوعول والعقبان والنسور والصقور والحبارى والحمام والأنهار وطيور الماء. وتحدثوا عن النجوم في إشرافها واختفائها في برقها وسكنها وحركتها. ووصفوا الرعود والبروق والأنواء والسحب والغمام والمطر والسيول^(٣٧).

ولم تأت أوصاف الشعراء جامدة معدومة الحياة، وإنما ربطوا ذلك بمشاعرهم وأحاسيسهم، فالريح اليمينية تبعث في النفس البهجة والطمأنينة لأنها تبشر بالمطر والخصب، والريح الشامية تبعث التشاؤم لأنها تحمل البرد والصقيع وتندّر بانقطاع المطر والقحط والجوع، وهم يتأملون البرق وينتظرون المطر تأخذهم الكآبة خوفا من الجذب، وتملأهم البهجة إذا غبر الأفق وسطع البرق، فيعبرون عن قلقهم وأملهم تعبيراً حياً ينقل مشاعرهم في صدق وإخلاص^(٣٨). وينظرون إلى الربيع نظرة ملأى بالطمأنينة والراحة ويتحدثون عنه حديث الرخاء فينعكس إحساسهم هذا لا على أنفسهم فحسب بل على الديار المهجورة والحيوان السارح في الصحراء^(٣٩).

وإذا كان الشعر الجاهلي قد اتصل اتصالاً وثيقاً بالطبيعة الجامدة فظهر المتخصصون في وصفها، أمثال لبيد وال شماخ والحطيئة والأعشى و امرؤ القيس، فقد أولى الجاهليون عنايتهم أيضا لتصور الطبيعة الحية، فصوروا كل ما وقعت أعينهم من حيوان الصحراء وطيرها. وربطوا بين المستأنس والمستأنس من الحيوان والطير وأفاضوا في تصوراتهم فانتزعوا تشبيهاات الرجال والنساء والأطفال من الطبيعة الجامدة والحية^(٤٠). فصورة المرأة في الغزل الجاهلي مأخوذة في كثير من مناحيها من الطبيعة بنوعيتها، فعيونها في السعة وشدة السواد ونساعة البياض عيون بقرة وحشية، وهي في خطوها قطاة، وفي مشيتها غزال أو مهاة، وفي رشاققتها وانعطافها وتثنيها وليونتها غصن بسان، ساقاها في بياضها واستدارتها ونعومتها من البردى وثدياها



في الاستدارة والشكل من الرمان والأسنان من الأفحوان. وهي شمس وبدر ودر ولؤلؤ^(٣١).

كل هذا ينبئ بأن الشاعر القديم هو شاعر طبيعة من الطراز الأول، يتأمل فيها ويبثها آلامه، وينسى في تأملاته لها أحزانه، يعطف فيها على الحيوان ويتشرب نفسيته، ويقف معه على قدم المساواة حتى أضحي الحيوان في القصائد القديمة بطلا من أبطالها، نجد ذلك في مقارنة عمرو بن كلثوم لوجده بوجد إحدى إناث الحيوان على ولدها الذي أضلته، وفي رؤية امرئ القيس للذئب ندأ له، كما نرى هذا الاهتمام الذي يبلغ حد الحكاية في قصة لبيد عن الحيوان في معلقته. وهذا الانكباب من الشاعر القديم على وصف ظواهر الطبيعة دلالة على أن موجودات العالم الخارجي حاضرة دائماً وبكامل ثقلها في وعيه وروحه لا خارج نفسه^(٣٢).

وقد رأى بعضهم أن قيمة الشعر الجاهلي المتصل بالطبيعة تكمن في أنه دلالة على استقامة النفس وسلامة الطبع والانفعال الصادق حيث لا يكمن خلفه تعصب أو تحيز كما هو مألوف في أشعارهم^(٣٣). ولعل في هذا الرأي شيئاً كثيراً من الصواب فهم يستجلون الطبيعة وما فيها من جمال عام ليصوروا بالتالي أحاسيسهم وانفعالاتهم تجاه الجمال الخاص الذي تنفعل به نفوسهم. ومن ثم قد لا نبالغ إذا عددنا هذا اللون من الشعر أحد أخلص ألوان الشعر القديم جوهرأ وأصدق شعوراً وتعبيراً وإيحاءاً.

(٣)

الشخصية الأدبية وتسخير الطبيعة لخدمة الفن ذهب بعض النقاد إلى أن البيئة العربية في الجاهلية لم تكن مختلفة الألوان اختلافاً يثير من الشاعر ما يدفع إلى الابتكار المتصل بالنفس، فردد الشعراء المعاني المتشابهة من بكاء الأطلال ووصف الخيل والحديث عن المحبوب الذي ارتحل، فجاءت كل مظاهر هذا الشعر ومعانيه وصوره وأخيلته ومفرداته اللغوية وموصوفاته ونوازع الشاعر وأفكاره ومثله وخلقته وعاداته وعصبيته أصداء للبيئة وتصويراً لها^(٣٤).

ومع اعترافنا بأثر البيئة الكبير على الشعراء في الجاهلية، إلا أن هذا التأثير لا ينفي معادلة الفرد الشخصية في تحديد طرازه الفني وأسلوبه الجمالي. فالفنان لا يقنع بما في الطبيعة من موضوعات جاهرة بل هو يتدخل بشخصيته ليفسر وليكمل وليبرز

وليخلق. بل إن ما يهمه من موضوعات الطبيعة أحياناً ما فيها من جوانب خفية مشحونة بالصبغة الوجدانية، وذلك البعد الذي لا ينكشف إلا للحساسية الوجدانية^(٣٥) ثم إن لكل شاعر مناخاً خاصاً به يتكيف وفقاً لخصائص شخصيته وثقافته والفنان الكبير يعي جيداً ما يميز بين التأثير والخلق. حقاً إن الطبيعة جميلة في ذاتها ولكن هذا الجمال يظل صامتاً أبكم حتى ينطقه الفنان فتندخل يده الصانعة تضيف وتحذف وتفسر وتخلق وتوحد. وكلما كانت شخصية الفنان متسربة في آثاره بحيث نسمع نبض قلبه ودبيب خواطره وهو اجس نفسه قدم وحدة حية نابضة وخلق عملاً فنياً جديداً فيه من نفسه وفيه من مشاهداته^(٣٦) وإذا صحت الفكرة القائلة بأن أوضح أسباب وجود العمل الفني هو وجود صانعه وأن إيضاح العمل الفني من خلال شخصية مؤلفه وحياته هو من أقوى المناهج الأدبية^(٣٧)، أمكننا أن نؤكد اختلاف الشعراء القدماء في نظراتهم وصورهم للطبيعة على الرغم من تشابهها وتناظرها. حقاً إن الطبيعة تلهم، ولكن هذا الإلهام يختلف من شاعر إلى آخر باختلاف المزاج والحالة والمركز والطبع وغيرها. فرؤية شاعر أمير مترف من أمثال امرئ القيس للطبيعة تختلف ولا شك عن رؤية شاعر عبد من أمثال عنتر. ورؤية شاعر شاب مستهتر مثل طرفة تختلف عن مثيلتها عند شاعر وقور مترن من أمثال زهير. ولسنا هنا بصدد تناول جميع شعراء الجاهلية لنصل إلى هذا الحكم، وإنما نحن نعمل على بعضهم لنرى مدى التفاعل بين شخصياتهم وبين محيطهم، ولنرى كيف تحدد شخصية كل منهم مساره ونظراته للطبيعة وموجوداتها. ونحن في اختيارنا لهؤلاء لا نقصد الحصر بقدر ما نقصد المثال. وقد راعينا في هذا الاختيار اختلاف كل منهم عن الآخر في النشأة والمزاج والطبع والتوجه لعل ذلك يفيد في دعم وجهة نظرنا وتأكيدنا.

امرؤ القيس:

أمير الشعراء القدماء من دون منازع خسف لهم عين الشعر وشق لهم طرقاً جديدة في ميدانه^(٣٨). وكان من أسباب تقديمه وتفضيله قدرته على تناول ظواهر الطبيعة بطريقة مبتكرة لم يتعودها العرب. فهو أول من وصف النساء بالطباء والمها والبيض. وشبه الخيل بالعصا والقوة والسباع والطباء والطيور وأول من قيد

الأوابد^(٢٢)

عصافير وذباب ودود

وأجراً من مُجَلِّحَةٍ الذئاب^(٢٣)

وأكثر ما يجذب القارئ في شعر امرئ القيس هو هذا التعامل الحي مع الطبيعة المتحركة والطبيعة الصامتة ومن خلال هذا التعامل تتم له عملية الإبداع الفني فالحيوان المستأنس ناقة أم جوادا والحيوان الوحشي نعجة أو ثوراً هو امتداد للشاعر في الحياة فوق ظهر الصحراء، فلا تراه إلا من خلالها، فهو حركته الدائمة، حركة نفسه وأعماقه ومشاعره. كما أن الطبيعة الصامتة في الآجام والأودية والبطاح والأشجار والسهول تبدو في شعره وكأنها توأم روحه، يسرح ببصره خلالها ويهيم في محاسنها ويتفيا ظلالها حتى تكاد تغدو جزءاً من ذاته^(٢٤). وهو في تصويره للطبيعة لا ينقل ذلك نقلاً ألياً ساذجاً، بل هو يحلق ويخلق ويقدم صوراً مبتكرة تعجب القدماء ويقلدها الشعراء. يصف خلجات نفسه إزاء روعة الطبيعة، ويسقط من شخصيته المترفة المنعمة على الأشياء، فإذا كل شيء يبدو بهجاً فرحاً راقصاً، فالعصافير دلفت من أوكارها تتغنى الطبيعة وتهتف بجمالها سكرى من حلاوة ما تحس في صبح مبتل خصيب:

كان مكايي الجواء غدية

صبحن سلافاً من رحيق مفلل^(٢٥)

والحمار يغرد في الأسحار كشارب يغني ويطرب الشرب المتنادمين ويهز أعطافه كرا ونشاطاً؛
يغرد بالأسحار في كل سدفة

تغرّد منيّا التّدامى المطرب^(٢٦)

والأبقار الموشاة أجفلت عندما شعرت بالخطر يداهما، فإذا هي عذارى لبسن لباساً مذيلاً وأخذن بالطواف حول صنم دوار:

فَعَنَ لَنَا سِرْبُ كَأَن نَعَاجُهُ

عَذَارَى دَوَارٍ فِي الْمَلَأِ الْمَذَلِّ

وتتفق المصادر القديمة على أن أباه (حجراً) ملك على بني أسد فتحكم بهم كما يريد وفرض عليهم ما يريد^(٢٧) وأن امرأ القيس ولده نشأ نشأة مترفة منعمة. واتجه إلى الشعر ينهل منه يعبر به عن مجونه وخلاعه وشهوته واشتغل بالخمر والزنا عن الملك والرياسة فأغضب والده فطرده^(٢٨). وقد رزقه الله من جمال الصورة والوسامة والحسن ما بعث في نفسه الخيلاء والغرور فذهب يتعهر في شعره، يقصد الغدران والرياض ومواضع الصيد مع صحبه يتصيدون ويشربون الخمر وتغنيهم القيان^(٢٩). ثم تخرج بنو أسد على أبيه فتقتله ويأتيه نعيه وهو "يدمون" فيقول جملته المشهورة "ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر"^(٣٠). ويُعَيِّرُ الحَدَثَ مَجْرَى حَيَاتِهِ ويأخذ بيده في مسالك المجهول ليصبح ملكاً ضليلاً يتنقل بين القبائل طالبا المساعدة والعون ليثأر رافضاً الصلح مع بني أسد على الرغم مما عرضوه عليه^(٣١).

ومتتبع شعر امرئ القيس يجد فيه امتزاجاً واضحاً بين ذاته وبيئته معا. نقرأ فيه اللهو والصيد ومعاشرة النساء، ونلاحظ فيه عناءه وتشرده وسعيه المطرد الممزوج بالأمل واليأس. وهو يقف طويلاً عند الطبيعة وأشياءها، والخيال والنوق والجمال والبقر الوحشي، وإذا هو شاعر شخصي في أسلوبه وموضوعاته، يتحدث عن ذاته في صلاحها وفسادها، في مرحها وحزنها، في عتبها وجدها. في شعره شعور قوى باللذة وشعور قوي بالألم. فيه تعهر واستسلام وفيه نغمة من عزة الملوك لا يقيد سلوكه عرف أو تقاليد أو نصوص^(٣٢). يفعل في غدير داره جلجل ما لا يجرو عليه غيره من الشعراء^(٣٣) فإذا هو لا مثيل له في القوة والشباب والإغراء والحيوية. ويصور شخصه الحزين بعد مصرع أبيه وتخلي الأقارب والرفاق عنه فإذا هو أضعف من العصافير والذباب والدود:

أرانا موضعين لأمر غيب

ونسحر بالطعام والشرب

فأدبرن كالجزع المفضل بينه

بجيد مُعم في العشرة مُحول^(١٦)

وتترك شخصية امرئ القيس المرفهة أثرها على صورة المرأة، فهو يرسم للمرأة مشاهد عامرة بالجمال والفتنة والنعمة والروائح ولو كان ذلك في لحظات الرحيل الحزينة ويستعين في ذلك بالطبيعة فتتمده بألوانها وروائحها:

فشبههم في الآل لما تكمشوا

ح دائق دوم أوس . فبينا مقبرا

أو المكرعات من نخيل ابن يامن

دوين الصفا اللاتي يلين المشية - را

سوامق جبار أثيث فروعه

وعالين قنوانا من البشرا أحمر

الى ان يقول

غرائر في كن وصون ونعمة

يُحلّين ياقوتا وشذرا مقبرا

وربح سنا في حقة حبيرية

نخص بمفروك من المسك أذفرا

وبانا وأويا من الهند ذاكيا

ورثدا ولبنى والكباء المقرا^(١٧)

وتنعكس شخصية امرئ القيس المنعمة على أسلوبه في مخاطبة المرأة فنجد الكلمات الرقيقة الناعمة المشرقة والصور البهجة تناسب في شعره، ويستعين بما في الطبيعة من جمال ليمزج جمال الوجود بالجمال

الأنثوي. وإذا الصور تفوح منها مختلف الروائح والطعوم:

وشغرا غر شيت النبات

لذيذ المذاقة عذب القبل

كان المدام بأنياها

وصوب الغمام بماء غا كل

وطعم السفرجل والزنجب

ل عل به وبصافي العسل^(١٨)

وهو يتخير من صور الطبيعة المتحركة والجامدة ما يلائم شخصيته العابثة التي تمثل الشباب المترف ليسكب في صور الطبيعة صورة المرأة التي يتوق إليها:

تصد وتبدى عن أسيل وتتقي

بناظرة من وحش وخرة مطفل

وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش

اذا هي نصه ولا بمعطل

وفرع يغشي المتن أسود فاحم

أثيث كثنو النخلة المتعكل

وكشح لطيف كالجديل محصر

وساق كأنبوب السقي المذل

وتعطر برخص غير شش كانه

أساريع طبي أو مساويك أسحل^(١٩)

وإذا كانت المرأة تمثل هدفا رئيسا من أهداف المتعة في شعر امرئ القيس فركوب الخيل والصيد يمثلان هدفا رئيسا آخر، بل طالما قرنها مع المرأة:

وقد أذعر الوحش الرئاع بقفرة

وقد أجتلي بيض الحدود الرواقا

نواعم تجلو عن مؤن نقيه

غيرا وربطاً جاسدا وشقائقا^(٥٠)

ويقول:

كأنني لم أركب جواداً للذة

ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال^(٥١)

وهو مولع بحصانه ولعا شديداً، ويكمن خلف ولعه شخصيته الفارسة الأميرة التي مضت تصور الحصان بصور أسطورية في الصيد والحرب والأسفار. ويلجأ إلى الطبيعة في صوره. وإذا هو له شخصيته في كل موضع، ففي الصيد يداهم الطيور عسقا في أوكارها قبل خروجها، في ليال حوالك كثيرة الأمطار ينجد ويعدو مسرعا فيقيد الوحوش ويحجرها.

وحصانه كأعلى الشجر إشراقا وعظم خلقه. خاصرته خاصرته ظلي، وشعره قنونا نخله مثمرة، وجريه له ريح شجر قوي^(٥٢)

وفرسه في الحرب جرادة في خفتها وسرعتها، ناصيتها من سعف النخل، وشعر رسفها كخوافي العقاب المنقضة، وساقها ساعدا نمر، وغذرها ذوانب نساء مكفهرات في يوم بارد، وعنقها شجر لبان ملتهب، ومنخرها جحر سبع^(٥٣).

أما في الاسفار ففرسه مرتفع ضامر يقطع كهفا مقفرا مضلا كجوف حمار الوحش، يدافع المطايا كلما اقتربت منه وينساب بين الايل غصنا ناعما يتثنى^(٥٤).

ونظرة عجل على هذه الصور جميعا تظهر شخص امرئ القيس يتخللها ويمتزج بها، وكأنه سكب شخصيته في حصانه فجاءت صورته تمثله طورا شامخا وأميرا فارسا ورجلا لا يلوى على شيء. ثم أنه أفاد فائدة جمة من صور الطبيعة الحية والجامدة فطبعها بشخصه فجاءت بصماته واضحة جليلة في نقل مشاعره وما فيها من زهو وشموخ.

فاذا ما صور الشاعر ناقته أقام بينه وبينها علاقة مميزة حميمة ومشجية وآسية، فهي تعزيه عن فراق أحبابه وتشاركه رحلات العذاب، وهي رضية وطبيعة

تستجيب وتسرع. ويصور امرؤ القيس هذه العلاقة المميزة مستعينا بالطبيعة ويسكب فيها من نفسه فتخدمه خدمة جلي، فناقته في سرعتها تمد عنقها كالغدق، وهي في سيرها هينة لينة كسحاب متفرق، وهي ظليم من النعام فزع نافر يطوف بعرض البلاد ويتعرض للأرياح. وكأنني بالشاعر هنا ينقل صورة من ضياعه وتشتته وسعيه المستمر في إثبات وجوده بعد مصرع أبيه:

كأنني ورحلي والقرباب ونمرقي

على يرفقي ذي زوائد نة . نقي

تروح من أرض لأرض نظية

لذكره قبض ح... ول يبيض مفلق

يجول بأفاق البلاد مغربا

وتسحقه ريح الصب... ما كل مسحق^(٥٥)

ولعل هذا الضياع هو ما نشاهده أيضا عند تصويره الثور الوحشي، فقد بدا الثور في شعره ضامرا جائعا نشطا متوجسا مذعورا وهو يكافح مظاهر الطبيعة:

تغشى قليلا ثم أتحي ظلوفه

يثير التراب عن مبه... بيت ومكس

يهيل ويذري تربها ويشره

إثارة ن... بات الهواجر مخس

بات على خد أحم ومنكب

وضجته مثل الاس... ير المكروس

بات الى أرطاة حقف كأنها

إذا ألقي... ما غيبة بيت مغرس^(٥٦)

وإذا كان امرؤ القيس معجبا بالطبيعة الحية يرى فيها نفسه، فهو مولع بالطبيعة غير الحية تنساب فيها شخصيته فتبعث فيها الحياة، فتبدو في أبهى مناظرها. فجمال الطبيعة لديه يبدو في كل مظهر من مظاهرها، في رعداها وبرقها ومطرها ونباتها. وهو لا يكتفي بالوصف كما يفعل غيره، بل يدعو أصحابه أن يقبلوا إليه وأن يقعدوا معه وأن يمعنوا النظر في جمال الوجود، أن يتأملوا ضياء البرق وجماله وما ينبعث عنه من وميض، فالبرق ليس مجرد نور يلمع في السماء، إنه يبدو في تألقه وكأنه انسان يشير بيديه.

وفيه من الإيحاء ما توحى به مصابيح راهب يمدّها زيت كثير:

أصاح تَرى برقاً أريك وميضه

كلمع اليدين في حبيّ مكمل

يضيء سناه أو مصابيح راهب

أمال السليط بالذّبّ مال المغلّ

فعدت وأصحابي له بين ضارج

وبين العذيب بعد ما مأمّل^(٥٧)

ثم هو ينتقل من هذه الصورة التي تمثل شخصية هادئة مترنة تتأمل وكأنها تتعبد، ليبعث شخصيته القوية الجبارة التي تتسامى الى الملك في السحاب الذي يتلو البرق يسحاً سحاً ليقتلع بسيوله أشجار العضاة العظيمة عاصفاً بنخل تيماء وبيوتها، ماداً انسكابه نحو اليمين ونحو الشمال على قطن والستار ويذيل منزلاً أثقاله بصحراء الغبيط ليطوف بذرى جبل "المجرم" يدور حولها بما احتمله من غطاء كما تدور فلكة المغزل وبدا "ثبير" في جثومه على ظهر الصحراء والسيول يأخذه من نواحيه شيخاً ملتفاً في كسائه المخطط:

فأضحى يسحّ الماء حول كيفة

يكبُّ على الأدّة ان دوح الكهبل

وتيماء لم يتركها جذع نخلة

ولا أطماً إلا مشيداً بجندل

على قطن بالشيم أمين صوبه

وأيسره على الستار قيدل

فألقي بصحراء الغبيط بعاءه

نزول اليماني ذي العياب المحلّ

كان دُرى رأس المجيمر حوله

من السيل والمغنا فلكة مغزل

كان ثيرا في عرائن وبله

كـ... ير أناس في جراد مزل^(٥٨)

ثم يعطف امرؤ القيس ليكمل جوانب الصورة، وهو في الحقيقة يكمل جوانب شخصيته في الصورة. هذه الشخصية المرفهة التي تعشق الجمال ويستهوئها المنظر. وإذا شخصيته تراءى لنا في هذا المنظر الجميل الذي خلفه السيل المدمر. فقد تناثرت النباتات والأزهار وبدت في ألوانها ثياباً زاهية الألوان يعرضها تاجر يمانى. وخرجت الطيور لاسـتجلاء صفاء الطبيعة تتصايح في الفضاء تتمايل في طيرانها، تهوى وتعود للطيران في نشوة ما بعدها نشوة وقد سكرت من خمرة الطبيعة فأخذت تشنف الأذان بأغاريدها الحلوة. وحتى السباع بدت عند الغروب في منظر رائع، غرقى أو كالغرقى، وظهرت رؤسها للناظر وقد انتفش شعرها كروؤس النبات البري:

كان مكّاكي الجواء غدبة

صُبحن سلافا من رحيق مففل

كان سباعا فيه غرقي عشية

بأرجائه القصوى أنا؛ يش عنصل^(٥٩)

والمقتبع لشعر امرئ القيس في وصف البرق وانهمار المطر وتدفق السيول، وما تحدثه من دمار يكاد يلمح شخصية امرئ القيس موزعة بين اتجاهين: اتجاه يعبر فيه عن إحساسه الرهف بجمال الوجود ورغبة ملحة في نقل هذا الإحساس والآخر يمثل ظاهرة العنف والإحساس بعمق الكارثة التي كان يعانيتها لفقد والده وسعيه المطرد للنار وتأكيد السيادة. هل استدعاء الأمطار والسيول والتبشير بالطوفان تبطن خلفها أملا عارما بالخلاص ورغبة في الوصول إلى نهاية مرضية في نظره ونظر القبيلة؟^(٦٠) ربما! وإذا صحت هذه النظرة يكون امرؤ القيس قد نجح إلى حد كبير في تسخير الطبيعة لخدمة أحاسيسه وتطلعاته.

والمعنى في شعر امرئ القيس يلمح روحه تسري في لغته وأسلوبه وموضوعاته مما يجعل منه شاعرا شخصيا. فلغته فيها صلابة البدوي وخشونة ورقة المتحضر ونعومته. فيها إيجاز الجاهلين وبلاغتهم ورقة الحضر وسلا متهم، هو بدوي وملك، فطري ومترف، ومن ثم فصوره من الطبيعة أخذت طابعه الشخصي بازدا واجيته؟ يغرق في التشبيهات الخشنة إلى حد الاستهجان ويرق رقة تبرز فيها التشبيهات بالحجارة الكريمة والطيوب المتنوعة والحريز والدمقس. وهو في هذا وذاك يراوح في موسيقاه فتأتي صورته من نفسه الملكة في كبريائها وعنقوانها، وتأتي من نفسه المحبة العاشقة لكل ما في مظاهر الكون من جمال. وهو في هذا جميعا يفرض شخصيته فيأتي متميزا متفردا يعجب النقاد.

زهير بن أبي سلمى:

وشخصية زهير من نوع مغاير لشخصية امرئ القيس. هي شخصية رجل وادع يتأله ويتعفف في شعره^(٦١) فيه من الوقار والأناة والروية شيء كثير. ابتعد عن الطيش واللهو ومال إلى الجد والاتزان والمسألة. مقت التعدي وكره الظلم، وكان متواضعا كريم الخلق، حلما فيه سماحة في الطبع قل أن نجد لها مثيلا، وكان حكيما وقاضيا مصلحا وخطيبا اجتماعيا ومرشدا يبحث عن صالح القبيلة وتقويمها. وسواء أخذ زهير هذه الصفات والمثل عن خاله

بشامة بن الغدير. وكان أحكم الناس رأيا.^(٦٢) أم من زوج أمه أوس بن حجر. وكان زهير راوية له. فالذي لا شك فيه أن هذه الصفات والخلال تاصلت به وأصبحت جزءا لا يتجزأ من نفسيته وشخصيته يعرف بها ويشار إليه عند الحديث عنها. وكان لهذه الخلل أثرها الكبير في شعره عامة وفي شعر الطبيعة لديه خاصة. فاجتمع لديه جمال الخلق وجمال الفن وجمال الغاية. وجاء شعره ممتزجا بطبيعة نفسه ليصور هذا جميعا، ولينتقل بشعره من النطاق الشخصي الضيق إلى النطاق الانساني العام.^(٦٣) فهو في حكمه يصور الشخصية الجادة الوقورة البعيدة عن الطيش والعبث. ومن ثم ارتدت حكمته طابعا اجتماعيا وخلقيا. فهي تتناول التبعات الفردية والاجتماعية والتكافل الذي ينبغي أن يقوم بين أفراد المجتمع. وقد اكتسبت طابعا إنسانيا لكونها لا تدعو إلى الشر ولا تعرض على العدوان.^(٦٤)

وفي فخره بذاته صادق إلى أبعد الحدود، لا يتحدث إلا عن مزاياه الحقيقية فلا يحرص على المفاخرة بالمآثر الجاهلية عادة الشعراء الجاهليين ولا يظهر من التيه ما أظهره غيره. أما الشخصية القبلية فهي ضامرة لديه. فهو لا يفخر بمزينة ولا ينطق بلسانها. وليس له سوى شعر يسير في الفخر بقبيلة غطفان أخواله. أما مدحه فهو يتخذ منه وسيلة لتفضيل الأخلاق العربية وتصوير آمال المجتمع العربي في الفضائل الذاتية.^(٦٥) ومع أنه كان أشد الشعراء مبالغة في المدح إلا أنه كان حقيقيا بعيدا عن السخف يجمع الكثير من المعاني في قليل من المنطق^(٦٦) فليس هناك أنتم من مروءة شعره ولا أقصد ولا أقل تزيدا منه لأنه وصف الملوك والسوقة والفرسان والسادة بالذي يكون فيهم^(٦٧) ولعل هذه الأمور هي التي عملت على تقديمه عند القدماء.^(٦٨)

وشعره في الغزل لا يرقى إلى مستوى غيره بسبب ما جُبل عليه من التزام الجد والتوقر. وحتى عندما يتحدث عن الطعائن يكتفي بوصف الأنماط والكلل وفتات العهن.^(٦٩)

ويبدو أن طبيعته التي تؤثر الجد وتكره البطالة والهو حالت بينه وبين أن يكون شاعر خمرة. فشعره يكاد يكون خاليا من وصف الخمر ومجالسها. كما أن شخصيته المسألة المتزنة باعدت بينه وبين الهجاء فسكت عن الرد على من هجاه.^(٧٠) وجعلته هذه الطبيعة

وفي قصيدته:

هاج الفؤاد معارف الرسم

قفر بذى الهضبات كالوشم^(٧٧)

وعندما يتحدث عن الرحيل تأبى شخصيته العاشقة للسلام إلا أن يصور رحلة الطعائن آمنة مطمئنة تجتاز مواطن العداوة وتجاوز الأودية حتى تصل المياه الصافية الجميلة، تتخذ منها موطناً ومستقراً، فتنتهي إلى نهاية طافحة بالبشر والسرور:

نَبْصَرُ خَلِيلِي هَل تَرَى مِنْ طُعَائِنِ

تَحْمَلُنَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمٍ؟

عَلَوْنَ بِأَنَامِطِ عَنَاقٍ وَكَلَّةٍ

وَفِيهِنَّ مَلْهُى، لِلصَّدِيقِ وَمَنْظَرٍ

أَتَيْقُ، لَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمَوَسِّمِ

جَعَلَنَّ الْقَتَانَ عَنْ يَمِينِ وَحَزَنَهُ

وَكَمْ بِالْقَتَانِ مِنْ مَحَلٍّ وَمَحْرَمٍ!

فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ

وَضَعْنَ عِصْيَ الْحَاضِرِ الْمُحَيِّمِ^(٧٨)

ومع أنه يبدو حزيناً في تصويره للرحيل وتتبع الأحبة الطاعنين، إلا أننا نلمس أن قلبه يمتلئ حناناً وشوقاً، ويحرص أن يصور لنا هذا الفضاء الواسع الذي يقطعته الأحبة وقد امتلأ خصباً وحياءً، فظهرت البهجة على النباتات والحيوان. فالنبات ملأ الربى والهود والسفوح، فَرَيْنَ وَجَمَلْ كُلَّ شَيْءٍ، فالحيوان ملأته الفرحة فأسرع يستمتع بهذه الرياض

لا يعنى بوصف السلاح، كما عني شعراء زمانه، فجاءت أغراضه الشعرية على اختلافها تمتاز بالرصانة والهدوء والتعاقل. وقد كانت نزعة زهير السلمية هي الملازمة لشخصه، فانعكست على فنه، وظهرت آثار هذه النزعة واضحة في اختياره لموضوعاته، وفي تناوله لعناصر الطبيعة ومزجها برغبته السليمة. وتتجلى طبيعته المسالمة في وقفة معلقته على مدح هرم بن سنان والحرث بن عوف الذين تكفلا بديات قتلى عبس وذبيان^(٧٩)، وفي تصويره الرائع لبشاعة الحرب وويلاتها^(٨٠)، كما تبدو هذه الطبيعة المسالمة في كونه لم ينظم شعراً في قتلى بني ذبيان يحث القبيلة للأخذ بثأرهم شأن غيره من الشعراء خشية أن يؤثر الأحقاد بنديه بل اتجه داعياً إلى الصلح والتعقل^(٨١) وهذا الالتقاء بين سماته الفنية والشخصية حبيب القدماء به فقدموه وجعلوا الشعراء عيالاً عليه^(٨٢).

فاذا ما تأملنا شعر زهير في الطبيعة وجدناه صورة صادقة لشخصيته في هدوئها وحبها، في وقارها واتزانها في حرصها على الحياة وفي كرهها للحقد والبغضاء والجري خلف صراعات لا نهاية لها.

وعشق زهير للطبيعة يبدو في وصفه لمشاهدها، وفي تصويره لمناظر الصحراء وما تحفل به من ضروب الحياة. وقد أخذت الصحراء من شعره نصيباً عظيماً. نظر إلى آثار الديار في هذه الصحراء المترامية، فلم يصورها هامة مية بل أشاع فيها الحياة والحركة والاضطراب، فاذا هي مرتع لأنواع الحيوان من بقعر وحشي وظباء.

بها العين والآرام يمشين خلفه

وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم^(٨٣)

وكان زهيراً في إحلاله الحيوان في الديار بدلاً من الإنسان إنما يرفض فكرة الرحيل والفناء والموت والحزن ويبعث عن الحياة والبهجة والاستقرار والسرور.

وهذه النظرة المسالمة الوادعة المحبة للحياة لا توجد في معلقة زهير فحسب، بل نجدها أيضاً في قصيدته:

كَأَنَّ أَوَابِدَ الثَّيْرَانِ فِيهَا

هَجَائِنُ فِي مَغَابِهَا الطَّلَاءِ^(٨٤)

والجنان^(٧٩).

ووصف الحيوان ياخذ جانباً هاماً من شعر زهير،
فصورة الوحش وإطلاقها وما تنعم به من حركة
واضطراب وبهجة تطالعنا باستمرار في شعره، وهو
حريص أن يصور الحيوان في أمنه واستقراره وأن
يصوره في خوفه وحذره، وهو مشفق عليه دائماً، محب
له، يتخذ شتى الوسائل لتصوير إشفاقه عليه من
الطبيعة القاسية والصيادين العتاة.

يُصور الثور وهو يعالج الليل والرياح والمطر فينقل
إلينا صورة إنسانية مؤثرة:

فأدركه سماءٌ بينها خللٌ

تروى الثرى، وتسيل الصفصف القرقا

فبات معتماً، من قرها لثقا

رَشَّ السحاب، عليه، الماء فاطرة ما

يمرى بأظلافه، حتى إذا بلغت

يُبْس الكتيب، تداعى الترب، فانخرقا

مُولي الريح رَوْقِيه، وجبهه

حتى دنا مرزُم الجوزاء، أو خفقا

لَيْلته كلها، حتى إذا حسرت

عنه النجوم أضاء الصبح، فانطلعا^(٨٠)

فاذا ما صور حمار الوحش وقت السحر وقد أمن عين
الصياد والناس بين الغدران الصافية البعيدة، أسمعنا
غناؤه العذب، ونقل لنا اهتمام هذا الحمار بالأتان
وحرصه على حمايتها وكأنه يرمز بذلك الى الخصب
والحياة:

يُغَرِّدُ بين خُرْمٍ مُفضياتٍ

صَوافٍ، لم تُكَدَّرْها الدلاءُ

يُفَضِّلُهُ، إذا اجهدا عليه،

تمام السن، منه، والذكاء

كَأَن سَحِيلَهُ فِي كُلِّ فَجْرِ

على أحس . ماء يُمُود، دُعَاء

فليس بغافل، عنها، مُضِيع

رَعِيَّته، إذا غفل الرعاء^(٨١)

وتملي عليه شخصيته المسالمة أن يشفق على الحيوان
الضعيف في صراعه الدائم من أجل البقاء أمام
الحيوانات المفترسة، فيصور ضعف الحيوان وحرصه
على الحياة ويصور البطش والقوة والرغبة في السيطرة
والتملك، وكأنه بذلك إنما ينقل صوراً أليمة لعاناة
الضعفاء في هذه الحياة التي لا ترحم، وإحساسه بثقل
التبعات الفردية والاجتماعية. ولننظر في هذه الصورة
التي يقدمها للمهاة وقد أغراها طيب المرعى فانطلقت
تستمتع غافلة عن ولدها لتصرعه ضواري الوحش
فتأكل منه ما تأكل، وتحجل الطير حول ما تبقى:

طَبَاها ضَحَاء، أو خلاء، فخالفت

إليه السباع، في كناسٍ ومرقدٍ

أضاعت، فلم تُغفر لها خلواتها

فلاقت بياناً، عند آخر معهدٍ

دماً، عند شلُو، تُحِجِلُ الطير حَوْلَهُ

وبَضَعَ لحام، في إهابٍ مُقَدَّدٍ^(٨٢)

واذا كان زهير يشفق على الحيوان من الحيوان فهو
يرثي له من الانسان، ذلك الصياد القانص، الذي ركب
جواده المدرب وحمل سلاحه المشحود فرحاً بالربيع
والحياة، حيث يوفران له صيداً دسماً ومتعة ما بعدها
متعة:

وغيث من الوسمي، حوِّ تلأعه

فقال: شياه راتعات بقرة،

أجابت روايه النجا، وهو اطله

بمسأسد القران حومس مائه

هبطت بمسود النواشر، ساج

فقال اميري: ما ترى رأي ما نرى

ممر، أسيل الحدة، تهد مراكله

أثكله عن نفسه، أم نساوله؟

تيم، فلوانه، فأكمل صنعه

فينا عراة، عند رأس جوادنا

فتم، وعزته يده، وكاهله

يزاولنا، عن نفسه، وزاوله^(٨٥)

أمين شظاه، لم يحرق صفاة

فاذا ما صور حمار الوحش وقد تربص به الصياد لم يخف سخريته من خيبة الصياد ولم يخف فرحه بنجاة الحمار:

بمنتبة، ولم تقطع اباجلة^(٨٦)

فرمى فأخطأه، وجال كائه

ألم، على برز الأم، اعز يلحب^(٨٧)

وشعر الطرديات قليل لدى زهير - في حين هو ضرب من الرياضة والمتعة والفتوة عند الجاهليين - ويبدو أن شخصيته المسالة هي التي كانت تملئ عليه اتجاهاته في اختيار موضوعات شعره، فنراه يبتعد باستمرار عن كل ما يثير العداوة والحزن في النفس وقد انعكس هذا الاتجاه على شعره القليل في الصيد. ومع قلة شعره في الطرديات إلا أنه حريص أن يقدم قصص الصيد في صور جميلة رائعة، فيها سذاجة وقدرة على استغلال الحس، وفيها دقة في السرد ونقل للصور بطريقة تثير الإعجاب^(٨٨). وهو يشترك مع صاحبه ورفاقه في رحلة الصيد ولكن نفسيته الوداعة تأبى مخادعة الفئيسة ومخاتلها كما يفعل غيره، فلا يتولى صيد حمر الوحش بنفسه وإنما يتولاه غلامه، ولعل في طبيعته التي تكره سفك الدم تعليلًا لذلك:

وعندما يصور الصراع المرير بين الثور الوحشي و كلاب القانص يحرص أن ينتهي المشهد بمصرع الكلاب ونجاة الثور:

فابتترهن ختوفهن، فقاظ

عطب، وكاب للجبين، مترب^(٨٩)

ومن الملاحظ أن زهيراً يطيل في وصف حمار الوحش وتنقله طلباً للماء والكأ ويوجز في وصف المطاردة والصراع. ويبدو أن رغبته في الحياة وكرهه للمشاهد الدامية هو ما دفعه الى هذا المسلك^(٩٠)

وإذا كان زهير يتعاطف مع الحيوان، فأخذت تعلو وتهبط في حركة عجيبة حتى أفلتت من مطاردها فهوى ليرتطم رأسه بالصخر ينزف دما:

كانها من قطا الأجباب، خلأها

إذا ما غدونا ببغي الصيد مرة

ورد، وأفرد عنها أخم، ما الشرك

متى نره فإننا لا نخاتله

أهوى لها أسفع الحدين مطرق

فينا ببغي الصيد جاء غلامنا

ريش القوادم، لم ينصب له الشبك

يدب، ويخفي شخصه ويضائله

فزلَّ عنها وأوفى رأسَ مَرْقَبَةٍ

وكريّ، إذا نادى المضاف مُحَنِّبًا

كمنصبِ العرّ، دُمى رأسُ الشُّكِّ^(٨٧)

كسيد الغضا، بَهْمُ المَوَرَدِ^(٨٨)

ومن يتتبع شعر زهير عامة، وشعره في الطبيعة خاصة يجد أن فيه وشخصيته يلتقيان إلى حد بعيد فإذا كان عند القدماء من عبید الشعر^(٨٩) فما ذلك إلا لأن شخصيته كانت تفرض عليه الروية والتعقل والرزانة في كل شيء. فاعتنى بشعره كل العناية. وأطال النظر فيه، فحذف الفضول من القول وتجنب المهلل من الفكر فجاء شعره مرتب الأفكار منسجم الصور منسق الكلام.

وما زال تشرابي الخمر ولذتي

وبيعي وانفاقي طريفي وملدي

إلى أن تحامني العشيرة كلها

ولما كان منطقياً في حياته مرتباً رصيناً، جاء كلامه متسلسلاً في كل ما يعرض^(٩٠) وإذا كانت صورته مادية، قريبة من الحس، بعيدة عن الخيال، واضحة في دقائقها وجزئياتها، فما ذلك إلا لأنه واضح في شخصيته ومسلكه في الحياة. يجعل عقله رقيباً على نفسه وطبعه فتأتي معانيه فطرية بعيدة عن الفلسفة والاستقصاء، يهيم وضوح الغرض وبيانها. ومع أن لغته كانت قريبة من لغة الخطابة أحياناً إلا أنها شديدة الأسر بروحها واتجاهها وفنها. ولعل عنايته الفائقة بتوفير الموسيقى اللفظية قد خدم أغراضه إلى حد بعيد، وفوقت هذه العناصر جميعاً لشعره ما جعله محبوباً يعجب النقاد فيحكمون له بالتفوق والامتياز^(٩١).

وأفردت أفراد البعير المعبد

وهو مقتنع بمذهبه في الحياة أشد الاقتناع، فالدنيا في نظره هي أول المطاف ونهايته، والموت هو آخر الحياة وغايتها، فلم لا يلائم الإنسان بين سيرته وبين هذه الحياة الفانية فيرضي نفسه ويرضي قومه، فيقدم لكل ما ينبغي؟

ألا أيها الزاجري أحضر الوغي

وأن أشهد الذات هل أنت مخلدي؟

طرفة بن العبد:

على النقيض من شخصية زهير الجادة الوقورة المتزنة تطالعنا شخصية طرفة بن العبد اللاهية العابثة التي لا تنظر إلى الحياة إلا من جانبها الممتع. فالحياة خمر ونساء وحرب. وهو يخشى كل الخشية أن يدركه الموت قبل أن يشبع نهمه من هذه جميعاً:

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي

فدعني أبادرها بما ملكت يدي

وهو إذا كان يشبع نفسه باللذة إلى حد الإسراف لا ينسى واجبه الاجتماعي وواجب قومه عليه بل هو يشغله دائماً:

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خلت أنني

عنيت، فلم اكسل ولم أتبدل بل هو حزين جداً لعدم فهم قومه له ونبذهم إياه وينساب شعوره الصادق الحزين هذا حتي في غزله^(٩٢) ويعتبر بشرف الانتماء لهم ويشدو بحبهم. وقد رأى الدكتور طه حسين أن طرفة يصدر عن فلسفة وعن اختبار للحياة. مستفيداً من حوادثها وخطوبها ونتائجها، وأن فلسفته خالدة موجودة في كثير من

فلولا ثلاثُ هنَّ من حاجة الفتى

وجَدِّك لم أخفل متى قام عودِي

فَمِنْهُنَّ سَبْقِي العاذلاتِ بِشَرِيَّةٍ

كَمِيتَ متى ما نُعِلَّ بالماءِ تَرْدِي

بيئات البادية التي لم ينفذ اليها الدين، ويرى أن أهله وقفوا عاجزين عن فهمه فأنكروه ففهمه الفقراء المحتاجون الى عونهم والأشراف المكبرون لسؤدده^(٣١). ومع اعتزاز طرفه بقومه وارتباطه الوثيق بهم، فهو لا يذيب شخصيته أبدا بل هو فخور بهذه الشخصية الجريئة الشجاعة التي لا تعرف إلا الإقدام وركوب المخاطر^(٣٢). وقد ساهمت الظروف التي احاطت بطرفة في إبعاده عن الجمالة والنفاق ودفعته الى الصراحة والجرأة والجهر بما يعتقد. فجاء شعره صورة صادقة لنأμάτων نفسه وخلجات قلبه ورسومات مشاعره^(٣٣) ويبدو أن غربته وارتحاله ساهما ايضا في هذا العمق الحزين الذي نحسه في شعره حيثما نقرأ، وفي منحه هذا الخيال المجنح الخصيب. فكانت حياته ذات تأثير قوي في توجيه شعره، فاجتمع له في فنه صدق الشعور وفطرة النفس وبساطة التعبير. وهذه جميعا استجابات للشخصية الصريحة الجريئة المتوثبة. وجاء شعره صورة لحياته الهائجة المضطربة ليمثل الشباب في نشاطه وحيويته وثورته ومثله.

وتتبدى فلسفة طرفة في شعر الطبيعة واضحة جلية، فهو يستغل عناصرها عندما يقف أمام الديار وقد لعب بها البلى والفناء فتأبى نفسه المحبة للحياة الا أن تكشف عن شعوره بجمال الطبيعة وما تبعته في النفوس من بهجة وسعادة:

جَعَلَهُ حَمَّ كُلِّهَا

لر. - بيع ديمة نيمه

حاسي رسم وقت به

لو أطيع النف سم أرمه

لا أرى إلا النعام به

كالإماء أش. - رفقت حزمه

والقرار بطنه غدق

زيت جله. - ماته أكنه^(٣٤)

وعلى الرغم من رحيل الأحبة فالدار في شعر طرفة تظل عامرة بالحياة:

فلا زال غيث من ربيع وصيف

على دارها حيث استقرت له رجل

مرته الجنوب ثم هبت له الصبا

إذا مس منها مسكنا عذملا نزل^(٣٥)

وفي غزله يبدو طرفة شابا مفتونا بالحياة. وصوره في هذا المجال مترفة بالرفاهية وغضارة العيش، تتألق فيها الأضواء والألوان، ويستعين فيها بالطبيعة ويجعل غزله شركة بين جمال الأنثى وجمال الطبيعة:

وفي الحى أحوى ينفذ المرد شادن

مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

أشجاك الربيع أم قدمه

أم رم. - ماد، دارس حمة؟

كسطور الرق رقشه

بالضحى، مرة شيش حمة

لعبت بعدى، السيول به

وجرى، في روق ره حمة

فالكليب معشب، أنف

فتناهي... به، فمر نكمة

خذولٌ ثراعي ربُّراً بجُميلةٍ

كَبَنَاتِ المَحْرِ يَمَادُنْ كَمَا

تَنَاولُ أَطْرَافَ البَرِيرِ وَتَرْتَدِي

أُبْدَتِ الصَّيْفُ عَسَ المَبِجِ الحُضْرُ

وَتَبَسُّمٌ عَنِ أَلْمَى كَانَ مَنُورَا

فَجَعُونِي يَوْمَ زَمُوا عِيْرَهُم

تَحَلَّلَ حَرَّ الرَّمْلِ دَغْصٌ لَهُ نَدَى

بِـ رَخِيمِ الصَّوْتِ مَلْثُومٍ عَطَرُ

وَوَجْهَ كَانَ الشَّمْسُ حَلَّتْ رَدَاءَهَا

وَمِنَ الطَّرِيفِ أَنْ طَرَفَةً يَلْجَأُ إِلَى صُورِ الطَّبِيعَةِ يَسْتَعِينُ
بِهَا فِي فَنِّ الهِجَاءِ:

عَلَيْهِ، تَقَى اللَّوْنُ لَمْ يَتَّخِذْ^(١٠١)

فَأَتَتْ عَلَى الْأَدْنَى شِمَالٌ عَرِيَّةٌ

وَأَغْرَقَ طَرَفَةً فِي تَسْخِيرِ الطَّبِيعَةِ لَخْدَمَةِ غَزْلِهِ. وَلَا
غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ فَالْغَزْلُ أَكْثَرُ مَا يَلَانِمُ طَبِيعَتَهُ الْفَتِيَّةُ
الْإِلَهِيَّةُ وَفِي صُورِ الطَّبِيعَةِ مَا يَلَانِمُ تَصَوُّرَ الشَّبَابِ
الْمُتَطَلِّعِ إِلَى اللَّذَّةِ يَخْتَارُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ لِيَمِزَّجَهُ بِالْجَمَالِ
الْإِنْتَوِيِّ صَانِعًا مِنْهَا صُورًا تَرُوقُ وَتَعْجِبُ. فَالْمَرْأَةُ مَهَاةٌ
لَطِيفَةٌ رَقِيقَةٌ هُضِيمَةٌ الْكُشْحُ مَرْفُوهَةٌ:

شـ . أَمِيَّةٌ تُزَوِّي الْوُجُوهَ بَلِيلُ

وَأَتَتْ عَلَى الْأَقْصَى صَبَاً غَيْرُ قَرَّةٍ

كَذَآءَبُ مِنْهَا مُزْرِعٌ وَمُسـ . بِلُ

وَلَهَا كَشْحًا مَعَاةً مُطْفَلٍ

فَأَصْبَحَتْ فِتْعًا نَابِتًا بِقَرَارَةٍ

تَقْتَرِي بِالرَّمْلِ أَفْنَانَ الزَّهْرِ^(١٠٢)

تُصَوِّحُ عَنْهُ وَالذَّلِيلُ لِي ذَلِيلُ^(١٠٣)

وَرِيقُهَا رَضَابٌ مَسْكٌ مَمْزُوجٌ بِالمَاءِ البَارِدِ الصَّافِي
تَدَاعِبُهُ الرِّيحُ فَتَزِيدُهُ بَرُودَةً:

وَإِذَا تَضَحَّكَ تَبَدَّى حَبِيبَا

وَكَاَنَّهُ بِذَلِكَ يَعْبُرُ عَنْ وَجْهِ الطَّبِيعَةِ مَعَا، الْجَمِيلِ
الْمَشْرِقِ وَالْمُتَجَهِّمِ الْعَابِسِ. فَيَنْقَلُ طَرَفِي شَخْصِيَّتَهُ
الْعَابِثَةَ الْعَاشِقَةَ وَالْفَتِيَّةَ الثَّائِرَةَ. وَيَبْدُو أَنَّ هَذِهِ
الشَّخْصِيَّةَ الْفَتِيَّةَ انْعَكَسَتْ عَلَى فَنِّهِ وَبَدَتْ وَاضِحَةً فِي
أَسْلُوبِهِ، فَهُوَ يَمَعْنُ فِي الْبَدَاوَةِ وَالْجَفْوَةِ وَيَطُوفُ بِنَا فِي آفَاقِ
غَرِيبَةٍ مِنَ الصَّحَرَاءِ يَحْتَطِبُ الْفَاضِلَةَ مِنَ حُطْبِ
الصَّحَرَاءِ الْجَزْلِ وَيَرْكَبُ مِنَ الْغَرِيبِ مُسْتَخْدِمًا الْفَاضِلَةَ
قَوِيَّةً وَأَسَالِيبَ خَشَنَةً^(١٠٤) وَكَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ فِي عُنَاصِرِ
الطَّبِيعَةِ الَّتِي يَرَاهَا مَزِيدًا مِنَ الْقُوَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ الْمَوْتِ
وَالْفَنَاءِ مُثَبَّتًا إِرَادَةَ الْحَيَاةِ الَّتِي تَعِيشُ وَتَنْفَعِلُ بِهَا
أَحَاسِيسُهُ. وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ مَا جَعَلَهُ يَخْلَعُ عَلَى نَاقَتِهِ كُلِّ
صِفَاتِ الْقُوَّةِ وَالْمَتَانَةِ وَالْجَمَالِ. وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْمَسْلُوكَ فِي
الْفَنِّ وَالْأَسْلُوبِ هُوَ مَا حَبَّبَ الْعُلَمَاءَ بِهِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ
حَدَاثَةِ سَنِهِ. فَقَدِمُوا مَعْلَقَتَهُ عَلَى سَائِرِ الْمَعْلَقَاتِ، وَقَدْ
وَجَدُوا أَنَّهُ وَفَرَ لَهَا كُلَّ مَا يَلْزَمُ لِلشَّعْرِ الْقَوِيَّ الْمَحْكَمِ
الْجَمِيلِ^(١٠٥).

عَنْتَرَةُ بَنِ شَدَادٍ:

شخصية أخرى جد مخالفة، فهي ليست شخصية امرئ القيس المترف الأمير وليست شخصية طرفة ذي الحسب الرفيع، ولكنها شخصية الفارس البطل الذي يعجب الجميع بـ كرهه وفرة ومع ذلك يرفض الجميع. بمن فيهم أهله. جواز انتمائه اليهم بسبب لونه الأسود وكون والدته أمة حبشية سوداء لا تنتمي الى العرق العربي! فاستعبده أبوه. عادة العرب في الجاهلية. وعامله معاملة الرق العبيد! فضلت عقدة العبودية تلاحق عنثرة وتلح عليه حتى بعد أن منحه والده حرية بسبب عمل بطولي حمى فيه حياض القبيلة^(١٠٧) وكان لهذا الإحساس أثره البعيد في نفسيته فصبغها بالحزن والمرارة والشفافية الزائدة وأثر في بناء شخصيته فارتفع بها ارتفاعا يفوق مستوى الإنسان العادي في كل تصرفاتها. فهو من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده^(١٠٨) وما قيمة النسب أو اللون إذا كان الانسان فارسا كريما شهما:

فإن تك أُمي غرابية

من أبناءِ حامٍ بها عُبْنِي

فإني لطيفٌ ببيضِ الطُّبَا

وسُمرِ العوالي إذا جِئْتِي^(١٠٩)

وهو لا يقول هذا ليهرب من الانتماء الى السودان، بل هو يفخر بهذا الانتماء ويشرفه بفروسيته وشجاعته:

إني امرؤ من خير عبسٍ منصبا

شطري وأُحْمِي سائري بالْمُنْصَلِ

وإذا الكِئْبَةُ أُحْجِمَتْ وتَلَا حَطَّتْ

أُفَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُعِمِّ مُحَوِّلِ^(١١٠)

وعشق عنثرة عبلة ابنة عمه، ورفض عمه أن يزوجه له، فأضاف الى حزنه حزنًا من لون آخر، فاشتعل في قلبه لهيب الحرية والنفور من العبودية، ولهيب الحب، فانطلق يتغنى بفروسيته وعفته وكرمه

وحلمه وطمو حاته وآماله مستبدلا بجمال الجسد جمال العقل وجمال النفس وجمال الحب. وسواء أكان بذلك يرضي نفسه الحزينة ويشبع آمالها أم كان يقنع محبوبته بشخصه، فمما لا شك فيه أن فنه جاء ممتزجا بمسيرة حياته ليرسم صورة نقيية للفارس البطل والإنسان العف^(١١١).

وكان لابد للحزن أن يطبع صور عنثرة وهو يتحدث عن الطبيعة، فصبغ الطبيعة بصبغة نفسه، فجاءت في كثير من صورها شاحبة تنبعث منها رائحة التشاؤم، فالأطلال صورة من نفسه القاتمة، مهجورة دائما، تعصف بها الأنواء والرياح، وينشج الحمام، وتهيج الشوق وتبعث الأسى والحزن. وقراءة متأنية لمقدمة معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم^(١١٢)

أو لقصيدته:

طال الثواء على رسوم المنزل

بين اللكيك وبين ذات الحرمل^(١١٣)

تطلعنا على نفوره الشديد من الماضي وتعلقه بالحاضر. وكان ماضيه المؤلم بما يرتبط به من عبودية يملئ عليه مثل هذا الاتجاه. ومن ثم نجده لا يطيل في وصف الطلل بل يثور عليه مخالفا الشعراء ويجري خلف البـ طولات متغنيا بحاضره الملى بالفروسية:

ألا قاتل الله الطلول البواليا

وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وقولك للشبيء الذي لا تناله

إذا ما هو احلولى الأليت ذالبا^(١١٤)

والارتباط بالماضي لا يفهم منه أكثر مما يفهم أعجم طمطمى قدمت له صحائف من عهد كسرى: ألا يا دار عبلة بالطوي

كرجع الوشم في رُسْعِ الهدى

كوحى صحائف من عهد كسرى

صَلَّ يَعودُ بذى العُشيرة بيضه

ف....أهداها لأعداء...جَمَ

كالعبد ذى الفرو الطويل الأصلم^(١١٧)

طُطْطِي^(١١٥)

وعندما يتحدث عن الرحيل لا نلمح الا السواد
والغريان وتناثر ريشها، ولا نسمع إلا تردد نعيها:

ظعن الذين فراقهم أتوقّع

وجرى بينهم الغراب الأبى - ع

حرق الجناح كأن لحيتي رأسه

أفمن بكاء حمامة في أنكة

جلمان بالأخبار رهش مولع

ذرفت دموعك فوق ظهر المخمل^(١١٨)

فرجوته ألا يفرح عشته

وطرب لغناء الذباب في الحقائق وقد سكر من نشوة
الطبيعة:

أبداً ويصبح واحداً يَفْجَعُ

وخلا الذباب بها فليس بارح

ان الذين نعت لي بفراقهم

قد أسهروا ليلي التمام فأوجعوا^(١١٩)

ويسقط شخصيته على ناقته المرتحلة، فإذا هي
مثال للقوة والنشاط والاختيال. ويلجأ الى الطبيعة
يستمد من صورها لتمثيل سرعتها، فيصورها
بالظلم، وقد أوت اليه قلس النعام عند المساء وقت
الإعياء، فأطل عليها من عليائه، وكأنه رجل من
العجم أحاط به قوم من اليمن يسمعون كلامه
ولا يفهمونه، أو عبد أسود لا يحسن الإعراب ثابت إليه
الإبل:

تاوي له قلس النعام كما أوت

حزق يمانية لأعجم طمطم

جادت عليها كل عين ترة

فترك كل حدية... كالدّرهم

يبغى قلة رأسه وكأنه

سحاً وسكاباً فكل عشية

زوح على حرج لهن مخيم

يجرى عليه الماء لم يصرم^(١٢٠)

ثم هو يستعين بجمال الطبيعة ليصور الجمال الانثوي ويمزج بينهما مزجاً رائعاً في معلقته، وقد اعتبر بعضهم هذا خاصة ينفرد بها لتقريب أوصافه من النفس^(١٣١). ولا نرى هذا الرأي فالظاهرة تتكرر عند أكثر من شاعر وإن كان عنتره قد جمع في أبياته حول هذا الموضوع عناصر متعددة وخذ بينها توحيداً رائعاً.

(٤)

الشخصية والطبيعة وصال روحي

١. بين الأصالة والمحاكاة.

يرى كثير من النقاد أن النزعة الحسية تركت أثراً عميقاً في الشعر القديم، فأنعدمت شخصية الشاعر أو كادت، ذلك أن هذه النظرة حددت أفق الشعراء في إطار البيئة المتشابهة فضعف خيالهم وتصورهم، وارتبطت أذهانهم بمشخصات مادية لم تتح لهم أن ينطلقوا إلى تصوير المعنويات، أو أن يتعمقوا في وصف الخواطر والأفكار فجاءت صورهم مكررة متشابهة، وسقطوا في دائرة الواقعية والوضوح فجاء أدبهم "فقيراً في الأفكار محدود الخيال أقرب إلى الصناعة اللغوية منه إلى الفن. ذاتياً تنقصه الصفة الإنسانية العامة"^(١٣٢) وإذا كان الشاعر الجاهلي في حديثه عن الطبيعة يسرف في الحديث عن نفسه بالأمها وأحزانها وخواطرها، فإنه لا يتجاوز عالمه الصغير إلى العالم الكبير بأفكاره العامة. فجاء هذا الشعر كله من النوع الوجداني الغنائي الذي يعتمد الحقائق ويمتلئ بالخواء العاطفي^(١٣٣).

وحقيقة الأمر أن الشاعر الجاهلي إذا كان قد ارتبط بالحس، وجاءت صورة ممثلة للواقع والعيان دون إغراق في الخيال أو غلو في نقل صور الطبيعة، فإن أخطر ما يقع فيه الناقد هو صفة التعميم، فنحكم على الشعر الجاهلي كافة بأنه خال من الإرادة الغنية للشاعر وأنه لا يمس جوهر الأشياء^(١٣٤) وأن هذا الشعر إذا نال إعجابنا فإنه لا يحرك مشاعرنا، وإذا أمتعنا فإننا لا نتفاعل مع المواقف تفاعلاً عاطفياً^(١٣٥). وأن عمل الشعراء الفني لا يعدو كونه فيضاً من التنظيم والتنسيق والبراعة^(١٣٦). فنحن نظلم الشعراء الجاهليين أفدح الظلم عندما نلغي شخصياتهم ونجعلهم عبيداً للبيئة والتقليد، أو عندما نفصل بين مشاعرهم وبين الطبيعة التي يعيشون فيها، فنلغي عنهم القدرة على التخيل ثم القدرة على الإبداع، فإذا كان الشاعر

الجاهلي قريباً من الواقع واضحاً جلياً في كثير من صورهِ فلا تعني العفوية ضعفاً في الخيال، ولا تعني البساطة انعداماً في الابتكار، اللهم إلا إذا كان التصنع والغموض أساسيين في جمال الفن وروعته! إن الحسية التي يتسم بها الشعر القديم لا تعني أن الوعي الجاهلي مجرد آلة تصور الواقع الموضوعي. فكثيراً ما يعيد الشاعر صياغة ما ينتجه في وجدانه ويصبغه بخصوصيته الداخلية الفردية فيصّل من الصياغة المادية إلى الصياغة الروحية^(١٣٧). أما أن الشاعر الجاهلي يرتبط بواقعه دون قدرة على التخيل، فنحن لانستطيع في أي حال من الأحوال أن نفصل الواقع عن الخيال، فشخصية الأديب ليست سوى علاقة داخلية بين الواقع والخيال وخصوبة هذه العلاقة تكمن في التفاعل بينهما^(١٣٨) فمهمة الفنان لا تقتصر على محاكاة الطبيعة وإنما تقوم أساساً على نظم الداخل بالاستناد إلى الخارج وهو لا يقوم بإمدادنا بصورة مكررة لما يحدث في الطبيعة، بل يعمل على التغيير من طبيعة الطبيعة فالفن محاكاة منقحة تقوم على تبديل الواقع وما يكسب الفنان صفة الإبداع هو شخصيته المستقلة وأصالته وتميزه فإذا تحقق له هذا صنع ما تعجز الطبيعة عن تحقيقه^(١٣٩). فالفنان القدير هو الذي يتمثل واقعه ويعيشه لا لينقله كما هو بل ليقدم هذا الواقع في ثوب جديد فيه نفسه وخواطره وأحاسيسه. وعند ذلك يكون عمله قائماً على الابتكار والخلق ولا يغدو الأثر الفني لدى الشاعر هنا مجرد صورة محسوسة ولكنه شيء يقوم على التخيل. أما الصورة المحسوسة فهي وسيلة نقل لا أكثر^(١٤٠).

ولا يعود الفن هنا مجرد وجدان وعاطفة وخيال وحلم بل يغدو خلقاً وصناعة أيضاً. كما أن غاية الفن لا تعود تقتصر على الألوان والصور تحشد لتتال إعجاب وإنما تصبح تعبيراً عن النفس بصدق وإخلاص^(١٤١). فإذا تم للشاعر ذلك لا يعود هناك من انفصام بين الشكل والمضمون، مادام المضمون قد برز في صورهِ وجاءت الصورة ممثلة بالمضمون^(١٤٢) ويغدو العمل الفني غنياً في عمقه وتنوعه لا في غموضه ولا تحدده. وتستحيل الموضوعات المعبر عنها إلى علامات أو إمارات تكتسب عمقاً يجعلها لا تشير إلى شيء سوى "العمل"^(١٤٣) فالطبيعة



تضع بين يدي الفنان الكثير من الأشياء الفنية أو الموضوعات الجمالية ولكن الفنان في حاجة الى تأمل هذه الطبيعة وتنظيمها والكشف عن إيقاعات جديدة والاهتداء الى علاقات غير متوقعة^(١٣٥).

وإذا كان الشاعر الجاهلي قد حاكى الطبيعة بدقة، فلا يعني أنه لم يكن متفاعلاً مع ما يصف، أو أنه كان يسعى الى الزخرفة والشكل على حساب مشاعره وأحاسيسه، فقد رسم الشعراء لوحات كاملة للطبيعة ووفروا فيها كل أسباب الصور الدالة الموحية من جو ولون وحركة وصوت. فأشاعوا في المعاني الحسية الحركة والحيوية. ولم يقتصروا على الحقائق المادية وتسجيلها تسجيلاً ألياً، بل صوروا انفعالاتهم تجاه الموضوعات في وعي وعمق. ولم يعد التشبيه تسجيلاً بارداً لوجود الشبه المادية بقدر ما هو نقل للعاطفة وأضحى ما نشهده في الشعر ليس الشاعر وهو يعاني التجربة الواقعية، بل الشاعر وهو يتذكرها بذاكرته التي تعيد إحياءها متخيراً عناصرها الهامة معيداً ترتيبها بخياله الفني ناظراً إليها من خلال مزاجه الخاص ما زجا إياها بعاطفته القوية^(١٣٦).

وإذا كنا لا ننكر حسية الشعراء، فإنه ينبغي أن نضع في الاعتبار أيضاً هذه القدرة العجيبة التي تمكنهم من اختيار التشبيهات ذات الدلالة على الإحساس بالتقارب بين مظاهر الجمال في الوجود. ولا تتوفر هذه القدرة على الاختيار إلا إذا توافر الخيال الخلاق. فإذا جاءت صورهم أحياناً محددة في البيت والبيتين فينبغي أن ندرك أنها تحوى من الشمول شيئاً كثيراً إذا ما درسناها في البيئة والحياة المعاشة والشخصية المبدعة بكل ما يحيط بها من ظروف. فالصورة الشعرية صلة بين الذات والطبيعة، وعظمتها تكمن في قدرة الشاعر على أن يجعل من الطبيعة ذاتاً ومن الذات طبيعة خارجية^(١٣٧). ولا يتسنى له هذا الخلق إلا إذا كانت شخصيته ماثلة في الأثر الأدبي بكل ما في شخصيته من معايير واتجاهات.

وإذا كانت الطبيعة مصدر الإلهام الأول للفن فالطبيعة بليدة خرساء ما لم ينطقها الفن^(١٣٨). فتأثر الشاعر بها وتعبيره عما ينطبع في نفسه من آثارها عن شعور صادق لا عن محاكاة وتقليد هو الذي يجعله أصيلاً في إنشاده. فالشخصية هي التي ترى وتأمل وتبتكر وتخلق. ومن هنا جاء الاختلاف بين شاعر وشاعر، فالبيئة واحدة والمؤثرات الطبيعية هي نفسها ولكن الشعراء يتميزون واللوحات تتنافر تبعاً لاختلاف الأمزجة وتنافر الطباع.

٢. الشخصية والطبيعة وصال روحي.

يذهب نقاد محدثون الى أن مهمة الشعر هي مهمة عاطفية لأن ما يباح به الفن هو دلالة وجدانية^(١٣٩) ومن ثم فإن الفن لا يستطيع أن يصل الى قلوب الناس إلا إذا أقام الفنان ضرباً من الوصال الروحي بينه وبين عالم البشر، فحقق ضرباً من التوافق والاتحاد في الشاعر بينه وبين جمهوره^(١٤٠) ولذا عليه أن ينفذ الى باطن الحياة فيسبر أغوار الواقع ويدرك أن كل منظر يشاهده إنما هو حالة نفسية، فالفن حدس غنائي يجمع بين العيان والعاطفة، أو بين المعرفة التمثيلية والنبرة الوجدانية^(١٤١).

والطبيعة هي الملمح الأول للفنان يتمثلها ويمتزج بها، ويرى فيها نفسه وتنعكس عليها مشاعره فيتغنّى بها حزيناً أو مسروراً، ويلجأ إليها يرتقي في أحضانها عشقاً للحياة أو هرباً منها فيجد لديها الحنان والحب والعطف.

وقد التصق الشعراء القدماء بالطبيعة، وصبغوها بوجداناتهم، وطبعوها بطوابعهم الشخصية، وسخروها لخدمة مشاعرهم فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من إحساسهم وفنهم. وقد فهم العرب منذ القدم أن الفن هو الإنسان مضافاً الى الطبيعة، وإن كانت الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس، فهي تقبل آثارها وتمثل بأمرها وتكمل بكمالها، وترسم بالقائها. والطبيعة لوحدها لا تفعل شيئاً بل لابد أن يتدخل الفنان

بشخصه في فرض صنعته "فالموسيقى ار إذا صادف
طبيعة قابلة، ومادة مستجيبة، وقريحة مواتية، وآلة
منقادة أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً مؤنقاً
وتأليفاً معجباً، وأعطاهها صورة معشوقة، وحلية
مرموقفة، وفوته في ذلك تكون بمواصلة النفس
الناطقة. فمن هاهنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة
لأنها وصلت الى كمالها من ناحية النفس الناطقة
بواسطة الصناعة الحادثة التي من شأنها استملاء ما
ليس لها وإملاء ما يحصل فيها، استكمالاً بما تأخذ،
وكمالاً لما تعطي" (١٢٦)

وقد نظر العرب الى الطبيعة الجامدة فنفخوا فيها
من روحهم، وتأملوا الطبيعة المتحركة فأضافوا اليها
من مشاعرهم. وإذا الطبيعة بجديها حية تنطق لا تعبر
عن جمال فحسب، بل تعبر عن مشاعر أصحابها
وتفكيرهم على اختلاف أنماطهم وأمزجتهم. بكوا
الطلل ورسوم المنازل، وكانوا في الحقيقة يبكون الوطن
والذكريات. ووقفوا على الأطلال، فنقلوا حُبهم
وعشقهم للحياة وتحديدهم للموت والفناء. ووجدوا في
هذه الديار متنفساً لأحزانهم وخوفهم وقلقهم.
فالنابغة في فاتحة معلقته:

يا دار مية بالعلياء فالسند

أقوت وطلال عليها سالف الأبد (١٢٧)

يسكب خوفه من النعمان ويشعرنا بالجفوة
والغربة بينه وبين المجتمع ويصل خوفه الشخصي
بالخوف الكوني. فيصور موقف الانسان الجاهلي عامة
من الخوف، سامياً بهومومه الخاصة الى الأفق الانساني
الرحب (١٢٨).

وفي قصيدته:

دعاك الهوى واستجھلتك المنازل

وكيف تصابي المرء والشيب شامل (١٢٩)

يطغى الحزن على شخصيته ويملاً نفسه الجزع
لفقد النعمان، فيخلع هذا جميعه على الديار، يتغنى
حنيناً ضائعاً، وشوقاً لا سبيل اليه.
ولبيد في مطلع معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها

بمنى تأبّد غولها فرجامها (١٣٠)

يبث الحركة في الديار، ويجعلها مسكناً ومرتعاً ومرحاً
للو حوش المطفلة والنبات اليناع. فينفي عنها صفة
الفناء، ناظراً الى أن الماضي يتحول الى رموز خالدة
تستقر في النفس تستعيدّها من حين لآخر. فتهدم
الحضارة أو تعطلها لا يعني النهاية ما دام المطرب يبحث
الحياة في الموات، ويعيد الخصب والنماء لتبدأ الحياة من
جديد (١٣١). أما امرؤ القيس فهو يمتزج بالطلل فيشجبه
ويرى فيه وسيلة للنفاذ الى أعماق نفسه. ويمزقه الالم
عندما يحاوره فلا يجيبه (١٣٢).

ولم تعد حيوانات الصحراء مجرد مخلوقات تجري
وتتناحر. وإنما تعايش معها الشعراء ونظروا اليها
نظرات إنسانية. فلبيد، يرى في حمار الوحش صفات
إنسانية، فهو محب عطوف يعامل زوجه معاملة المحب
الغيور:

ظلت تخالجه وظل يحوطها

طوراً ويربأ فوقها ويحوم (١٣٣)

ويرى فيه صفة الانسان المفكر المتأمل. ويمنحه من
الإنسان طربه ولهوه وغوايته:

يطرب آناء النهار كأنه

غوى سقاه في التجار نديم

أميلت عليه قرقف بابلية

لها بغد كأس في العظام هميم (١٣٤)

وزهير يصفه بصفات العقلاء، فسحيله يشبه صوت

الإنسان يدعو صاحبه:

كأن سحيلة في كل فجر

على أحساء يموؤد دعاء

أما الأعشى فيتصور الأتن تصوراً إنسانياً فيرى الحمار

فظاً خشن العشرة خبيث النفس:

ذو أذاة على الخليط خبيث الـ

نفس يزمي مراغة بالثسال (١٣٥)

ولم تعد الأتان الوحشية في معلقة لبيد وضراعتها
من أجل الحياة، سوى رمز للقلق الذي يعاينه الشاعر
الجاهلي في داخله أمام قسوة الطبيعة ومشقة الحياة.
وتحولت الغيرة والحرص والمنافسة والخوف والتردد

يهربون من شبح الموت الذي يطاردهم باستمرار^(١٧٤).
ولو تتبعنا نظرات الشعراء القدماء لمظاهر الطبيعة
لوجدنا أنهم يصدرون عن مواقف نفسية متباينة. وأن
كلاً منهم يرسم شخصه من خلال شعره، فيرون في
الطبيعة معاني الرضى والأمل والفرج والغيرة والريبة
وكل ما يعترى النفس البشرية من ضيق أو بهجة أو
خيبة أو أية عواطف أخرى^(١٧٥). لقد أمعنوا النظر في
الطبيعة ووصلوا أرواحهم بها. فبنوا الأهم
وأحلامهم. وقصوا عليها حبهم وعشقهم. وعقدوا من
الحوار بينهم وبينها ما جعلها شخفاً ينطق. فأحالوا
وجدانهم إلى حقائق ونقلوا إلينا مشاعرهم، فجعلوا
أكثر وعياً بمشاعرنا، وبعثوا فينا الفهم والتأمل. ونقلوا
إلينا أساليب حياتهم عن طريق التعبير. فمثلت
شخصياتهم أمامنا واضحة جلية في الرمل والزهر
والحيوان، وفي المطر والبرق والرياح. فقد دمروا رؤى
جديدة. عبرت تعبيراً نقياً عن أنماط شخصياتهم في
التفكير والشعور والإنتاج. وإذا كانت الطبيعة مصدر
إلهام ووحى لكل فنان، فإن الشخصية المبدعة تظل أولاً
وأخيراً هي التي تصنع وهي التي تخلق. وبقدر ما تملك
هذه الشخصية من الاستعداد للامتزاج والتأثير بما
حولها، تستطيع أن تقدم عياناً جديداً ورؤية جديدة.

والريبة والمطاردة في قصة الاتان، إلى صفات إنسانية
تحمل كلها معنى القلق الذي يساور الإنسان في رحلة
حياته^(١٧٦). ولم يعد الحديث عن الثور الوحشي سوى
حديث عن حالة الشاعر النفسية، وما يساوره من
حزن وألم ما يحس به من رضا وخبور وأمل^(١٧٧).
وعطفوا على الناقة رفيقة دربهم الطويل. فأحبوها
حب أبناءهم، ومزجوا مشاعرهم بمشاعرهم. فعبيد
يمزج حنينه وعشقه للحجاز - موطن الحبيبة - بحنين
الناقة شاقها وميض البرق^(١٧٨) وطرفة بجد فيها ملاذاً
يلجأ إليه عند أحزانه وهمومه^(١٧٩). أما الخيل - رفيقة
الحرب - فأضحت بقوتها ونشاطها وحيويتها تمثل
الانتشاء بالطبيعة واشتاء الحياة^(١٨٠). كما رأوا فيها
صديقاً مواسياً يشكو ويبكي ويتألم^(١٨١).

ولم يكتف الشعراء بخلق أحاسيسهم على حيوان
الصحراء أو الحيوانات المستأنسة، بل خلقوا مشاعرهم
أيضاً على الحمائم والنحل والطيور وغيرها^(١٨٢). ولم
يقتصروا في ذلك على الطبيعة الحية بل مزجوا
مشاعرهم بالطبيعة الجامدة، فوحدوا بين جمال
الطبيعة وجمال المرأة في التعبير عن مواقفهم
الوجدانية^(١٨٣). ولبيد يرسم صورة رائعة للنخيل فيدل على
عشقه الأصيل للطبيعة^(١٨٤). وارتبط الليل لديهم
بالحزن والبعد والتأمل والهموم^(١٨٥). ووجدوا في البرق
والغيث والمطر وسائل للحديث عن أفراحهم
وأحزانهم^(١٨٦). وإذا كان الشعراء القدماء قد نظروا إلى المطر على
أنه وسيلة هدم، فقد رأوا فيه أيضاً وسيلة بعث وحياء
فتسلوا بذكره عن معاني الفناء، وكانهم بذلك

- (١) انظر: جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط ٢ دار العلم للملايين- بيروت/ مكتبة النهضة- بغداد ١٩٨٠م ص ٢٢ وما بعدها.
- (٢) انظر: الثعالبي (ابو منصور اسماعيل ٤٢٩هـ- ١٠٣٨م) فقه اللغة وسر العربية- دار الحكمة دمشق ١٩٨٤م ص ٢٧٧- ٢٩٠.
- (٣) انظر: يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق- بيروت ط ٢ ١٩٨٠م ص ١٨.
- (٤) انظر: الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) ديوانه تحقيق د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة- بيروت ط ٢ ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م ص ٨٧، ١٣٩، وانظر: عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٢ ص ٢٢.
- (٥) ينظر: طرفة بن العبد، ديوانه شرح الاعلم الشنتمري (٤١٠هـ- ٤٧٦هـ) مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م ص ٤٢.
- (٦) انظر: الرزوقي (ابو علي أحمد بن محمد بن الحسن... ٤٠٠هـ) شرح ديوان الحماسة تحقيق احمد امين وعبد السلام هارون، القاهرة- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م ط ٢ ج ٢ ص ٦٥٨.
- (٧) انظر: عنتر بن شداد/ ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الاسلامي- القاهرة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م ص ٢٤.
- (٨) طرفة بن العبد / ديوانه ص ٢٧.
- (٩) انظر: د. ر. بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة ابراهيم الكيلاني ط ٢ دار الفكر- دمشق ١٩٨٤ ص ٤٦.
- (١٠) انظر: بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام دار مارون عبود- بيروت ١٩٧٩ ص ١٩.
- (١١) د. ر. بلاشير، تاريخ الادب العربي ص ٤٦.
- (١٢) انظر: وهب روحية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة- بيروت ط ٢- ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ص ١٤٩.
- (١٣) المرجع السابق: ص ٢١٩.
- (١٤) الأعشى الكبير / ديوانه ص: ٢١٣، ص: ٢٥٩.
- (١٥) المرجع السابق ص- ٤١.
- (١٦) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ص ٤٧، ٧٢.
- (١٧) انظر: طه أحمد ابراهيم، تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري دار الحكمة- دمشق ١٩٧٢م ص ٩٠.
- (١٨) انظر: علي شلق، نقاط التطور في الأدب العربي، دار القلم- بيروت ط ١٩٧٥م ص ٥٥٨.
- (١٩) انظر: ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٢- ٢٧٦هـ) الشعر والشعراء طبعة ليدن ١٩٠٢م ص ١٨.
- (٢٠) المرجع نفسه ص ١٨.
- (٢١) علي شلق، نقاط التطور في الأدب العربي ص ٥٦٠.
- (٢٢) انظر: محمد النويهي، الشعر الجاهلي، الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة ١٩٦٠م ص ٢٨٦.
- (٢٣) انظر: امرؤ القيس، ديوانه تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٨٥م ص ٢٤ وانظر: عبيد بن الأبرص، ديوانه دار صادر- بيروت (بدون تاريخ) ص ٥٢.
- (٢٤) انظر: لبيد بن ربيعة العامري، ديوانه- دار صادر- بيروت ١٢٨٦هـ ١٩٦٦م ص ٢٦٢.
- (٢٥) محمد النويهي، الشعر الجاهلي ص ٢٩٠.
- (٢٦) انظر: أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي دار القلم- بيروت ١٣٨١هـ ١٩٦١م ٢٣ وما بعدها.
- (٢٧) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي ص ١٨، ٤٢.
- (٢٨) انظر: نجيب محمد البهبهيتي، تاريخ الشعر العربي، دار الفكر- مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٠ ص ٨٥.
- (٢٩) انظر: سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٧٨ ص ١٠، وانظر: يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة

المذيل: الطويل المهذب. الجزع: الخرز والمفصل الذي فصل بينة باللؤلؤ.

(٤٧) المرجع نفسه ص ٥٧، تكمشوا: أسرعوا في السير. وشبه مسيرهم في السراب كسير السفين في الماء. المكرعات: النخيل المغروسات في الماء، الصفا والمشقر: قصران بناحية اليمامة، سوامق: مرتفعات طوال.

(٤٨) المرجع نفسه ص ٢٩٨
(٤٩) المرجع نفسه ص ١٦، نصته: مدته وأبرزته

المتعكل: المتداخل لكثرتة، الشثن: الجافي الغليظ، ظبي: اسم رملة وأساريعه دواب بيض تكون فيه. والاسحل شجر يستاك به.

(٥٠) المرجع نفسه ص ١٩٦، أذعر: أفرع، الرتاع: اللاتي يرتعن

(٥١) المرجع نفسه ص ٢٥

(٥٢) المرجع نفسه ص ٤٦

(٥٣) المرجع نفسه ص ١٦٣

(٥٤) المرجع نفسه ص ٩٢

(٥٥) المرجع نفسه ص ١٧٠ يرفئي: ظليم وهو الذكر من النعام. نقنق من النقنقة وهي صوته. النطية: البعيدة

(٥٦) المرجع نفسه ص ١٠٢ تعشى: دخل في العشاء،

المكنس: الموضع الذي يكتن فيه من الحر والبرد الأحمر:

الأسود، المكردس: المطروح على جنبه المتقبض، الأربعة:

شجرة، الحقف: ما اعوج من الرمل

(٥٧) المرجع نفسه ص ٢٤

(٥٨) الكنهيل: ما عظم من شجرة العضاة والدوحة

الكثيرة الورق والأغصان. الأطم: البيت المسطح، قطن:

اسم جبل في بلاد بني أسد. الستار ويذبل جبلان مما يلي

البحرين. الغبيط: موضع، بعاع: ثقل، بجاد: كساء

مخطط

(٥٩) أنابيش: جمع نبش وأنباش ويريد أصول

مانبش منه، العنصل: نبت بري يشبه البصل

(٦٠) قصي الحسين، العمارة الفنية في شعر امرئ

القيس ص ٣٣

(٦١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٥٨

(٦٢) الاصفهاني، الاغانى ج ١٠ ص ٣١٢

(٦٣) انظر: الاعلام الشنتمري، شعر زهير بن أبي

الرسالة. بيروت ط ٢، ١٩٨٢ ص ١٩٨

(٣٠) زكريا ابراهيم، مشكلة الفن، مكتبة مصر

١٩٧٧ م ص ٤٢

(٣١) انظر: علي أدهم، على هامش الأدب والنقد، دار

الفكر العربي. القاهرة (بدون تاريخ) ص ٢١

(٣٢) انظر: رينيه ويليك وأوسستن دارين، نظرية

الأدب ترجمة محيي الدين صبحي المؤسسة العربية.

بيروت ط ٢، ١٩٨١ م ص ٩٣

(٣٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٥٢

(٣٤) المرجع نفسه ص ٥٢ وانظر: القرشي (ابو زيد

محمد بن الخطاب) جمهرة أشعار العرب، تحقيق علي

محمد البـجـاوي دار نهضة مصر ١٩٧٧ ص ٦٥ انظر

القيرواني (ابو الحسن بن رشيق ٤٥٩٣٩٠ هـ) العمدة في

محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين

عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣ م ص ٩٤

(٣٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٣٧

(٣٦) المرجع السابق ص ٣٨ وانظر ابن رشيق

القيرواني، العمدة ص ٤٣

(٣٧) انظر: الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين

٢٥٦ هـ ١٩٧٦ م) الاغانى نسخة مصورة عن طبعة دار

الكتب مؤسسة جمال. بيروت ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م ج ٩ ص ٨٧

(٣٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٢٨.

(٣٩) الاصفهاني الاغانى، ج ٩، ص ١٠٣

(٤٠) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية

وصدر الاسلام ص ١٠٢

(٤١) امرؤ القيس، ديوانه ص ١٠

(٤٢) المرجع نفسه ص ٩٧. مجلحة: مصممة على

الشيء لا ترجع عما تريد

(٤٣) انظر: قصي الحسين، العمارة الفنية في شعر

امرئ القيس، المكتبة الحديثة. طرابلس لبنان (بدون

تاريخ) ص ١٣١

(٤٤) امرؤ القيس، ديوانه ص ٢٥

(٤٥) المرجع نفسه ص ٤٥ المياح: الذي يميح في

جانبيه، أي يميل شدة ونشاطا، أو من أجل السكر

(٤٦) المرجع نفسه ص ٢٢ عن لنا سرب: عرض لنا

قطيع بقر، وشبه إنائه بجوار أبقار يطفن بدوار، وهو

صنم لأهل الجاهلية يدورون حوله. الملاء: الملاحف.

سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ (قصيدة زهير في مدح حصن بن حذيفة) ص ٤٥

(٦٤) انظر: احسان النص، زهير بن أبي سلمى حياته وشعره، دار الفكر - دمشق ط ١٩٨٥ م ص ١٤٧

(٦٥) انظر: عبد الحميد سند الجندي، زهير بن أبي سلمى شاعر السلم في الجاهلية. وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة (بدون تاريخ) ص ٨٩

(٦٦) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٥٧

(٦٧) انظر الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر ١٥٠هـ - ٢٥٥هـ) البرصان والعرجان والعميان والحوالان. تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد - بغداد ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ص ١١٣

(٦٨) انظر: الجمحي (محمد بن سلام ١٣٩هـ - ٢٣١هـ) طبقات الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ م ص ٥٢ وانظر: الاصفهاني، الأغاني ج ١٠ ص ٢٨٨، ٣١٥ والقيرواني / العمدة ص ٩٨

(٦٩) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن أبي سلمى، ص ١١

(٧٠) انظر: الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط ٤ مكتبة الجاحظ - بيروت ١٣٦٧هـ ١٩٤٨ م ج ٤ ص ٨٣

(٧١) الاصفهاني، الأغاني ج ١٠ ص ٢٩٣

(٧٢) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن أبي سلمى ص ١٨

(٧٣) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ص ١٣٠

(٧٤) انظر: ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ٦٠٨ - ٦٨١هـ) وفیات الاعيان وأنباء أبناء الزمان. إعداد: وداد القاضي وعز الدين أحمد موسى وإشراف إحسان عباس. دار صادر - بيروت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧ م ج ٥ ص ٢٥٥

(٧٥) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن أبي سلمى ص ١٠

(٧٦) المرجع نفسه ص ١٣٢

(٧٧) المرجع نفسه ص ٢٧٢

(٧٨) المرجع نفسه ص ١١، العتاق: الكرام، العليا: بلد، جرثم: ماء لبني أسد، الكلة: الستر، مشاكهة: مشابهة، وراذ: جمع وزد وهو الأحمر، القنان: جبل لبني أسد

(٧٩) انظر: طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر ط ١٩٧٦ م ج ١ ص ١٠٦

(٨٠) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن أبي سلمى، ص ٧٠، الصفصف: المستوى من الأرض. القرق: الأملس الذي لا شيء فيه. المعتصم: المستر اللانذ. اللثق: المبتل، يمرى: يحضر، الروق: القرن، المرزم: نجم.

(٨١) المرجع نفسه ص ١٣٢ الخرم: غدران قد انخرم بعضها الى بعض فسال هذا في هذا. السحيل: صوت الحمار، الأحساء: جمع حسي وهو موضع يكون فيه الماء، دعاء: شبه صوت الحمار بصوت إنسان يدعو صاحبه ويناديه وهنا يدعو الأثن ويجاوب الحمر.

(٨٢) المرجع نفسه ص ١٨٢، طباها ضحاء: دعاها الرعي، خلاء: خلو المكان، الكناس: حيث تكنس أي تستتر من حر أو برد.

(٨٣) المرجع نفسه ص ٤٧ وغيث من الوسمي: أراد نباتا من غيث الوسمي. الحو: شديدة الخضرة، النجا: جمع نجوة وهي المرتفع من الأرض. ممسود النواشر: شديد، مفر: شديد الفتل، الصفاق: الجلدة السفلى من بطنه، المنقبة: حديدة البيطار

(٨٤) طه حسين، حديث الأربعاء ج ١ ص ١٠٦

(٨٥) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن أبي سلمى ص ٤٩

(٨٦) المرجع نفسه ص ٢١١ جال: دار دورة واحدة، ثم استمر، الألم: ذو الوجع، البرز: البارز المرتفع الأماعر: جمع أمعر وهو ما صلب من الأرض، يلحب: يقطع الأرض بالعدو قطعاً.

(٨٧) المرجع نفسه ص ٢١٣ وينظر: ص ٧٠

(٨٨) إحسان النص، زهير بن أبي سلمى، حياته وشعره ص ١٦٤

(٨٩) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن أبي سلمى ص ٨٦، حلاها: طردها عن الماء، ورد: قوم يرددون الماء، مرقبة: المكان المرتفع، منصب العتر: الحجر الذي يعتر عليه، والعتر: ذبح

(٩٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٦١ وينظر ابن رشيقي القيرواني، العمدة ص ١٣٢

(٩١) انظر: جميل سلطان، زهير شاعر أهل الجاهلية، دار الأنوار - بيروت ط ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ م ص ٧٤

(٩٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٦١

بالجلمين (المقص)
 (١١٧) المرجع نفسه ص ٢٠٠، حرق: جماعات، قلة رأسه:
 أعلاه، صعل: طويل العنق صغير الرأس.
 (١١٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١٣٢ وانظر ابن رشيقي
 القيرواني، العمدة ص ٢٩٧
 (١١٩) عنتر بن شداد، الديوان ص ٢٤٧
 (١٢٠) المرجع نفسه، ص ١٩٧
 (١٢١) المرجع نفسه ص ١٩٧
 (١٢٢) المرجع نفسه ص ٩٦
 (١٢٣) انظر: أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة. دار
 الثقافة. بيروت ١٩٥٥ م ص ٢٠٣، وانظر في هذا الصدد:
 شوقي ضيف، العصر الجاهلي - دار المعارف بمصر ط ٨
 ١٩٦٠ م ص ٢١٩ وعز الدين اسماعيل: الأسس الجمالية في
 النقد العربي ط ١ دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٥٥ ص ٣٦٦
 ومصطفى ناصف، الصورة الأدبية، مكتبة مصر ١٩٥٨ م
 ص ٢٤٠
 (١٢٤) سيد نوفل، شعر الطبيعة في الادب العربي ص ٧٢
 وانظر: يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي ص ٦٢
 وانظر عبد الحميد سند الجندي، زهير بن أبي سلمى
 شاعر السلم في الجاهلية ص ١٠٥
 (١٢٥) شوقي ضيف، العصر الجاهلي ص ٢١٩
 (١٢٦) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي ص ٦٤
 (١٢٧) علي شلق، نقاط التطور في الادب العربي ص ٢٨
 (١٢٨) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي ص ٦٧
 (١٢٩) انظر: ديمين كران، الواقعة، ترجمة عبد
 الواحد لؤلؤة، دار الرشيد - بغداد ١٩٧٧ م ص ٣٠
 (١٣٠) زكريا ابراهيم، مشكلة الفن ص ١٢٤، ١٢٦
 (١٣١) انظر عبد الحميد يونس، الأسس الفنية للنقد
 الادبي ط ٢، دار المعرفة - القاهرة ١٩٧٩ ص ١١٤، وانظر:
 حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الادبي، المطبعة
 النموذجية - القاهرة ١٩٤٩ ص ١٨٧.
 (١٣٢) انظر: ايليا حاوي، النابغة سياسته وفنه
 ونفسيته، دار الثقافة. بيروت ١٩٧٠ م ص ١٣١
 (١٣٣) انظر: بندق كروتشة، الجمل في فلسفة الفن،
 ترجمة سامي الدروبي، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٧ م
 ص ٥٦
 (١٣٤) زكريا ابراهيم، مشكلة الفن ص ٤٤
 (١٣٥) انظر: زكريا ابراهيم، فلسفة الفن في الفكر

(٩٣) طرفة بن العبد، ديوانه ص ٢٢
 (٩٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٩٠
 (٩٥) طرفة بن العبد، ديوانه ص ٩٦
 (٩٦) طه حسين، حديث الاربعاء ج ١ ص ٦٢
 (٩٧) طرفة بن العبد، ديوانه ص ١٣٤
 (٩٨) انظر: محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد،
 حياته وشعره ط ١ عالم الكتب - بيروت ١٩٨٠ م ص ٢٠٠
 (٩٩) طرفة بن العبد، ديوانه ص ٧٤، حممه: فحمة،
 رقصه: زينه وحسنه بالنقط، الرنق: حسن النبات
 وأوله، الرهم: جمع رهمة وهي: مطر ضعيف كالديمة،
 أنف: لم يرع، مرتكمة: مجتمعة ومتراكمة، حم كلكلها:
 أي قصدها ومعتمدها، تثمة: تدقعه وتكسره لشدة
 مطرها.
 (١٠٠) المرجع نفسه ص ٩٠ له زجل: له رعد وصوت
 وأغزر ما يكون المطر مع الرعد، العدمل: القديم
 (١٠١) المرجع نفسه ص ٨ وينظر ص ٥٢
 (١٠٢) المرجع نفسه ص ٥٢
 (١٠٣) المرجع نفسه ص ٥٧ تبدى حبيبا: طرائق من
 ريقها، حرجف: الشمال اذا عصفت، سجا: سكن واستقر،
 البلاط: أرض مستوية، المسطر: السهل الممتد
 (١٠٤) المرجع نفسه ص ٨٢
 (١٠٥) انظر: محمد عبد المنعم خفاجي، الشعر
 الجاهلي، دار الكتاب اللبناني - بيروت ط ٣ ١٩٧٢ م ص ٢٧٧
 (١٠٦) القرشي، جمهرة أشعار العرب ص ٨٩ وانظر:
 ابن رشيقي القيرواني، العمدة ص ١٠٢
 (١٠٧) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١٣٢
 (١٠٨) المرجع نفسه ص ١٣٢
 (١٠٩) عنتر بن شداد، ديوانه ص ٣٣٩
 (١١٠) المرجع نفسه ص ٢٤٨
 (١١١) المرجع نفسه ص ٦٥
 (١١٢) المرجع نفسه ص ١٨٢
 (١١٣) المرجع نفسه ص ٢٤٦
 (١١٤) المرجع نفسه ص ٢٢٤
 (١١٥) المرجع نفسه ص ٢٦٨
 (١١٦) المرجع نفسه ص ٢٦٢ جرى بينهم: أي نعب،
 الأبقع: الذي فيه سواد وبياض، حرق الجناح: يتناثر
 ريشه ويتساقط ووصفه بهذا تطيرابه، كأن لحي رأسه
 جلمان: شبه منقاره إذا فتحه ليصوت بالجلمين وخص
 الجلمين لأنه أراد تفريقه بين الأحباء كما يقطع

- المعاصر، دار مصر للطباعة ١٩٦٦م ص ١٢٩
- (١٣٦) محمد النويهي، الشعر الجاهلي ص ٣٩١
- (١٣٧) مصطفى ناصف، الصورة الادبية ص ٧
- (١٣٨) زكريا ابراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر ص ٥٣
- (١٣٩) انظر: ف. أ. ماثيسن، ت. س. إليوت ترجمة إسماعيل عباس، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٥ ص ٢٢٠
- (١٤٠) انظر رضوان الشهاب، عن الشعر ومسائل الفن، منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٦م ص ١٠٨
- (١٤١) انظر: جان ماري جويتو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة ترجمة سامي الدروبي ط ٢ دمشق ١٩٦٥ ص ٧٩
- (١٤٢) انظر: ابو حيان التوحيدي (علي بن محمد... ٤٠٠هـ) المقابسات ط ١، تحقيق حسن السندوبي ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م المطبعة الرحمانية بمصر ص ١٦٤
- (١٤٣) النابغة، ديوانه ص ١٤
- (١٤٤) وهب روية، الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ٢٢٥
- (١٤٥) النابغة، ديوانه ص ١١٥
- (١٤٦) لبید، ديوانه ص ١٦٢
- (١٤٧) انظر وهب روية، الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ٢٩٣ ويوسف اليوسف / مقالات في الشعر الجاهلي ص ١٦٤ وطه حسين، حديث الاربعاء ج ١ ص ١٩
- (١٤٨) امرؤ القيس، ديوانه ص ١٠٥، ٢٣٩
- (١٤٩) لبید، ديوانه ص ١٥٤
- (١٥٠) المرجع نفسه ص ١٨٢
- (١٥١) الاعلم الشنتمري، شرح ديوان زهير ص ١٣٢
- (١٥٢) الاعشى، ديوانه ص ٥٧
- (١٥٣) انظر: طه حسين، حديث الاربعاء ج ١ ص ٢٤
- وانظر الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ١٢١، ٢٨٢
- (١٥٤) النابغة، ديوانه ص ٦٥ وانظر لبید، ديوانه ص ١٠٥
- (١٥٥) عبید بن الابصر، ديوانه ص ٨٨
- (١٥٦) طرفة بن العبد، ديوانه ص ١٢
- (١٥٧) امرؤ القيس، ديوانه ص ١٤٤
- (١٥٨) عنتر بن شداد، ديوانه ص ٢١٧
- (١٥٩) انظر: الاصفهاني، الاغاني ج ٢١ ص ١٣٦
- (١٦٠) انظر: الاعشى، ديوانه ص ١٠٧ والنابغة، ديوانه ص ٩١ وانظر: قيس بن الخطيم ديوانه، تحقيق ناصر الدين الاسد ط ١ مطبعة المدني - القاهرة ١٩٦٢ ص ٢٥
- (١٦١) لبید، ديوانه ص ٥٥
- (١٦٢) امرؤ القيس، ديوانه ص ١٨ وانظر: النابغة، ديوانه ص ٤٠
- (١٦٣) امرؤ القيس، ديوانه ص ٧٢، ١٤٤
- (١٦٤) انظر عبید بن الابصر، ديوانه ص ٥٢ والاعشى، ديوانه ص ٥٤ والنابغة، ديوانه ص ١٤٩
- (١٦٥) وهب روية، الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ٢٤٢

المراجع

- ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م
- الاعلم الشنتمري، شعر زهير بن ابي سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة - بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
- امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٨٥م.
- أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة - بيروت ١٩٥٥م.
- ايليا حاوي، النابغة، سياسته وفنه ونفسيته، دار الثقافة - بيروت ١٩٧٠م.
- احسان النص، زهير بن ابي سلمى، حياته وشعره، دار الفكر - دمشق ط ٢ ١٩٨٥م
- أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، دار القلم - بيروت ١٣٨١هـ - ١٩٦١م
- الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال - بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م
- الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) ديوانه، تحقيق د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٢

ب. بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، دار مارون عبودت بيروت ١٩٧٩م.
ب. بلاشير (د.ر) تاريخ الادب العربي ترجمة ابراهيم الكيلاني ط ٢، دار الفكر - دمشق ١٩٨٤م.
ب. التوحيد (ابو حيان علي بن محمد) المقابسات ط ١، تحقيق حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية بمصر ١٢٤٧هـ - ١٩٢٩م.
ب. الثعالبي (ابو منصور اسماعيل) فقه اللغة وسر العربية، دار الحكمة - دمشق ١٩٨٤م.
ب. الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر) البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الرشيد - بغداد ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
ب. البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ - بيروت ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
ب. الجمحي (محمد بن سلام) طبقات الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
ب. جميل سلطان، زهير شاعر اهل الجاهلية، دار الانوار - بيروت ط ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.
ب. جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ط ٢، دار العلم للملايين - بيروت ومكتبة النهضة - بغداد ١٩٨٠م.
ب. جويتو (جان ماري) مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ترجمة سامي الدروبي ط ٢ دمشق ١٩٦٥م.
ب. حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الادبي، المطبعة النموذجية، القاهرة ١٩٤٩م.
ب. ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس دار صادر - بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
ب. رضوان الشهاب، عن الشعر ومسائل الفن، منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٦م.
ب. رينيه ويليك واوستن دارين، نظرية الادب ترجمة محيي الدين صبحي ط ٢ المؤسسة العربية - بيروت ١٩٨١م.
ب. زكريا ابراهيم، مشكلة الفن، مكتبة مصر ١٩٧٧م.
ب. فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة ١٩٦٦م.
ب. سيد نوفل، شعر الطبيعة في الادب العربي، دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٧٨م.

ب. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر ط ٨، ١٩٦٠م.
ب. طرفة بن العبد، ديوانه شرح الاعلام الشنتمري، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
ب. طه احمد ابراهيم، تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، دار الحكمة - دمشق ١٩٧٢م.
ب. طه حسين، حديث الاربعة، دار المعارف بمصر ط ١٢ ١٩٧٦م.
ب. عبد الحميد سند الجندي، زهير بن أبي سلمى، شاعر السلم في الجاهلية، وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة (بدون تاريخ).
ب. عبد الحميد يونس، الأسس الفنية للنقد الادبي، المطبعة النموذجية - القاهرة ١٩٤٩م.
ب. عبد الرزاق الخشروم، الغربية في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٢م.
ب. عبيد بن الابرص، ديوانه، دار صادر - بيروت (بدون تاريخ).
ب. عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي ط ١ دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٥٥م.
ب. علي ادهم، على هامش الادب والنقد، دار الفكر العربي - القاهرة (بدون تاريخ).
ب. علي شلق، نقاط التطور في الادب العربي، دار القلم - بيروت ط ١٩٧٥م.
ب. عنتر بن شداد، ديوانه تحقيق محمد سعيد مولوى، المكتب الاسلامي - القاهرة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
ب. ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم) الشعر والشعراء، طبعة لندن ١٩٠٢م.
ب. القرشي (ابو زيد محمد بن الخطاب) جمهرة أشعار العرب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر ١٩٧٧م.
ب. قصي الحسين، العمارة الفنية في شعر امرئ القيس، المكتبة الحديثة - طرابلس لبنان (بدون تاريخ).
ب. القيرواني (ابو الحسن بن رشيق) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣م.
ب. قيس بن الخطيم ديوانه، تحقيق ناصر الدين الاسد

- ط. مطبعة المدني- القاهرة ١٩٦٢م.
كرانت (ديمين) الواقعية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة،
دار الرشيد- بغداد ١٩٧٧م.
كروتشه (بنوتو) المجلد في فلسفة الفن، ترجمة
سامي الدروبي، دار الفكر العربي- القاهرة ١٩٤٧م.
ليبيد بن ربيعة العامري، ديوانه، دار صادر- بيروت
١٣٨٦هـ- ١٩٨٦م.
ماثيسون (ف. أ. ت. س. الیوت) ترجمة احسان
عباس، مؤسسة فرانكلين- بيروت ١٩٦٥م.
محمد عبد المنعم خفاجي، الشعر الجاهلي، دار
الكتاب اللبناني- بيروت ط ١٩٧٢م.
محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد، حياته وشعره
ط. عالم الكتب- بيروت ١٩٨٠م.
محمد النويهي، الشعر الجاهلي، الدار القومية
للطباعة والنشر- القاهرة ١٩٦٠م.
- المرزوقي (ابو علي احمد بن محمد بن الحسن) شرح
ديوان الحماسة ط ٢ تحقيق احمد امين وعبد السلام
محمد هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-
القاهرة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م.
مصطفى ناصف، الصورة الادبية، مكتبة مصر
١٩٥٨م.
نجيب محمد البهبهتي، تاريخ الشعر العربي، دار
الفكر- القاهرة ١٩٧٠م.
وهب روية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة
الرسالة- بيروت ط ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه،
مؤسسة الرسالة- بيروت ط ١٩٨٢م.
يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار
الحقائق- بيروت ط ١٩٨٠م.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

مفهوم الشعر عند ابن خفاجة

يحيىوي رشيد
باحث وناقد - المغرب

٢. وقال لاول شبيبة طلعت في عذاره فافصحت بوعظه وانذاره.
 ٣. وقال نظما ونثرا يداعب غلاما قد بقل عذاره.
 ٤. وقال في الحماسة.
 ٥. ومما يشتمل على أوصاف.
 ٦. وقال في صفة نار وما تعلق بها.
 ٧. وقال في التشويق الى الأندلس وهو بالعدوة.
 ٨. وقال يمدح.
 ٩. وقال في لزوم ما لا يلزم.
- والإشكال الذي يطرحه هذا السؤال هو عما اذا كان يجب ان نأخذ هذه التمهيدات والتعليقات على أنها من وضع المؤلف. ومن شأن ذلك أن يثري تصويره النقدي عند تحليلنا، أم نعتبرها من زيادة الناسخين؟
- فلا شك ان لهذه التمهيدات والتعليقات أهمية خاصة اذ بإمكانها أن تجلي جوانب نظرية لا لتزامها بالامثلة التطبيقية. فاذا عاودنا تأمل الامثلة المذكورة. فسنلاحظ كشفها عن مبادئ شكلية كالمحاكاة في المثال الاول والايقاع في المثال التاسع والوصف في المثالين الخامس والسادس. وعن مبادئ موضوعية كالمثالين الثاني والسابع وعن مبادئ غرضية كالمثالين الرابع والخامس وعن مبادئ راجعة للشكل النوعي للشعر كالمثال الثالث.
- وطالما بقينا غير متأكدين من نسبة تلك التعليقات للمؤلف، فانها تبقى مستبعدة. وقد حاول الدكتور السيد مصطفى غازي في تحقيقه لديوان ابن خفاجة تحليل هذه الظاهرة منتهايا الى

لم يكن ابن خفاجة (ت ٥٢٣هـ) شاعرا فقط بل كان ناقدا أيضا وان لم يخلف كتباً في النقد. ولكن مقدمته لديوانه رغم قصرها وايجازها تفصح عن كونه شاعرا على دراية ووعي بالآليات العملية الابداعية في الشعر، وعن انه كان ايضا على اطلاع على الحركات والاتجاهات النقدية التي عرفها الفكر العربي قديما.

ان فكرة التقديم للديوان تحمل في حد ذاتها طرافة وأهمية. ولا نراها مختلفة في كثير من مقدمات الدواوين الحديثة ان لم تكن متقدمة على كثير منها.

فاذا كانت فائدة المقدمات اضاءة افضل سبل القراءة للمتلقي، فان مقدمة ابن خفاجة تمكنت من ذلك. لان ابن خفاجة لا يكتفي فيها بتوضيح مفهومه للشعر والنقد، بل يقرب القارئ من تجربته الشعرية بايقافه على أهم المحطات الكبرى فيها.

في تحقيق التعليقات

لكن ديوان ابن خفاجة في شكله الذي انتهى اليه، يثير سؤالاً تطرحه علاقته بالمقدمة. والسؤال هو عن رواية اشعار الديوان. فهذه الاشعار مسبوقة دائما بجمل نثرية توضيحية. ولكنها مروية بضمير الغائب. أي أنها ليست على لسان المتكلم الذي من المفروض أن يكون هو صاحب الديوان. فنحن نطالع امثلة كالتالية:

١. وقال يتغزل في طريقة عبد الحسن الصوري وقد تقدم بعضها.

اعتدنا أن، نقرأ عند النقاد والمترجمين القدماء ذكرهم لوقائع عاشها الشعراء وربطهم إياها بشعرهم من غير أن تجمع صلة زمنية أو مكانية بين المترجم والمترجم له. ثم اننا لا نشك في أن تلاميذ ابن خفاجة وأصدقائه ورواته كانوا على علم بالكثير من تفاصيل حياته لا سيما أن بعض القصائد موجهة لشخصيات معروفة في ذلك الوقت. وقصائد أخرى تفصح عن نفسها من خلال الغرض الذي تعالجه.

أما مقدمة المقطعة ١١٧ المشار إليها في تعليق السيد المحقق، فموطن الشاهد فيها ليس التعليق كله ولكن جملة الاسـتغفار الواردة معترضة. ولا نستبعد أن يكون أحد النساخ الاوائل تخرج من رواية المقطعة فأثبتها على مضض مستغفرا فتكون الجملة من وضعه. حيث أن ابن خفاجة لم يكن يستنكف أو يتحرج من اثبات هذا النوع من الشعر. وقد تشبث بهذا الموقف في مقدمة الديوان واتهم منتقديه بانهم "لا يعلمون".

لعل هذه المقدمات اذن من وضع غير ابن خفاجة. فلم يكن هناك شيء يدفعه لروايتها بضمير الغائب تخففا من ضمير المتكلم اذان مقدمة ديوانه ومجمل شعره ورسائله مسودة من طرف ضمير المتكلم اذن ان مقدمة ديوانه ويحمل اشعاره ورسائله مسودة من طرف ضمير المتكلم فلم لم يفكر ابن خفاجة في التخفيف فيها من هذا الضمير؟ ولا نرى أن الرواة غيروا من ذلك، والا كانوا غيروا صيغة المقدمة التي وضعها المؤلف. ثم ان عندنا هنا دليلا على عدم نسبة تلك التعليقات لابن خفاجة. فهنا مقدمة نصها: "قال الوزير الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة. أعزه الله. يصدر بهذه الخطبة جملة من شعره وبعض ما اقترن من

نسبتها للشاعر. يقول: "قد يبدو غريبا أن تنسب هذه المقدمات والتعليقات لابن خفاجة لانها وردت في نسخ الديوان بصفة الغائب. ولكن النظرة الفاحصة تدل دلالة قاطعة على أنها من انشائه. فهي أولا تحمل طابع أسلوبه النثري الذي يطالعنا به في رسائله وخطبة ديوانه. ثم هي تضم من الحقائق الذاتية والوقائع الخاصة والتواريخ المحددة ما لا يمكن أن يحيط به غيره. وحسبنا مقدمة المقطعة ١١٧ ونصها في نسخ الديوان كما يلي: "ومما يتعلق بصفة سويداء وأنا استغفر الله منه وان لم يكن الا قولا". فمن الحال بداهة أن ترد المقدمة على هذا النحو وبصورة واحدة في جميع نسخ الديوان، ثم تكون لغير ابن خفاجة. ولعل ابن خفاجة استخدم صيغة الغائب في تقديم القطع والتعليق عليها تخففا من ثقل الحديث بصيغة المتكلم. أو لعله استخدم صيغة المتكلم اصلا ثم غيرها الرواة الى صيغة الغائب^(١)

غير ان تعليقات المحقق. رغم وجاهتها. غير دقيقة. فالمقارنة بين التعليقات واسلوب ابن خفاجة لا تؤكد نسبتها اليه. لان التعليقات قصيرة في مجملها لا تتجاوز عدة جمل وأحيانا جملة واحدة. وهي متفرقة متناثرة غير مكونة لنص يسمح بالمقارنة. كما انها توضيحية تقريرية وليست ابداعا لتقارن بابداع. فاذا كانت سمة الفرق واضحة بين نثر ابن خفاجة وشعره في النص الواحد. فكيف تكون غير واضحة بين النص وما ليست منه.

ان من الخصائص التوضيحية لهذه المقدمات، ربطها بين بعض النصوص وبعض الاحداث الشخصية للشاعر. على أن هذا ليس مسوغا. فقد

نثره".

فهذه المقدمة تسبق مقدمة ابن خفاجة. والذي نميل اليه من اثباتها أنها تابعة لباقي المقدمات والتعليقات المبثوثة في الديوان. وأن واضعها جميعا واحدا. قام بذلك توضيحا وتفسيرا وجمعا لشمس الديوان. وقد يكون احد تلامذة ابن خفاجة أو نساخه.

فعمل ابن خفاجة اذن على جمع نصوصه القديمة وتنقيحها والتقديم لها. اما التعليقات والاضافات التوضيحية فهي من طرف غيره. بواعث الشعر

تحدد بواعث الشعر كما يفصح عن ذلك ابن خفاجة في خمسة: اولها باعث الاستعداد التلقائي. وهو الذي يستشعر فيه الانسان ميلا الى فن أو شكل من اشكال الفنون.

وقد برز هذا الاستعداد عند ابن خفاجة منذ فترة مبكرة من حياته. حيث وجد في نفسه ميلا طاغيا لقراءة الادب. حتى اصبح بالنسبة له "مرتعا" يرتاده و"مشرعا" ومنبعا يرتوي منه باستمرار.

وكان ان تولد عن هذا الاستعداد باعث ثان هو محاكاة الآخرين. وهو باعث طبيعي التولد عن الاستعداد. حيث ان الانسان يبدأ في الغالب بتقليد الآخرين واستيحائهم في اعماله حتى ان أرسطو جعل المحاكاة غريزة في الانسان موضحا أنه ليس كل محاك ناجحا. فلا ينجح في الابداع الا من توفر فيه الاستعداد أو جبل عليه. وهؤلاء هم الشعراء المتفوقون في نظره. يقول ابن خفاجة: "أما بعد، فاني كنت والشباب يرف غضارة، ويخف بي غزارة، فاقوم طورا واقعد تارة. قد جنحت الى الادب أرتاده مرتعا، وأرده

مشرعا. فما تصفحت مثل شعر الرضي ومهيار الديلمي وعبد المحسن الصوري. وما حذا حذوه واخذ مأخذه. حتى تملكني من تلك المحاسن الرائعة الرائقة، والالفاظ الشفافة الشائقة، ما يناسب برد الشباب رقة وبرد الشراب ريقة، فما كان الا أن ملت اليه، واقبلت عليه، أروقة وأرويه، وأحاول التشبه بواحد واحد فيه"^(١).

ولكن المحاكاة في حد ذاتها لا تخلق من الشاعر شاعرا ابداعيا. ولذلك كان لابد لابن خفاجة أن يتجه نحو بناء أسلوب بيته الخاصة به. حيث أكد ذلك بتوسعه في مذهب الشعر وتطوير أدواته وامكانياته الفنية. ولم تعد المحاكاة هي الباعث للقول، بل أصبح هناك باعث ثالث تعبيري. يكون الشعر فيه استجابة لرغبة في الكتابة متولدة عن مواقف معينة قد يعيشها الشاعر أو يخلقها للتعبير. ومن تلك المواقف ما يكون ذاتيا حيث يعكس الشعر بعض المواقف العاطفية على حد ما نفهم من قول ابن خفاجة: "استخدمته شئوني، وجشمته في بعض الامكنة شجوني".

فابن خفاجة يؤكد لنا اذن هذه الاهمية التعبيرية التي قد تكون للشعر حين لا يوظف لخدمة الآخرين ولا ينفصل عن الشاعر المبدع نفسه. اي أن الشاعر في هذه المواقف لا يكون "غيريا" على حد تعبيري من وصفوا شعرنا القديم بالغيرية. ونحن نعد هذا المبدأ بالغ الاهمية. ولكنه لم يطور ويستثمر في نقدنا القديم بالشكل الذي حدث فيما بعد في أوروبا. وقد كان لسيادة النظرة الكلاسيكية على النقد العربي نتيجة بقاء البعد التعبيري مهمشا وان لم يعدم. ولم يتفتق هذا الفهم ويبـلور الابعاء الرومنسية، حيث كسرت المبادئ الكلاسيكية

لذلك القول. وهو الباعث الخامس الذي يذكره شاعرنا الناقد.

يعود هذا الباعث. بدءاً. الى قناعة ابن خفاجة في أهمية الشعر وكونه "من خلال الجلة. وحلية النبلاء الجلة". فالقناعة بأهمية الشعر تنعكس دون شك حتى على طريقة القول نفسها. اذ الذي يقتنع أن الشعر مهم وله وظيفة غير الذي يراه تسلية وتفكها، أو الذي يرى أن لا جدوى من ورائه. وأهمية الشعر عند ابن خفاجة راجعة لعاملين، الاول تعبيره عن دواخل النفس، والثاني الاحتفاء به عند المستقبلين: "فالفيتة خفيفا، على الفضلاء لطيفاً، عند النبلاء رفيعاً"^(١).

فابن خفاجة كان اذن من أنصار الشعر الذين ظلوا يواجهون هجوماً مزدوجاً: هجوم النقاد عليهم من جهة لدرجة جعلت ابن خفاجة يصف طائفة من منتقديه بان دوافعها شخصية غير علمية، وهجوم أنصار الانواع والانماط النثرية الذين احتفظوا للشعر بقيمة أدنى من التي خصوا بها الرسالة الأدبية بحكم خدمتها الادارية للسلطان.

فايمان ابن خفاجة بهذه الاهمية التي للشعر عند الوسط الذي كان يعيش فيه مثلت بالنسبة له دافعا تشجيعياً للكتابة والمواجهة النظرية التي وضع من خلالها مفهومه للشعر.

لا يخرج تعريف ابن خفاجة للشعر عما تقرر منذ بدايات النقد العربي المنظم عند ابن طباطبا وقدامة بن جعفر. فهو يعرف الشعر كآلاتي: "والشعر يأتلف من معنى ولفظ وعروض وحرف روي"^(٢). فهذا التعريف يحيل مباشرة على تعريف قدامة للشعر بكونه قولاً موزوناً مقفى يدل على

القائمة على المحاكاة الخارجية وعوضت بمبدأ المحاكاة التعبيرية التي ينكفى فيها المبدع على استبطان الاحاسيس والعواطف ساعياً لايجاد معادلات فنية لها في الابداع.

ولكن ابن خفاجة يخبرنا بأن هذا الباعث التعبيري انتهى بانقضاء فترة الشباب، وأنه انقطع عن الشعر لفترة ليست قصيرة حتى كاد ينساه الا في مواقف قليلة مثل "خطرة ببال أو زورة لأم أو كره حال، أو بعثة سلام".

ففي فترة كهولته تولد باعث خارجي مصدره تولية أحد أبناء يوسف بن تاشفين الامير أبي اسحاق ابراهيم، على احدى امارات الاندلس. وكان على الشاعر أن يستجيب لهذا الدافع الخارجي بتحرير كتابات شعرية في تهنئته وتعظيمه واطهار الطاعة له.

على أن هذه العلاقة فيما نفهم من ابن خفاجة أصبحت بمثابة دافع يزود فيه الداخلي والخارجي. اذ أن الامير الجديد ما لبث أن شمله ببالح احسانه ورعاه ورفعته بالتكريم والتشريف، حيث أصبح الشاعر أمام باعث الكتابة لرد الشكر والجميل، وأمام دافع الذات للتعبير عن السرور والابتهاج بحفاوة الامير دون استمناع واستعطاء وطمع في المكافأة لقناعته بها رزقه الله. يقول ابن خفاجة: "فعطفت هناك على نظم القوافي عناني، وسننتها عند ذلك على معاطف سلطاني، مصطنعا، لا منتجعا ومستميلا لا مستنيلا. اكتفاء بما في يدي من عطايا منان، وعوارف جواد وهاب. خلق فأبدع ورزق فتبرع"^(٣).

ان هذه البواعث لا يمكن لها وان دفعت الى القول، أن تدفع لرواجه وشهرته ما لم يتحقق باعث خارجي متمثل في الاستقبال والتداول المخصص

قصائد تعليمية أو منظومات لتدوين بعض العلوم حيث تهبط القيمة الشعرية متحولة الى مجرد رص للكلمات قصص تأدية وتوصيل أفكار جد محققة.

فالعنى عند قدامة يتسع ليشمل كل الاغراض الشعرية بما فيها التشبيه الذي يعتبر من مكونات الصورة الادبية. وكذلك النسب الذي يعتبر من الاغراض التعبيرية المفصحة عن مواقف عاطفية. أي أن المعنى ليس ضيقا بالشكل الذي يتصور معه تحول الشعر الى مجرد نظم. وقد أدخل قدامة كما هو معروف ستة أغراض شعرية ضمن المعنى واعتبر ان الستة المذكورة عنده بعضها مما اشتهر وعرف وليست ممثلة لكل ما يمكن أن يكون مجالا للشعر.

ولكي نؤكد هذا الفهم الجعفري للمعنى نستعين بنص لاسامة بن منقذ وهو ممن أخذوا تعريف قدامة بالحرف. يقول ابن منقذ في تحديد ما يقصد اليه الشعر ضمن دلالة اصطلاح معنى: "والمعاني التي يقصدها الشعراء وهي المدح والنسب والمراثى والوصاف"^(١).

فيتأكد بهذا دخول الوصاف في المعنى كما يتأكد أيضا أن ترديد التعريف الجعفري عند النقّاد اللاحقين ليس من باب التكرار والاجترار وانما هو من باب تأكيد تعريف أقرب الى وفي الخصائص المهيمنة في نوع القصيد.

ان احتفاظ ابن خفاجة بالتعريف المذكور يمكن أن يفهم اذن على أنه اقرار بكون الخصائص المذكورة في التعريف هي الاساس في القصيد. وهذا الفهم انعكس على الممارسة الابداعية لابن خفاجة التي جاءت تطبيقا نسبيا له.

يضيف ابن خفاجة في ثنايا مقدمته بعض

معنى. وهو نفس التعريف الذي نجده عند ابن سنان وابن منقذ وغيرهما من النقّاد.

قد تطرح الاحالة على القدماء قضيتين، أولاهما النقص الذي يوصف به تعريف قدامة من حيث اغفاله بعض الجوانب الاخرى في العملية الشعرية وثانيتهما الاستعادة والتكرار اللتان توصف بهما الاقوال التي وردت بعد قدامة متبنية نفس التعريف. وتعريف ابن خفاجة من هذه الجهة غير خارج عن تعريف قدامة. فهو وان ذكر العروض والروي بدل الوزن والقافية، فلا خلاف الاصطلاح فقط، حيث ان الاصطلاحات الاربعة تحيل على نفس الخاصيتين الاسلوبيتين للنمط الشعري في النوع المقصد منه.

ولا بد أن نذكر أن القضيتين المذكورتين - وقد طال ترديدهما عند النقّاد الحديثين - مختلفتان أصلا وواهيتان. والسبب في اثارتهما عدم فهم قصد قدامة بالوزن والقافية والمعنى. فقد أخذ عليه أن الشعر لا يكون شعرا بالوزن والقافية والمعنى فقط. وان من القصائد ما تضمن ذلك من دون ان يدخل دائرة الشعر. وان الشعر حسب المفهوم "الجعفري" يغفل جوانب الصورة والعاطفة.

ولكي نرد على هذه المآخذ نقول بأن قدامة انما كان ينطلق من نوع شعري محدد هو القصيد. ولما كان القصيد متميزا بهيمنة الوزن والقافية فيه، كان اغفال ذكرهما بمثابة اسقاط لعنصرين مهمين رئيسيين. ولو تعلق الامر بنوع شعري آخر تنزل فيه قيمة الوزن والقافية، كان المآخذ مقبولا. فلما تعلق بنوع القصيد كان ذكره واردا بل ضروريا لتحديد سمة بانية وأساسية في ذلك النوع من الشعر.

أما اصطلاح معنى. فهو أوسع من أن يحصر في



وابن خفاجة يؤكد ذلك حين يصف اللفظ والقافية بأنهما "مادة" للشعر، في قوله ان ذهن الشاعر في آخر أيام عمره يتعب، و "المواد من ألفاظ وقواف تقل" وكونه يخص اصطلاح لفظ وقافية دون غيرهما. لا يدل على أن باقي العناصر غير ذات أهمية. فقد أقرها لها بادراجها في تعريف الشعر. فاللفظ والقافية في قولته الأخيرة يتسع مدلولهما على حد ما اتسع عند النقاد القدماء، ليشمل العملية الإبداعية بكاملها. لان القافية قد تعني القصيدة. أما اللفظ فله ايقاعه ومعناه.

ثم نود أن نضيف الى مفهومه لهذه الأسلوبية في النوع المقصد، أن الأسلوب عنده لا توصف به الطريقة التي يسلكها شاعر ما فقط، بل حتى كل مسلك يتبع في القصيدة الواحدة دون غيرها. يطبق ابن خفاجة هذا الفهم على مسلكه الإبداعي الشخصي. فهو يقول عن شعره بعد أن عاود النظر فيه ونقحه، بأنه "لا يوجد واحدا لا من طريق صيغته ولا من جهة عدده". فالشعر لا يمكن أن يكون "واحدا" لان مسلكه الصيغي يختلف من قصيدة لاخرى. واذعرنا أن هذا الاختلاف يكون واضحا بين نفس القصيدة قبل تنقيحها وبعده، أدركنا الى حد يصل الاختلاف الأسلوبى المبني على تمايز "الصيغة".

ويرتبط مفهوم الشعر عند ابن خفاجة بقضايا أخرى منها نسبية الإبداع في الشعر. فليس هناك ما يجعل الإبداع كاملا وفي أقصى درجاته. اذ أن كل شعر - في نظره - ليس يخلو من عيوب تجر لنقده. وحدد ابن خفاجة بواعث النقد في بواعث مبسنية على تفحص علمي وأخرى تحركها دوافع شخصية قصدتها التحامل والتجريح. والشعر ان لم

الخصائص النوعية المكملة والمفسرة للتعريف الجعفري. وفي مقدمتها قوله ان "الشعر مأخذ وطريقة". فالأخذ والطريقة هما عنده أيضا الأسلوب والمسلك. ففي عباراته وصف لبعض الشعراء بتفرد شخصي في الكتابة. فهناك: "طريقة عبد المحسن الصوري" و "مسلك الموسوي الرضى" و "طريقة مهيار" و "أساليب أبي الطيب التي منها" لف الغزل بالحماسة". كل هذه اذن اصطلاحات لمفهوم واحد هو فرادة الشاعر وتميزه الأسلوبى عن غيره من الشعراء المبدعين في نفس النوع.

هذه الفرادة بارزة أسلوبيا عند ابن خفاجة لكونها تصب في هدف واحد، هو تأثيرها البالغ في المتلقي. لدرجة جعلت ابن خفاجة يعجب بها منذ شبابه ويحاكيها. يقول عن تأثير ذلك الشعر في المتلقي رغم اختلاف "المأخذ والطريقة": "ولكل واحد مأخذ طريف، يأخذ بمجامع النفوس ويطرز حواشي الطروس، ويبسط بين الندامى والكؤوس. ويلعب بالأحلام ويرقص بالروؤس"^(٧). يفهمنا ابن خفاجة اذن أن الشعر لا يكفي فيه أن يكون موزونا مقفى دالا على معنى، بل يجب أن ينفذ تأثيره الى المتلقي، فبذلك يكتسب شرعية الشعر. ثم أنه أيضا لا يكفي فيه أن يحدث هذه النتيجة ليكون حسنا. فلا بد من أن يكون متميزا أسلوبيا حتى لا يصبح نمطا واحدا. أي أن الشاعر يجب أن تكون له فرادته ومنحاه الخاص في التعامل مع اللغة المحددة جوانبها في التعريف المذكور.

ان عناصر التعريف لا تعدو أن تكون المادة الخام التي يجب التصرف فيها تصرفا جذا متميزا ليكتسب الشاعر الفرادة ولفت الأنظار والاسماع.

يتعرض لأحدهما دون الآخر تعرض لهما معا مهما كانت قيمته سابقة في الزمن أو حديثه، مبنية على البديهة أو المراجعة والتنقيح: "وان جميع الكلام، من مرتجل بديهي، ومنقح حولي، متقدما كان سابقا، أو تاليا لاحقا، مستهدف لطعن طاعن"^(٨).

ويندرج ضمن قوله هذا ايمانه بتوزيع الشعر الى بديهي مرتجل ومنقح. لكننا نلاحظ أنه لم يستعمل اصطلاح "مصنوع" في مقابل "بديهي" و "مطبوع" كما ورد عند نقاد آخرين. ونظن ان هذا الامر يعود للممارسة الشعرية من جهة، حيث قام في ختامها باعادة كتابة اغلب اشعاره، ومن جهة اخرى لكون اصطلاح "مصنوع" يشير الى الشعر الذي قد يظهر فيه التكلف وربما عدم الصدق الفني. في حين أن الشعر المنقح قد أصله بديهيًا مرتجلاً.

ان موقف المراجعة والتنقيح طرح عند ابن خفاجة قضية أخلاقية الشعر. حيث نجده يتشبث. رغم تقدمه في السن. باشعاره الاولى التي قالها أيام شبابه رغم ما يمكن أن توصف به من تهتك وخلاعة، من غير أن يحفل بما سماه "نقد أقوام في مساليل أنعام، يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا".

هذا الموقف دفعه لطرح قضية الاخلاقية فنيا ضمن خصوصية النمط الشعري من جهة، وقضية الصدق والكذب في الادب من جهة أخرى. فهو ينبه الذين "لا يعلمون" أن النمط الشعري متميز عن غيره من أنماط الخطاب بكونه المعبر المباشر عن تجارب الشاعر حتى الأكثر خصوصية منها. فهو النمط الوحيد الذي يستجاز "أن يقول القائل فيه" "أني فعلت" و "أني

صنعت" من غير أن يكون وراء ذلك حقيقة"^(٩). يجوز في الشعر اذن أن يتكلم الشاعر عن نفسه ذاكرًا كل ما يريد قوله من الافعال التي يمارسها. ولا يطلب منه أن يكون وراء ما يقول حقيقة. وبتعبير ابن خفاجة: "ليس القصد فيه الصدق، ولا يعاب فيه الكذب".

وهذه القضية أثرت قبل ابن خفاجة. حيث ذهب قدامة الى أن الشاعر لا يجب أن يوصف بأنه صادق أو كاذب. وانما يطلب منه أن يكون مجيدا فيما يقوله من المعاني. في حين ذهب ابو هلال العسكري الى ان الشعر "أكثره بني على الكذب".

واذا كان قدامة جعل الاجادة هي البديل عن قضية الصدق والكذب، فابن خفاجة جعل "التخييل" هو البديل عنها. لان الشعر عنده "القصد فيه التخييل" لا الصدق أو الكذب، مادام الكذب فيه غير معيب والصدق فيه غير مقصود.

وقد ذهب الدكتور احسان عباس الى ان التخييل عند ابن خفاجة "يساوي الكذب". لكن الدكتور احسان عباس فيما نرى وقع تحت تأثير تعريف عبد القاهر الجرجاني للتخييل الوارد عنده في "أسرار البلاغة" وفيه يقول: "الذي أريده بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر امرًا هو غير ثابت أصلا، ويدعي دعوى لا طريق الى تحصيلها. ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريهما ما لا ترى"^(١٠).

فاذا رجعنا لابن خفاجة، فسنجد أنه يتكلم على ثلاثة مفاهيم: التخييل والصدق والكذب مخرجا مفهومي الصدق والكذب من المقصدية الابداعية جاعلا التخييل محركا وهدفا لها. فالتخييل اذن غير الصدق والكذب. وقد ورد عند النقاد بمفاهيم مختلفة. فهو اذا دل عند عبد القاهر على الكذب،

وينتقل مطالعة عن قسم من الكلام الى قسم، ولعل ذلك ابسط للنفس وأنشط، وأذهب مع الانس وأهذب^(١).

فابن خفاجة بهذا المذهب يخرج عما تقرر في النوع المقصد في الجاهلية والعصور الاسلامية الاولى الى هذا النوع من الكتابة الذي يتناوب فيه الشعر والنثر. وهو نوع نشأ ونما في الادب العربي عند عدد من الكتاب والشعراء على السواء.

وكان ابن خفاجة يرفق بعض رسائله بقصائد ويضمن رسائله مقطعات شعرية.

ومبدأ التداخل النوعي يكسر في فهم ابن خفاجة، مبدأ وحدة الشكل. كما يكسر عند المتلقي رتبة الاستقبال. حيث يولد التناوب بين الشعري والنثري لذة التنقل بين صيغ مختلفة الانماط. وهكذا يكتسب مفهوم الشعري في التصور النقدي لابن خفاجة، جوانب جد مركبة ومعقدة. منها ما يعود لتجربة الشعر عند المبدع في علاقته بالقول الابداعي، ومنها ما يعود لنمط القول الابداعي في مبناه وصيغه، ومنها ما يعود للمتلقى وتفاعله مع تلك التجربة.

دل عند ابن الزملاكي على الصدق حين يجعله "تصوير حقيقة الشيء" حتى كأنها ظاهرة للعيان. أي أنه مرادف للمحاكاة التطبيقية. وهو عند نقاد آخرين كيجي بن حمزة العلوي وفخر الدين الرازي وشهاب الدين الحلبي والنويري مقترن بالتورية التي هي قصد المعنى غير الظاهر من اللفظ حين يكون له معنيان.

لا نستطيع أن ننسب لاصطلاح "تخييل" عند ابن خفاجة مفهوما محددا لانه لم يفصح عن ذلك. ولكننا قد نقربه من مفهوم الفلاسفة المسلمين للتخييل باعتباره واسطة بين الصورة (المحاكاة) والمتلقي.

هناك قضية أخيرة نضيفها لحديثنا عن مفهوم ابن خفاجة للشعر. ترجع الى كسره مبدأ النقاء في النوع الادبي. يقول ابن خفاجة عن تجربته في هذا الموضوع: "ان من قولنا ما كنا قد افتتحناه بمنثور، ورشحناه بفقر مزدوجة وشذور، وها نحن قد أوردناه كما كنا سردها، ونقلناه بحسب ما قلناه، تعلقا بحر من النثر يساق خلال النظم،

الهوامش

- احمد احمد بدوي ود. حامد عبد المجيد. شركة
(٩، ٨، ٧). مقدمة ابن خفاجة لديوانه ص: (١١، ١١، ١٨).
(١٠) اسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق
ريتار دار المسيرة بيروت ط ٢/١٩٨٢.
(١١) مقدمة ابن خفاجة لديوانه ص ١٠.

١. من مقدمة المحقق الدكتور السيد مصطفى غازي
لديوان ابن خفاجة. منشأة المعارف. الاسكندرية
١٩٦٠.
(٢، ٣، ٤، ٥). مقدمة ابن خفاجة لديوانه ص: (٦، ٨، ٦)،
(٩).
(٦) البدع في نقد الشعر: اسامة بن منقذ تحقيق د.

مصطفى جواد خويّاً

١٩٠٤م - ١٩٦٩م

أ. د. محمد البكاء

مصطفى جواد علمٌ من أعلام لغتنا الكريمة، أحاط بمملكته الواسعة المترامية الأطراف، لأنها عنده: لغة جسيمة، عظيمة، قويمة لأمة كريمة^(١). لغة قديمة النسب، جليلة الحسب ثرية الكلم، وافرة القواعد، دائمة الزيادة، مطردة الاشتقاق، موسيقية اللفظ، شعرية الحروف، غزيرة الأدب، كثيرة المادة^(٢). فعني بها طالباً ينشد عرفانها، بعد أن ملكت عليه حسه، حتى ذاع اسمه وانتشر في المجامع العلمية واللغوية العربية، والمحافل الأدبية والفكرية لا لغوياً فحسب بل مؤرخاً ثباتاً، ومحققاً لا يرقى الشك إليه، فمنذ عشرينيات القرن الماضي بدأ رحلته العلمية باحثاً، ومقرباً، ومحققاً ومنقبساً ثم أخذ ينتج معنياً بموضوعات عديدة، أخصها اللغة، وأعمها التاريخ، تأليفاً في حين، وتحقيقاً ونشراً في حين آخر، وزائراً يسامر العراقيين في بيوتهم من خلال وسائل الإعلام، بصوت جهوري حاد النبرة، مناسب مع كل ما في اللفظة من رقة وفخامة، يقوم ما اعوج، ويصوّب ما زلّ به اللسان لتظل العربية: ((رائقة المشارب، نقية من الشوائب، سليمة من عبث المتهاونين، بريئة من غلط المترجمين، ناجية من عبث المستهزئين))^(٣).

والمعربة^(٤).

فكانت حصيلة هذه الدراسة (معجمه المستدرِك) الذي أودعه التعابير الفصيحة، والمولدة التي لم تذكرها كتب اللغة، كذلك الكلمات التي فانت المعجمات المعروفة، وكثرة كثرة من شواهد اللغة النثرية، والشعرية للابانة عن أطوار استعمال الكلمة على اختلاف العصور. فهو الفذ في أمته، والنادرة في محيط لغتها.
* حياته: تربيته ونشأته:

ولد مصطفى جواد ببغداد، وكما قال: ومسقط رأسي في محلة ((عقد القشل)) بالجانب الشرقي من بغداد، وهي المحلة المأمونية أيام بني العباس،

عُرف مصطفى جواد على صعيد الخاصة والعامة موسوعة معارف، تسعفه ذاكرته الحادة الممتدة في كل ضرب من ضروب المعرفة، واشتهر بعنايته الفائقة بدقائق الأمور التاريخية، والنسيات من الأحداث يصحح ما تعارف عليه الناس من خطأ، بمنهج علمي موضوعي، الدقة والرصانة ميزته، والسمو فوق العواطف والأهواء غايته، كما عاش مع المعجمات زمناً غير قصير، درس قديمها وحديثها، وعلق عليهما، وعرفهما معرفة حققة، وشخص مواطن الضعف فيهما في: ((قلة التبويب، والتنسيق، والتقصير في تناول الألفاظ المولدة

١٩١٨م، وليتركها فيما بعد الى مدرسة باب الشيخ الابتدائية الرسمية، ثم رحل من بغداد الى دلتاوة مرة أخرى، ويكمل دراسته الابتدائية في مدرستها ١٩٢٠م^(١٥).

لم يستفد من المدرسة الابتدائية فائدة كبيرة لأن أعلى صف فيها هو الصف (الرابع) الابتدائي، فعول على الاجتهاد الذاتي، واستفاد من رعاية اخيه الذي برع في العلوم العربية^(١٦).

وحين تسرب الملل الى نفسه من كثرة العمل في البساتين، وقلة الفائدة، شجعه أحد أساتذته من الذين أعجبوا به في المدرسة الجعفرية، وحسن له دخول (دار المعلمين الابتدائية)، ولكنه تهيب الأمر في بدايته، وأبدى تخوفاً وتلكؤاً، وما زال به استاذته حتى أقنعه، فجرى قبوله بامتحان ظهر تفوقه فيه،

وصار في عداد طلاب الصف الأول سنة ١٩٢١م^(١٧). وفي دار المعلمين الابتدائية التي أمضى فيها ثلاث سنوات (١٩٢١-١٩٢٤) تألفت لديه ذخيرة حببت اليه آداب اللغة العربية، وقوت عنده الرغبة في دراستها، وحببت اليه تتبع التاريخ الاسلامي، والتعمق في التاريخ العربي، وتاريخ العراق في العصور الاسلامية بصورة خاصة^(١٨). وبعد تخرجه في دار المعلمين الابتدائية (١٩٢٤) عين معلماً ابتدائياً في الناصرية، ثم البصرة، ومنها نقل الى الكاظمين في بغداد (١٩٢٨)، ثم نقل الى دلتاوة، ليعود بعدها الى بغداد (كاتب تحريرات) في وزارة المعارف، وتعرف خلال هذه المدة الأب أنستاس ماري الكرمل، فلازمه وكتب في مجلته (لغة العرب)^(١٩) واستفاد من مكتبته

وشارعها هو الشارع الأعظم لبغداد الشرقية يومئذ. بجوار الجامع المعروف حتى اليوم بـ (جامع المصلوب)^(٢٠).

أما تاريخ مولده، فلم يكن متاكداً منه على وجه القطع، فقد ذكر أنه في الربع الأول من القرن الرابع عشر للهجرة^(٢١). وفي حديث لتلفاز بغداد ذكر أن ميلاده هو من (سنة ١٩٠٧-١٩٠٨) ولكنه مسجل في الرسميات سنة ١٩١٠^(٢٢).

وذكر ابن اخته حسين السماك: أن خاله ولد في (٥) محرم سنة ١٩٠٥ م أي: (١٢) آذار من سنة ١٩٠٥^(٢٣).

وذكر أحد أصدقائه: أن تاريخ ولادته حسب تحقيقاته هو سنة ١٩٠١^(٢٤). وهذا ما أوقع الكثير ممن كتب عن مصطفى جواد في الاختلاف والتباين في تحديد سنة ولادته، فضلاً عن يومها. ولكن الراجح عندي: أنه من مواليد سنة ١٩٠٤^(٢٥). وهذا ما ذهب اليه الأب الكرمل^(٢٦).

ومن بغداد (مسقط رأسه) انتقل مع أبيه الى دلتاوه (الخالص) ودخل كتاب (الملة صفية) ليتعلم الأبجدية العربية، وحفظ القرآن^(٢٧). ثم دخل المدرسة الابتدائية في (دلتاوه) واستمر بها حتى دخول الانجليز العراق شتاء عام ١٩١٧ م متعباً بالجيش العثماني المنهزم نحو الشمال^(٢٨)، ثم لم يلبث أن توفي والده، فبقي في رعاية أخيه الكبير كاظم، ونشأ في بستان لأسرته، وأغرم بحياة الريف في (دلتاوه) حتى كاد يبقى فلاحاً ملازماً للأرض لولا الظروف التي هيأت له العودة الى بغداد والانصراف الى العلم^(٢٩). تلميذاً في المدرسة الجعفرية الأهلية عام

العامة بالكتب المخطوطة والمطبوعة النادرة، فضلاً عن أمهات الكتب والمراجع المعروفة، وظهر نتاجه في مجلة (العرفان) اللبنانية، وجريدة العراق، والعالم العربي، والنهضة البغدادية، وعالج النقد، ونظم شعراً سياسياً واجتماعياً^(١٢).

ظل مصطفى جواد طوال وجوده في بغداد، وقبل التحاقه بالبعثة العلمية (١٩٣٤م) من أشد الملازمين لمجلس الأب الكرمللي، وأكثرهم انكباباً على مكتبته، وإفادة من خبرته، وعلمه وفضله، وملازمة مجلسه^(١٣). فاشتهر أمره، وذاع اسمه، فرشحته وزارة المعارف في بعثة علمية (١٩٣٤) للتخصص بالآثار في أميركا، إلا أنه وجد الطريق طويلاً، والمعهد قصياً، فغير وجهة يبعثته إلى فرنسا، وهناك تفتحت في وجهه آفاق جديدة من حيث الدراسة الواسعة العميقة، وتعرفه الميرزا محمد القزويني^(١٤) الذي عرفه واتخذ من بيته، ومكتبته الكبيرة مجلساً يؤمه في جميع أوقات فراغه، فتركت آثارها واضحة في تكامل شخصيته، وعن طريقها اهتدى إلى جميع المظان للشارد من النصوص، والمخطوطات اليتيمة النادرة^(١٥).

في عام (١٩٣٩) أكمل رسالة الدكتوراه بالفرنسية وكان موضوعها: (سياسة الدولة العباسية في القرن السادس) بعدما أولع بالخليفة الناصر لدين الله مجدد شباب الدولة العباسية قبل انقراضها^(١٦). وأعلنت الحرب العالمية الثانية فلم تنتهياً له فرصة مناقشتها، ولا طبعتها، وعاد إلى بغداد قبل إعلان إيطاليا الحرب بأيام، فدعي إلى خدمة الاحتياط،

ثم عين استاذاً في دار المعلمين العالية (كلية التربية) ثم دعي لتعليم الملك الصغير (فيصل الثاني) اللغة العربية من القراءة الخلدونية، ولصعوبة الجمع بين التدريس في دار المعلمين العالية، وتعليم الملك الصغير، نقل إلى مديرية الآثار العامة، ثم أعيد للتدريس في دار المعلمين العالية، ثم ندب لتأسيس معهد الدراسات الإسلامية، وأنيطت به عمادته حتى عام (١٩٦٣) إذ أعيد إلى كلية التربية، ومرض بعد ذلك، فأعفي من التدريس، وأصبح استاذاً متفرغاً عام (١٩٦٧)^(١٧).

حفلت حياة مصطفى جواد بعد عودته من فرنسا بالبحث والتحقيق العلمي، وبدأت تحقيقاته العلمية تحل من نفوس الباحثين والعلماء في الاقطار العربية والإسلامية محل الإعجاب، وما لبث أن عرفته هذه الاقطار علماً من أعلام القرن العشرين في اللغة والتاريخ الإسلامي.. لذا فإن الشهرة التي اكتسبها جاءت عن طريق البحث المتواصل، والتحقيق الذي بدأه بصورة بارزة قبل سفره إلى باريس ثم واصله بقوة ونشاط وسعة معرفة بعد عودته، ومعه خمسة آلاف مصورة من النصوص النادرة التي استنسخها من مخطوطات المكتبة الوطنية، ومكتبة القزويني بباريس، وعدد من الصور الشمسية للمخطوطات النادرة، فعمل على تحقيقها ونشرها، وكان أن نشر من قبل، تحقيقه لكتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) المنسوب لكمال الدين بن الفوطي، وتحقيقه للجزء التاسع من: (الجامع المختصر في



وسرعة خاطره، وقوة حافظته، وتسامحه إلا في غلط لغوي أو تاريخي، كما عرف بصراحته التي لم ترض نفرا ممن حوله، واليها أشار بقوله: ((لا أحب مصادقة صديق لا يحتمل النقد ولو في كتب خاصة بي))^(٣١). وعلى الرغم من هذا فإن سورة الغضب لا تأخذه حتى في أخرج النواقض، وهو بعد هذا وقف حياته على الدرس والبحث، يولع بهما، ويجد فيهما لذة ومتاعا لا يعد لهما متاع آخر، وقد عني بمواضيع عديدة، أخصها اللغة وأعمها التاريخ، تأليفا في حين، وتحقيقا ونشرا في حين آخر، ثم امتد نشاطه إلى الترجمة فعانها شعرا ونثرا، وأصيب بـ (القلاب) في سنواته الأخيرة، وطال

مرضه، فقال:

رشحتني الأقدار للموت لكن

أخرتني لكي يطول عذابــــــــي

ومحت لي الآلام كل ذنوبي

ثم أضحت مدينة لحسابي

وأدركته الوفاة ببغداد عشية الثامن من شوال سنة

١٣٨٩ هـ الموافق للسابع عشر من كانون الأول

١٩٦٩ م^(٣٢).

كان لموت الجواد أثر كبير، فحزن عليه أصدقاؤه

وتلاميذه، ومن انتفع بعلمه خلال مسيرته العلمية

الحافلة، ونعته الجامع العلمية واللغوية علامة

جليلا، ولغويا كبيرا، ومؤرخا ثبوتا، وأديبا فذا،

فخسارته كبيرة لا تعوض، والخطب جلل، وبم

يعوض الفد في أمته، والندرة في محيط لغتها^(٣٣)، بعد

أن ترك ثروة عظيمة من التأليف الثمينة، منها ما

وضعه بنفسه، ومنها ما شارك فيها غيره، فضلا عن

عنوان التاريخ وعيون السير لابن الساعي
البغدادى^(٣٤).

كما نشر عددا كبيرا من البحوث والدراسات في

مجلة (المعلم الجديد) و (غرفة تجارة بغداد)

و (المجمع العلمي العراقي) و (المجمع العلمي العربي)

و (القتطف) و (الهلال) و (المعرفة) المصرية و (كلية

الجامعة الأميركية) ببيروت، و (مجلة الاقلام)

و (العربي) الكويتية، و (الناهل) البغدادية،

و (الترقية الشيعية) (البيان) و (الاقتدار) وغيرها

كثير من الصحف والمجلات العراقية والعربية^(٣٥).

لم تتوقف حياة مصطفى جواد عند هذا، فقد

أسهم في نشاط المجمع العلمي العراقي منذ تأسيسه

وانتخابه عضوا فيه (كانون الثاني ١٩٤٩) وجدد

انتخابه سنة بعد أخرى، إلى أن حل المجمع (حزيران

١٩٦٣) وأعيد اختياره عضوا جديدا بالمجمع الجديد

(أب ١٩٦٣)، وأسهم في تحرير مجلة (المجمع العلمي

العراقي) منذ تاريخ إصدارها (١٩٥٠ م) وشارك في

أغلب أبحاثه. كما أسهم في تحرير مجلة (المجمع

العلمي العربي) منذ سنة ١٩٤٣، واختير عضوا

بالمجمع العلمي العربي بدمشق (تشرين الثاني

١٩٤٧)، وانتخب عضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية

بانتقاهة، هذا فضلا عن كثير من المحاضرات

العلمية المهمة التي كان يسهم بها في المجمع العلمي

العراقي، والأحاديث والمباحث في اللغة والتاريخ

والندوات التي قدمتها إذاعة وتلفاز العراق^(٣٦).

عرف مصطفى جواد بتواضعه الذي هو من

أبين صفات العلماء، وبخلق نادر بين الرجال،

وبشخصية قوية جذابة، لجلو حديثه وظرفه،

مجموعة من الكتب المخطوطة، ومئات المقالات، والدراسات المنشورة في عشرات المجلات والجرائد العراقية، والعربية، والتي ما زالت تنتظر همة الباحثين لنشرها، والعناية بها وفاء لصاحبها، وتحقيقاً لفائدتها العلمية واللغوية والأدبية^(٣٢). وإذا كان لبعض ذوي العلم من متابعة لتراث مصطفى جواد في حياته، وبعد مماته، فإن هذه المتابعة على الرغم من قلتها اهتمت بترائه اللغوي والتأريخي، وإن لم تستطع الوقوف على كل ما خلفه مبعوثاً في الصحف والمجلات بدءاً بسنة ١٩٢٤م، حتى مماته ١٩٦٩م. ناهيك عن ترائه النحوي، فقد ضم كتابه: (المباحث اللغوية في العراق) إشارات يسيرة إلى بعض آرائه النحوية، فكيف بجمع هذا التراث العلمي على طول حقبة زمنية أمدها خمس وأربعون سنة استنفدها مصطفى جواد بدقائقها، وساعاتها، ولياليها ديدباً ذاقاً قواماً على حرم العربية، حارساً لا يكحل عينيه الكرى إلا لماماً. لذا عقدت العزم في هذا البحث على دراسة جهود مصطفى جواد النحوية، بعد أن تسنى لنا جمع المادة النحوية التي انتشرت في ثنايا كتبه القليلة، ومقالاته، ومحاضراته العديدة، ودراستها مقارنة إياها بمدرستي الكوفة والبصرة، بعد أن رأيت تفضيله لآراء الكوفيين على البصريين في جانب منها، موضحاً آراءه الاجتهادية التي أشار إليها، بقوله: ((فأنا حسب علمي لي آراء وجولات فكرية في النحو واللغة، واجتهادات لا يصح التغاضي عنها))^(٣٣). غير ملتفت إلى من يعارضه من الأقدمين، وخاصة من أرسى أسس الدراسة النحوية

لأنه ليس ((جامداً ولا مقلداً)) كما يرى، قال: ((ونحن إذا رأينا الكلام واهياً لا يمنعنا من رده أن قائله سيبيويه أو ابن جني فالليدان ميدان احتجاج واستدلال وبرهنة))^(٣٤).

مشكلة النحو العربي:

يرى مصطفى جواد أن النحو العربي من المشكلات التي تعيشها العربية، بل إنه أكبر مشكلاتها، فمشكلة عويص جداً، وهي مبعث الشكوى، وسبب البلوى، فالجمود، وعدم التطور، وانقطاع الابداع، والغموض والابهام من صفات النحو العربي إلا ما شذ ونذر^(٣٥). وسبب ذلك يعود. كما يرى. إلى: ((أن النحو متعدد المذاهب، مختلف الوجوه، كثير الاصطلاحات، متنوع الأبواب، ومع تقادم الزمان على استقراره وبعد العهد بوضع قوانينه، ندر تناوله بالاصلاح والتهديب، وقل عرضه على الفهوم الثاقبة، والعقول الناقدة، واشتمل عليه حب القديم، وتقديس العتيق، فرهنت مشكلته، ودام جموده، وخمدت حياته، وركدت روحه، ولولا وجود الخلاف فيه بين البصريين والكوفيين، ونبوغ فلان وفلان، وأخذهما بهذا وذاك من مذاهب النحو، وتأليف عدة كتب في هذا الباب لأصبح النحو معضل الداء، لا يرجى صلاحه، ولا يسع المفكر أن يبدي فيه، ولا أن يعيد))^(٣٦).

إن الجمود، وانقطاع الابداع في نحو اللغة العربية كان سبباً في تعقيده، وتفرع مشكلاته، وقد عني بالجمود: اتباع قدماء النحويين في سرد



الجاهلي الصحيح صحة نسبية الخالي من الضرائر كائننا ما كان نوعها، ومقاييس الضرائر الأظهر هو مباينتها للنثر العربي على اختلاف ألوانه، ثم انتقاء الشواهد من شعر ما بعد الجاهلية^(١١). لأن العبارات المولدة التي تدل على المعنى دلالة عقلية وتحتوي على صبغة عربية هي معقولة دائماً وأبداً، فمن حفظ القواعد العامة لتركيب الجمل، وتدارس الكتب الأدبية العربية أمكنه أن يكون فصيحاً^(١٢).

٣. أما اللغة العربية ففذلكت القول في وسائل النهوض بها، وتيسير قواعدها، وكتابتها، كما يرى هو: توسيع الاشتقاق فيها، والاتساع في النقل على سبيل المجاز، والأخذ بالتعريب عند الضرورة، وذلك لتفي بحاجتنا في المصطلحات العلمية والفنية وغيرها^(١٣).

٤. تقويم الجهود التي يبذلها بعض المؤلفين في النحو، وخاصة المعاصرين، فرأى أنهم لم يأتوا بشيء جديد حق الجدة في تسهيل هذا العلم الذي هو ميزان الكلام، والذين ادعوا الإيضاح والتسهيل لم يقيموا الحجة لما ادعوا^(١٤).

منهجه النحوي:

لم يكتب مصطفى جواد كتاباً في النحو، ولم يصدر معجماً لغوياً^(١٥)، كما أصدر اللغويون أو على خلاف ما أصدروا، ومع ذلك عد نحوي العراق، واستاذاً مبرزاً في اللغة من أغناهم نتائجاً وتحقيقاً، وأكثرهم صبراً وأناة في متابعة الحقائق^(١٦).

انتشرت مناقشاته وبحوثه النحوية في مجلات علمية عراقية وعربية^(١٧). وشارك بقسم منها في

القواعد النحوية من غير عرضها على كلام العرب، وشعرهم الخالي من الضرورة، والتزام أقوالهم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه ولا يجوز التعليق عليه، أو إضافة قاعدة اليه^(١٨). أما انقطاع الابداع فيعود إلى عدم نسخ قاعدة أو الاستبدال بها، أو عدم إدماجها في قاعدة أخرى^(١٩).

وكما عاب على النحويين جمودهم، عاب عليهم عدم استفادتهم من نحو الكوفيين أيضاً، لأن فيه آراء كثيرة تفضل آراء البصريين وينبغي للغة العصر الانتفاع بها^(٢٠).

ولم يكتب مصطفى جواد بتشخيص الداء والمشكلات التي عانتها اللغة العربية، وخاصة كبرى مشكلاتها (النحو) بل اسهم إلى حد ما بالعمل على تقديم مقترحات للنهوض باللغة العربية، ورفع مستواها، وأخرى لتيسير القواعد على طالبها، فضلاً عن دراسات أخرى لبعض المسائل والمباحث النحوية التي عالجها، والتي أسفرت بمجملها عن منهج عام يؤدي إلى إصلاح النحو، يتمثل في ما يأتي:

١. تقليل القواعد النحوية، إذ يجب اختصارها، أو إدماج موادها الواحدة في الأخرى^(٢١). كما أن كثيراً منها يجب إصلاحه، أو الاستبدال به، لأنها غير كاملة وتحتاج إلى استقرارات جديدة، واستنباطات عديدة، واستنتاجات مفيدة لنتاجها، من علماء العربية^(٢٢).

٢. انتقاء الشواهد من القرآن الكريم أولاً، ثم من الحديث المروي لفظاً ثانياً، ثم من نثر العرب الوارد في الأمثال والأيام، والمقامات، ثم من الشعر

دورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وبغداد^(١٢).

وتضمنت بعضها كتبه المطبوعة والمخطوطة^(١٣).

وحال كهذا يتعب الباحث في تبين منهج

مصطفى جواد، ومذهبه النحوي، على الرغم من

علو كعبه بين النحاة المعاصرين، وموقفه من

القدماء منهم والمتأخرين، ورأيه في مناهجهم، وما

ذهبت إليه كتبهم.

إن جمع ما كتبه مصطفى جواد من مقالات

نحوية، ودراساتها فضلاً عن آرائه النحوية التي نبشها

في كتبه، يبين لنا موقفه من أسس (المنهج النحوي)

في السماع والقياس، والتأويل، والاحتجاج بالشواهد

الشعرية، والنثرية، ويدلنا على أن المسائل التي

عالجها يمكن أن تندرج تحت قسمين:

* أولهما: مسائل عامة كانت مثلاً: خلاف بين

نحاة البصرة والكوفة، أو إجماع علماء أغلب النحاة،

فمن المسائل العامة، فقله: ((فليس المصدر أصلاً

للفعل))^(١٤). وقوله الآخر: ((لا تشك في أن القول

بمذهب البصريين في كون المصدر أصل المشتقات

ضرب من العبث، والجدل في شبهاته نوع من المراء

المضر بالعربية في حالها ومستقبلها كما كان مضرًا

بماضيها))^(١٥). إذ كيف يكون المصدر أصل المشتقات

وهو من التجريد؟ وهو اسم للفعل، فكيف يكون

الاسم سابقاً في الوجود لسماء؟ ويعمل في الاعراب

عمل فعله، ولو كان بالعكس لعمل الفعل كعمله

وصار تابعاً له. ثم إن البصريين يعترفون باشتقاقه

من الفعل غير الثلاثي فلم يبق لهم إلا الثلاثي. وذلك

مستحيل أن يكون الثلاثي أصلاً للاشتقاق^(١٦).

ومن المسائل العامة أيضاً (التعدي وال لزوم) قال:

(إن التعدي في الأفعال أي وقوعها من فاعلها على

غيره هو الأصل. وال لزوم حال عارضة لها)^(١٧).

و(هذا تعدي الأفعال ولزومها لم يقل أحد منهم

أن الأصل في الأفعال التعدي، لأن الحياة على اختلاف

أنواعها، وتباين طرائقها تعتمد على التعدي، لأن

الحياة على اختلاف أنواعها، وتباين طرائقها تعتمد

على التعدي، وأن اللزوم عارض طارئ)^(١٨). وعلى هذا

تكون الأفعال التي يكثر فيها اللزوم (كفجر يشرح)

والتي يغلب عليها اللزوم (سهل يسهل) حادثة

الوجود بالنسبة إلى غيرها من ضروب الفعل الثلاثي

المجرد^(١٩). وكذلك (فعل يفعل) المضعف، مثل: (خف

يخف، وحل يحل، وشف يشف، وعشرات غيرها)^(٢٠).

أما الضرب الذي خالف هذين الوزنين من

الأفعال الثلاثة مثل (دخل، خرج، نام) فهو من باب

العلاج الذاتي بحيث يكون معدوداً^(٢١). فاللزوم

صناعي كحركات الإنسان الذاتية، مثل: (جلس، نام،

فعل)^(٢٢).

ولذلك ابتدعت العربية (فعل يفعل) للزوم لأن

أفعال الخرائز وأشباهاها تحتاج إلى اللزوم، فهذا الوزن

محدث بالنسبة إلى الأوزان الأخرى، ما عدا (فعل

يفعل) فإنه أحدث من الثلاثة الأخرى لأنه جعل

للصفات الطارئة الظاهرة، والألوان والعيوب، ووزود

أفعال متعدية على وزنه، مثل: (خطف، حفظ،

سمع) لا ينفي حدوثه لأنها قليلة، ولها تأويل، ألا

ترى (سفه) (يسفه) (سفاهة) فهو لازم في الأصل ثم

نقل إلى التعدي بالتساهل والاستعمال الذي يطور

الأفعال، ومثله قولهم: (ضقت به ذرعاً) و(طببت به

نفساً) والمعنى: ضاق ذرعي به، وطابت نفسي به. وأياً كان تقدير التطور في هذه الجمل وأمثالها فإنها تمثل لنا كيفية واحدة من كيفيات تحول الفعل اللازم إلى فعل متعدٍ تعدياً لفظياً لا حقيقياً، ويهمننا منه الإعراب لأن صحة الكلام قائمة عليه، وهـ ستندة عليه، فالفرق عظيم في الإعراب بين قولهم: (سفّهت نفس زيد)، وقولهم: (سفّه زيد نفسه) فالنفس في الأولى مرفوعة، وفي الثانية منصوبة^(١٠).

ومن المسائل العامة أيضاً (أسماء الأفعال). قال: (وهذه أسماء الأفعال المرتجلة ما هي إلا أفعال قديمة جامدة، ومنها ما هو في دور التطور من الجمود إلى التصرف الابتدائي، مثل: ((هلم يا رجل)) أي: تعال، يستوي فيه الواحد، والجمع، والمؤنث في لغة أهل الحجاز، كقوله تعالى: ((والقائلين لإخوانهم هلم إلينا))^(١١). وأهل نجد كانوا يصرفونه، فيقولون للثنين: (هلم!) وللجمع (هلموا!) وللواحدة (هلمي!) وللنساء (هلمن!) فلماذا لا تضاف أسماء الأفعال المرتجلة إلى الأفعال الجامدة؟ وهذه أسماء الأفعال المنقولة ما هي في الحقيقة إلا جمل ذوات أفعال محذوفة لكثرة الاستعمال^(١٢). وهذه الجمل المنطوق بها إنما هي بقاياها، فالأصل في (عليك حقك) (أمسك عليك حقك) كقوله تعالى: ((واذ تقول للذي أنعم الله عليه، وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله))^(١٣). فحذفت العرب الفعل في مثل هذه الآية تخفيفاً، فقالت: (عليك نفسك) أي: احفظها، والمحذوفات في اللغة العربية كثيرة جداً، والحذف مع

تمام الدلالة من عناصر البلاغة^(١٤). ومن المعلوم أن العرب حذفت الأفعال في الإغراء والتحذير، والخصوص المعروف بالاختصاص، ومن الحذف قولهم: (خير مقدم) أي: قدمت خير مقدم، و(هنيئاً لك) أي: ثبتت هنيئاً لك، فالحذف ليس مستغرباً في اللغة، وهكذا يسد باب من أبواب النحو بفضل القرآن الكريم، وهو (باب أسماء الأفعال)^(١٥). ومن المسائل العامة الأخرى التي تطرق إليها مصطفى جواد (أسماء المفعولات) إذ يرى: أن (المفعول المطلق) هو المفعول الحقيقي، أما المفعولات الأخرى (به، فيه، لأجله، معه) فليست مفعولات حقيقية، لأن الفعل وقع بها، أو فيها، أو لأجلها، أو معها، فهي إذن مفعولات لفظية، ولذا احتاجت إلى التقيد اللفظي. أما اسماءها الحقيقية، فهي: (المفعول به) (فعل) و(المفعول فيه فعل) و(المفعول من أجله فعل) و(المفعول معه فعل) ولما استطالوا القيد المكرر حذفوه، فصارت المفعولات إلى ما هي عليه من النقصان في التسمية، وأدى النقصان إلى الاستيهام والغرابة. ويرى: أن (المفعول لأجله) منصوب بحذف لام الجر، لأن الأصل في قولنا: (سعيت لكسباً للمال) (سعيت لكسب المال)^(١٦).

أما (حروف الجر) فهي مفاصل العربية بها تتحرك، وتتصرف، وكما يجب أن يطبق الفصل موضعه يجب أن يطبق الحرف موقعه، فالتطابق شرط في سلامة الأعضاء، وصحة الحركات. لذا فإن القول بنبابة حروف الجر بعضها عن بعض قول مطلق يقتضي ويفيد الشمول، ويعرضه على واقع

اللغة من مسموع ومقيس يضيق ويتضاءل حتى
الاضمحلال، وأظهر ما يقال عنده في هذا:

إن أحرف الجر الخاصة بالظرفية المكانية قد
ناب بعضها عن بعض في شيء من كلام العرب،
وشعرهم، كنيابة (الباء) عن (في) أو نيابة هذه عن
تلك إذا استعملتا في التعابير المكانية، ومع ذلك لا
تصح النيابة إذا خيف الالتباس. وعلى هذا عد
مصطفى جواد جملة من الاسـتـعمالات التي
استعملت فيها حروف الجر في غير معانيها
الموضوعة لها (استـعمالات خاطئة) لأن عامة
الأفعال عنده تستصحب حرف جر واحد، وقليلاً
منها تستصحب اثنين على المعنى المراد، ما عدا
الحروف العامة التي لا تزيد على حرفين، هما:
(على) و(اللام). أما التضمين فليس له وجه
مقبول في هذا الباب^(٣٧).

إن المباحث التي أشرنا إليها، هي في تقديرنا
مباحث اجتهدية تفرد مصطفى جواد فيها
بالرأي، باستثناء مبحث (الفعل والمصدر) فعلى
الرغم من أنه خالف في رأيه أغلب النحاة، وعارض
البصريين في قولهم: أن الفعل صادر من المصدر،
فإنه تجاوز علماء الكوفة في الاهتداء إلى أدلة بلغت
ثلاثة عشر دليلاً لإثبات: أن الفعل أصل الاشتقاق،
في حين كانت أدلة الكوفيين نزرّة معروفة لم ترد
عن أكثر من أربعة أو خمسة أدلة كما يرى^(٣٨).

أما القسم الثاني من المسائل التي عالجها:
فهي جملة استدراقات، وتعقيبات، وتعليقات،
وتخطئة لبعض أساليب الكتاب القدامى،
والمعاصرين من خلال قراءاته المتنوعة في أمهات

الكتب، والمراجع، ومتابعته لما يصدر من نتائج في
النحو، واللغة، والتاريخ، والأدب، من ذلك قوله
معقبا على ابن جني، قال:

((وكان ابن جني عالماً فاضلاً، بارعاً، لا ينكر ذلك
ذو فضل، إلا أنه كان ذا فلتات في أقواله، وجريئاً في
آرائه، مثال ذلك ما ورد في الخصائص^(٣٩) عند كلامه
على تقدم ضمير على صاحبه لفظاً ومعنى، قال
ابن جني:

قالوا في قول النابغة:

جزى ربّه عني عدي بن حاتم

جزاء الكلاب العاويات وقـد فعل
إن الهاء عائدة على مذكور متقدم، كل ذلك لئلا
يتقدم ضمير المفعول عليه مضافاً (إلى فاعل) فيكون
مقدماً عليه لفظاً ومعنى.

أما أنا فأجيز أن تكون الهاء في قوله (جزى ربّه
عني عدي بن حاتم) عائدة على (عدي) خلافاً على
الجماعة^(٤٠).

وقوله عن السيوطي: إن جلال الدين السيوطي
مؤلف البهجة المرضية في شرح الألفية، لما ضرب مثلاً
من أمثال (بباب التنازع) قال: (ومثاله على أعمال
الثاني: قاما وقعد أخواك، رأيتهما وأكرمت أبويك.
ضرباني وضرب الزيدين)^(٤١). ولذلك ظهر لي أن
السيوطي نقل وما عقل، لأن العلماء أجازوا التنازع:
منعوا عند أعمال الثاني أن يذكر للأول ضمير نصب
غير عمدة.

أي: أوجبوا حذف الضمير إن كان (فضلة) كضمير
المفعول به المنصوب بغير أفعال القلوب والتحويل.
فالسيوطي مخطئ في قوله: (رأيتهما) و(ضرباني)
وذلك لوضعه الهاء في الفعل الأول وابقائه الياء في



متلبث، ولا متمكث لأوفر على نفسي راحتها، ولا ستجهم قلبي بشيء من القناعة، والعزوف عن البحث والتحري اللذين لم يجبا عليّ، ولا وكلا إليّ، فلم أحل من ذلك التمني بسطائل، ولا أعفيت المجلة من التعاليق والاستدراك .. فاقول بعد التمثيل بقول الراجز: (لا بد مما ليس منه بد) ^(٨٠).

ومن خلال ذلك نسـتطيع أن نحدد الغاية، والدوافع التي كانت وراء الكثير من كتابات مصطفى جواد النحوية، وآرائه فيها، قال: (فأنا حسب علمي لي آراء وجولات فكرية في النحو والصرف واللغة واجتهادات، فلا يصح التفاضل عنها) ^(٨١).

إن هذه الأمثلة التي ذكرناها بقدر ما تساعد على دراسة (المنهج النحوي) عند مصطفى جواد توضح من جانب آخر مدى المعاناة في تحديد منهج نحوي واضح له، ورسم أسسه من خلال الآراء التي بثها في كتب، ومجلات متفرقة، لا يجمع بينها إلا تعلقها بعلم (النحو).

وعليه فإن منهجه النحوي الذي نحاول تحديده يعتمد من حيث الأساس على موقفه من أسس (المنهج النحوي) في السماع والقياس، وما يتصل بهما من تعليل وتأويل، وشواهد شعرية، ونثرية، وموقفه من النحاة القدماء، والمعاصرين، ورأيه في تطور اللغة، وما آل إليه واقع النحو العصري.

(١) السماع:

هو الطريق الطبيعي لمعرفة كنه اللغة، وتبين خصائصها، وأساس معرفتها، لذا أخذ به مصطفى جواد، وتوسع فيه على مذاهب أهل الكوفة، لأن

الفعل الثاني، وهما فضلة يجب حذفهما عند إهمال العامل الأول ^(٧٧).

ولم يقف مصطفى جواد عند نقد بعض كتب الأقدمين، والاستدراك عليها، وملاحقتها بالتعقيب والتخطئة في بعض مسائلها، وإنما تصدى للأوهام الشائعة أيضاً، التي أراد بها: (الغلطات العظيمة الذائعة) ^(٧٨) لينبه على الغلط، ويذكر الصواب، ويشير إلى الفصيح (لا أن ينعي على ناس معينين أوهامهم، ولكنه يعيب على المصيرين على الخطأ خطأهم، فاللغة ليست ميراثاً لهم وحدهم يعملون بها ما يشاءون من عبث وغيث) ^(٧٩).

ومن الأوهام الشائعة التي ذكرها، قوله: قول العقاد في (البلاغ الأسبوعي) ^(٨٠): فيصدق تصديق البلهاء، جمع (أبله) على (بلهاء). والصواب: (بله) على وزن (خضر)، جمع أخضر وخضراء ^(٨١).

وقوله الآخر (جاء في ص ١٥ من مج ١٨ من مجلة المجمع العلمي العربي):

(ولنا ما يكفل إعادة النظر) ^(٨٢). ويكفل من الكفالة يتعدى بـ (الباء) لا بنفسه، وفي أساس البلاغة: (وهو كفيل بنفسه، وبماله، وكفل عنه لغريمه بالمال، وتكفل به) ^(٨٣). والصواب ما يكفل باعادة النظر، أما للانسان فيقال: يكفله) ^(٨٤).

وغير هذا كثير أورده في مجلة (المجمع العلمي العربي) بدمشق منذ تاريخ بدئه الكتابة فيها (المجلد ١٨ لسنة ١٩٤٢م) إذ قصد إلى التحقيق، ورغب في التنبيه والتوجيه، قال: (ولطالما تمنيت أن أقرأ ما ينشر في هذه المجلة الكريمة الوسيمة غير

حافظ للغة العربية، على الرغم مما تعرضت له من
تدهور، وأثبت الزمان، قال: (والعربية لغة جسيمة،
عظيمة، قويمة، لأمة كريمة عظيمة، وقد حافظت
على قوامها، ونظامها، وكلامها، بقرآنها العزيز،
وقرآنها الأسمى الصارع طوال العصور التي انصرفت

بين زمن الفاطمية وهذا العصر)^(٨٦).

وقوله الآخر: (ولولا هذا القرآن العزيز، وهذا
كتاب التين، وهذا الأدب اللفظي الضخم، لطوحت
بها الخطوات، وقامت عليها النوائح، وصارت كاللغات
الاربعية، لا تدرى إلا عند الضرورة، ولا تظهر إلا في
مواضع ضاربة، ولا ينطق بها إلا بعد مرانة، وتكلف،
ومعاناة)^(٨٧).

ثم إننا نذكر التي أشرنا إليها، فإدات مصطفى
عبد المولى: (إن القرآن الكريم، هو أعلى نثر
عربي وأفصح، وأنصحه، واستخراج الشواهد
النحوية منه، أدق الرأي أقوى برهان على صحة
القواعد، وقدمها، ووثقتها، ولطالما رأينا تجافيا من
جماعة من النحويين عن أخذ الشواهد منه، بله
جماعة من المشركين المتعصبين البلاء الذين
يرتكبون أشنع الأفك، وأفضع الجهل بدعواهم أن في
القرآن غلطا نحويا يستدلون على اثباته بالشعر
الجاهلي)^(٨٨).

لذلك استشهد بالآيات القرآنية الكريمة كثيرا
في أغلب بحوثه النحوية، ودافع عن جملة من آرائه
بآيات بينات من كتاب الله العزيز، واستدرك على
بعض النحاة بآيات أخرى لبطلان ما ذهبوا إليه،
مثال ذلك، قوله: ومن يكون ابن جني بإزاء قراءة

اختيار المذهب البصري، كما يرى. كان من أسباب
استصعاب الدراسة النحوية، والدراسة الصرفية،
ومن البواعث على النفور من اللغة العربية، وذلك
لتشدد هذا المذهب، وميله إلى الأشكال، وكثرة
التأويل، والتعليل)^(٨٩).

ولما كانت مدرسة الكوفة تسلك مسلكا آخر يخص
في السماع القليل، وكان أساس منهجهم الاعتماد على
الرواية، والنصوص العربية، قرآنية وفصحية، أكثر
من اعتمادهم على الأقيسة النظرية المنطقية، فإن
البصرة أهملت القليل مما سمع وذهبت به مدرسته
التأويل، وكانت نزعتهم في بحوثهم وآرائهم من جهة
فيها كثير من الميول الفلسفية، والحقائق المنطقية،

وكان منهجهم خاضعا لهذه النزعة^(٩٠) وهذا ما
جعله مصطفى جواد عيبا في هذا المذهب، وبسببها
من أسباب استصعاب الدراسة النحوية والصرفية،
لأن الصواب، كما يرى: (كلام العرب لا كلام
الكتب)^(٩١) فلم يلجأ إلى التأويل في أغلب مباحثه
النحوية، والصرفية، وعده منقصة لأن المعنى هو
المتحكم في التركيب، ولأن منطق تركيب الكلام
مستند إليه، ومعتمد عليه)^(٩٢).

إن موقف مصطفى جواد من السماع يقودنا
لتبيان موقفه من قضية أساسية تتصل بالسماع
إتصالا وثيقا، هي الاستشهاد ونعني به الاستشهاد
بكتاب الله العزيز، والحديث الشريف، والنثر
والشعر.

★ القرآن الكريم:

اهتم مصطفى جواد بكتاب الله العزيز خير



الشواهد الشعرية والنثرية؛

استشهد مصطفى جواد في جميع مباحثه النحوية واللغوية بشواهد شعرية، ونثرية من كلام العرب الفصحاء، وأكثر منهما، فكان يسوق - غالباً - أكثر من شاهد شعري، ونثري لبيان صحة ما يذهب إليه في المسألة الواحدة، سواء أكانت رأياً، أم نقداً أم استدراكاً، وغالباً ما كان يجمع بين شواهد الشعر، والنثر، وإن كانت الشواهد النثرية أقوى عنده من الشواهد الشعرية كما قال: (... فهذه الشواهد الشعرية التي حضرتنا، وأما الشواهد النثرية وهي أقوى عندنا من الشعرية أبداً...) ^(١) كما أن الشعر - كما يرى - لا يصبح أن يتخذ دليلاً على صحة التعبير ما دام مخالفاً للنثر ^(٢) كما قال: (إن وزن الشعر والنثر ليس هو - والتعبير اللفظي - وبشرته تضطر الشاعر إلى الخضوع لها، فاضعف دليل عندي وارد في الشعر، مخالفاً للنثر المؤيد) ^(٣).

وعلى هذا فإن مصطفى جواد، يرى: أن انتقاء الشواهد في النحو يجب أن يعتمد بعد القرآن الكريم أولاً، والحديث الشريف المروي لفظاً ثانياً، على نثر العرب الوارد في الأمثال، والأيام، والمقامات ثم من الشعر الجاهلي الصحيح صحة نسبية، الخالي من الضرائر كأننا ما كان نوعها، ومقتضى الضرائر الأظهر، هو مبيأينتها للنثر العربي على اختلاف ألوانه، ثم انتقاء الشواهد من شعر ما بعد الجاهلية ^(٤).

(٢) القياس:

فضل مصطفى جواد المدرسة الكوفية على المدرسة البصرية في النحو والصرف كما أشرنا،

القرآن التواترة؟ ويقصد بذلك قوله، والذي مضى منه: أئمة لحن والصواب أئمة، إذ لا تجتمع همتان في فاء الكلمة، أو عينها، أو لامها ^(٥).

ولم يكتف مصطفى جواد بالقول بضرورة الاستشهاد بالقرآن الكريم، والقياس عليه في باب (النحو) فقط، بل تعدى في ذلك إلى المعجمات اللغوية، فأشار عليها فلة الشواهد القرآنية لاستعمال الكلم مع أنها أقدم الشواهد تسجيلاً، وأصحبها وأقواها ^(٦).

لذا نادى بضرورة (دراسة القرآن الكريم دراسة لغوية، ودراسة نحوية عوداً على بدء، ففي ذلك نهش للعربية من كبوتها، وتقوية، وتوسيع) ^(٧).

«الحديث الشريف»

لم يستشهد مصطفى جواد بالحديث الشريف كثيراً في مسألة ما تعرض له من آراء نحوية، ولغوية إلا أن ذلك لا يمنع من استخلاص موقفه منه، والقياس عليه، ففي جواز تأنيث (عضو) استشهد بحديث الرسول (أ)، نقلاًها شلوة من جهنم) وحمل (عضو) على (شلو)، فكما يصح (شلوة) من (شلو) كما جاء في الحديث الشريف، صح (عضوة) من (عضو) أيضاً، والمعروف عند العرب (الشلو) بمعنى (العضو) وهو مذكر لفظاً ^(٨).

كما تابع مصطفى جواد مسألة الاحتجاج بالحديث الشريف، وأدرك خلاف العلماء في مسألة الاحتجاج به، فقد ذهب أكثر العلماء إلى عدم جواز الاحتجاج بالحديث الشريف، ورأى بعضهم الاحتجاج به مطلقاً ^(٩). فذهب (رحمه الله) إلى تقيد الحديث بالصحيح، قال: (المروي باللفظ) ^(١٠).

فلا بد أن يكون منهجه في القياس صورة لمنهجهم فيه، وكما هو معروف فإن منهج الكوفيين يقوم على الاعتداد بكل ما روي عن العرب مهما قلت شواهد ثم القياس عليه، لأن: (منهجهم أقرب إلى الدراسة اللغوية منه إلى الأخذ بأسباب المنطق)^(٩٩). ولدى متابعة مباحث مصطفى جواد النحوية نلاحظ مدى تمسكه بمنهج الكوفيين ورأيهم في القياس، فهو إذ ينعت نحو البصرة بالجمود، ومنافاة طبيعة اللغة، يرى في نحو الكوفيين الكثير من الآراء التي تفضل آراء البصريين^(١٠٠). مع أنه لم يلزم نفسه بجميع أقوالهم، ولا التصديق بكل أدلتهم، إذ ينبغي الاقتصار عنده على ما هو في مصلحة اللغة الكريمة^(١٠١). يتبع ما يهديه إليه عقله، وما يطمئن إلى وجه الصواب فيه.

ومن أمثلة أجزائه القياس وتسامحه فيه، قوله: (وقال واحد في مقدمة كتابه: ((مستشهدا بهذه المختارات في مواطنها)) والفصح الشهير أن يعدى مستشهدا بنفسه، فيقال: (مستشهدا هذه المختارات) واسم الفاعل كفعله إذا عمل^(١٠٢). واستشهد لذلك بقول صفي الدين الحلي^(١٠٣):

(واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا)^(١٠٤). وخلاصة ما توصلنا إليه في بحثنا هذا:

١. أن مصطفى جواد اضاع كثيرا من جهده، وآرائه حين ترك معالجة نحو العربية كاملا، إذ اكتفى بإيراد جملة ملاحظات، واقتراحات تضمنتها بحوثه ومحاضراته، وأشهر اليها في تصويباته، وانتقاداته التي كتبها، وقدم بعضها منها

تحت عنوان: (فوائد لغوية).

٢. لم يلزم مصطفى جواد نفسه برأي معين. وإن اعتمد كثيرا على رأي الكوفيين. بل شحذ قدرته في استنباط الأحكام النحوية، والاجتهاد فيها.

٣. عاب على البصريين تشددهم وميلهم إلى التأويل والتعليل، ولم يسلم هو من هذا العيب، وخاصة في مبحث (حروف الجر) ومسألة نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، خاصة وأنه أجاز في مبحث التعدي وال لزوم^(١٠٥) انفتاح باب نزع الخافض والتضمن، وعد الأخذ بهما ضربا من التيسير لقواعد اللغة العربية، وتنمية لثروتها اللغوية.

٤. رأى في نحو الكوفيين كثيرا من الآراء التي تفضل آراء البصريين، فنادى بضرورة الانتفاع بها ونشرها في العالم العربي المعاصر.

٥. آمن بأن المعنى هو المتحكم في التركيب، كما أن المعاني هي التي تصرف التراكيب، وتتصرف بها، ولا يصح العكس، وبذلك يمكن الاستغناء عن كثير من التأويلات الضعيفة، والتعليلات الباطلة، والحجج الفائلة.

٦. آمن بالاجتهاد في باب النحو والصرف، واشترط الدلالة البينة لصحة الرأي فبالاجتهاد تمت جمهرة قواعد العرب، وبالاجتهاد يمكن الرد عليها، فالنحويون يغلطون كما يغلط غيرهم، ويقبل بعضهم بعضا، ولا يسقط الرأي إلا بالاستدلال المنير، والجدال الوفير.

٧. رفض الجمود في آرائه، وتقليد من سبقوه، كما أنه لم يلزم نفسه بأقوال العلماء الذين سبقوه إذا رآها واهية واهنة، حتى إن عد حجة كسيبويه.

والأفعال بمواضعها، ولم يلتفتوا في ذلك الى القواعد العامة لاستنباط أسرار العربية من قياس، واشتقاق، واقتباس، وإنما اعتمدوا على المنقول بنصوصه، فتحجروا عن الواسع، وتغافلوا عن الواقع، وزلت بهم طريق الانتقاد الى غير السداد.

١١- آمن بإمكانية الإبداع في النحو لسعة بابه، ولم يستنكر التيسير في النحو والصرف.

١٢- انتقد بعض المؤلفين في النحو من المعاصرين، لأنهم لم يأتوا بشيء جديد حق الجدة في تسهيل النحو والصرف، ولم يقيموا الحجة لما ادعوا.

٨- رأى أن اللغة العربية لم تزل في أكثر أحوالها جامدة في قواعدها، ورسم خطها، لذا فإن كثيراً منها يجب إصلاحه، والاستبدال به، وهذه القواعد - على الحقيقة - غير كاملة تحتاج الى استقراءات جديدة، واستنباطات عديدة، واستنتاجات مفيدة فوائدها لناجها من علماء العربية.

٩- رأى أن اعتماد مذهب البصرة في النحو كان سبباً في جمود (النحو) وكونه غاية لا وسيلة عند كثير من النحويين المعاصرين المعنيين به، وفي الصرف جعل المشكلة أكثر تعقيداً، لأن المذهب البصري - كما يرى - مناف لطبيعة اللغات.

١٠- رأى أن ما وقع فيه النقاد من وهم وضعف في الحكم يعود الى أنهم نقدوا التعابير بأعيانها،

الهوامش والتعليقات:

(٩) سالم الآلوسي - ذكرى مصطفى جواد ص ٨٣

(١٠) لمزيد من التفصيل: انظر: كتابنا (مصطفى

جواد: حياته ومنزلته العلمية) ص ١٣.

(١١) انظر: مجلة (لغة العرب) مج ٦ (١٩٢٨) ص: ٦٤٦.

(١٢) شعراء العراق في القرن العشرين ١/١٦١.

(١٣) المجمع العلمي العراقي: نشأته، أعضاؤه،

أعماله ص ٦١.

(١٤) أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث

ص ٨٥.

(١٥) أشار الى ذلك بخط يده في بيان عضويته

بالمجمع العلمي العراقي (٦٣ - ١٩٦٤) الى أنه أنهى دراسته

الابتدائية في دلتاوة (الخالص) الصف الرابع الابتدائي،

انظر: مجلة المجمع العلمي العراقي ١٨/٣٦٤، وشعراء

العراق في القرن العشرين ١/١٦٤.

(١٦) انظر: مجلة لغة العرب ج ٩ (ايلول) سنة ٦،

(١) مصطفى جواد - قل ولا تقل (المقدمة).

(٢) مصطفى جواد - النحو الكوفي وأثره في تيسير

قواعد اللغة العربية، مجلة المعلم الجديد مج (١٣)

ص ٢١٣.

(٣) مصطفى جواد - قل ولا تقل (المقدمة).

(٤) مصطفى جواد - المباحث اللغوية في العراق

ص ٣١.

(٥) انظر: رسالته المؤرخة في ٦/٧/١٩٥٣.

والمنشورة في كتاب: (مصطفى جواد فيلسوف اللغة

العربية) ص ١٣٨. شعراء العراق في القرن

العشرين ١/١٦١.

(٦) شعراء العراق في القرن العشرين.

(٧) (مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية)

ص ٣٤.

(٨) مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية ص ٣٢.

ويلاحظ خطأ الجمع بين التاريخ الهجري والميلادي.

ص ٦٤٩.

(١٧) انظر: هكذا عرفتهم ٧٩، ٧٨/٣.

(١٨) انظر: السابق، وأعلام اليقظة الفكرية في

العراق الحديث ص ١٨٢.

(١٩) عن مشاركته في مجلة لغة العرب، قال

مصطفى جواد: بدأت بالمشاركة فيها سنة ١٩٢٨، وكان ذلك بعد امتناع الشاعر العراقي معروف الرصافي من النشر، فانتدبت لاتمام الكلام على اللغة العامية.

انظر الباحث اللغوية في العراق ص ٧٦، ٥٣.

إلا أن أول ما نشره في المجلة المذكورة حسب تحقيقنا كان رواية عصرية، فقصة شعرية، فقصة قصيرة. انظر: مجلة لغة العرب مج (٦) السنة (٦).

(٢٠) انظر: هكذا عرفتهم ٧٩، ٧٨/٣. وشعراء العراق

في القرن العشرين ١٦٧/١. وأعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ص ١٨٧.

(٢١) انظر: الأب انستاس ماري الكرملني ص ٣٣.

(٢٢) الميرزا محمد القزويني: عالم سكن باري،

والثقف حوله جمع من المستشرقين الذين عشقوا التوغل في تاريخ الشرق وآدابه وفنونه لاسيما التاريخ الاسلامي منه. انظر: هكذا عرفتهم ٨٦/٣.

(٢٣) انظر: شعراء العراق في القرن العشرين

١٦٧/١، وهكذا عرفتهم ٨٦/٣.

(٢٤) انظر: رسالته المؤرخة في ١٢/٢٢/١٩٥٢.

والمنشورة في (مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية)

ص ١٢١، وأعلام اليقظة الفكرية ص ١٨٢.

(٢٥) انظر: شعراء العراق في القرن العشرين

١٦٨/١، ومصادر الدراسة الأدبية (القسم الأول) ٨٢١/٣، ومصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية (ص ٢٥) وفيها سبب عزله عن تعليم الملك فيصل الثاني.

(٢٦) انظر: هكذا عرفتهم ٨٧، ٨٨، شعراء

العراق في القرن العشرين ١٦٧/١، وأعلام اليقظة الفكرية ص ٨٩، ورحلة أبي طالب خان الى العراق وأوربة (المقدمة).

(٢٧) لمزيد من التفصيل، انظر: كتابنا (مصطفى

جواد وجهوده اللغوية) ط ١ ص ٤٠.

(٢٨) انظر: المجمع العلمي العراقي، ثمانية، عضو،

أعماله ص ٤٥، ٤٧، ومجلة (المجمع العلمي العربي) مج ١٨،

حب ٥، ٦، ١٩٤٣م، وأعلام اليقظة الفكرية ص ١٨٨،

واستمارة عضويته (المجمع العلمي العراقي) مجلة المجمع ١٨/٣٦٥.

(٢٩) انظر: رسالته المؤرخة في ٨/٢/١٩٥١.

والمنشورة في (مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية) ص ١٤١.

(٣٠) انظر: د. كمال النيازي، مصطفى جواد ابي

العربية البار (ذكرى مصطفى جواد) ص ٤٦، وأعلام اليقظة الفكرية ص ١٨٨، ومصادر الدراسة الأدبية (القسم الأول) ٢٨١/٣.

(٣١) لمزيد من التفصيل، انظر: مصطفى جواد

جهوده اللغوية، ط ١ ص ٤٢، ٤٥.

(٣٢) للاطلاع على آثاره، انظر: مصطفى جواد

وجهوده اللغوية، ط ١ ص ٦٦ وما تبعها، ومصادر الدراسة الأدبية ص ٨٠، ٨٨.

(٣٣) دراسات في فلسفة النحو ص ٥٦.

(٣٤) انظر: السابق ص ١٠٦، ٥٩.

(٣٥) وسائل النهوض باللغة العربية (٢)، مجلة

الاستاذ مج ٨ ص ١٢٧.

(٣٦) النحوي الكوفي وأثره في تفسير قصائد اللغة

العربية، مجلة العلم الجديد، مج ١٢ ص ٢١٢.

(٣٧) الباحث اللغوية في العراق ص ٥.

(٣٨) رسائل النهوض باللغة العربية (٢)، مجلة

الاستاذ مج ٨ ص ١٢٧.

(٣٩) الباحث اللغوية ص ٩.

(٤٠) وسائل النهوض باللغة العربية (١)، مجلة

الاستاذ مج ٨ ص ١٢٧، ١٥١.

(٤١) مشكلات اللغة العربية وحلها، مجلة المعلم

الجديد، مج: ص ١٠١.

(٤٢) وسائل النهوض باللغة العربية (٢)، مجلة

الاستاذ مج ٨ ص ١٢٧.

(٤٣) مشكلات اللغة العربية وحلها، مجلة المعلم

الجديد مج ٥ ص ١٠١.



- (٤٤) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) - مجلة الاستاذ مج ٨، ص ١٥١.
- (٤٥) المباحث اللغوية ص ١٠.
- (٤٦) باستثناء (المعجم المستدرک على معجمات اللغة العربية) الذي لم ير النور بعد، ذكره في (المباحث اللغوية ص ١٢٩). وقدم بحثاً تعريفياً عنه في (مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين - مجمع اللغة العربية ١٩٦٥). ولزید من التفصيل، انظر: في التأسيس اللغوي ص ٣١٩.
- (٤٧) انظر: ذكرى مصطفى جواد ص ٤٩.
- (٤٨) انظر: مجلة (المجمع العلمي العراقي) منذ تاريخ صدورها (١٩٥٠) ولغاية وفاته (١٩٦٩)، ومجلة (المجمع العلمي العربي) بدمشق بدءاً من المجلد (١٨) ج ٦٠٥ (آيار وحزيران) ١٩٤٢م.
- (٤٩) انظر: جلسات مؤتمرات الدورة الثانية والثلاثين، مجمع اللغة العربية - بغداد (١٩٦٥)م. وجلسات الدورة (الثالثة والثلاثين) القاهرة ١٩٦٦م. ١٩٦٧م.
- (٥٠) انظر: كتابنا: مصطفى جواد وجهوده اللغوية (ط ١) ص ٧٤، الهامش (٤).
- (٥١) دراسات في فلسفة النحو ص ٥٧.
- (٥٢) المباحث اللغوية ص ١٤.
- (٥٣) لزید من التفصيل، انظر: مصطفى جواد جهودہ اللغوية (ط ١) ص ١٩٦ وما بعدها.
- (٥٤) دراسات في فلسفة النحو ص ٢٤.
- (٥٥) المباحث اللغوية ص ٧.
- (٥٦) المباحث اللغوية ص ٨، ووسائل النهوض باللغة العربية (٢) مجلة الاستاذ مج (٨) ص ١٤٠.
- (٥٧) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) مجلة الاستاذ مج (٨) ص ١٤٠.
- (٥٨) المباحث اللغوية ص ٧.
- (٥٩) انظر: رسالته المؤرخة في ١٨/١/١٩٥٢، والمنشورة في كتاب (مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية) ص ١٠٠.
- (٦٠) دراسات في فلسفة النحو والصرف ص ٢٥، ٢٤.
- ولزید من التفصيل، انظر: مصطفى جواد وجهوده اللغوية ص ١٦٨ وما بعدها.
- (٦١) الأحزاب ١٨.
- (٦٢) انظر: المباحث اللغوية في العراق ص ٥.
- (٦٣) الأحزاب ٢٧.
- (٦٤) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) مجلة الاستاذ مج (٨) ص ١٣٩.
- (٦٥) السابق ص ١٤٠. وانظر: المباحث اللغوية ص ٦.
- (٦٦) لزید من التفصيل، انظر: مصطفى جواد وجهوده اللغوية ص ٢٠٤ وما بعدها.
- (٦٧) انظر: القول الناجع في الغلط الشائع - مجلة المجمع العلمي العربي، مج (٢٤) ح ٣ (٢) ص ٣٩٧ - ٣٩٩.
- ولزید من التفصيل، انظر: مصطفى جواد وجهوده اللغوية ص ٣١١ وما بعدها.
- (٦٨) انظر: دراسات في فلسفة النحو ٥٩. ولعرفة الأدلة التي قدمها مصطفى جواد، انظر: مصطفى جواد وجهوده اللغوية ص ١٩٨ وما بعدها.
- (٦٩) انظر: الخصائص ٢٩٤/١.
- (٧٠) دراسات في فلسفة النحو ص ١٧.
- (٧١) انظر: البهجة الرضية، ص ٧٦.
- (٧٢) فلتة لجلال الدين السيوطي - مجلة لغة العرب، ج (٧) السنة (٦) ص ٥٣٢.
- (٧٣) انظر: فوائد لغوية - مجلة لغة العرب ج (٩) السنة (٦) ص ٦٩٣.
- (٧٤) قل ولا تقل ص ٨، ٩.
- (٧٥) انظر: البلاغ الاسبوعي، العدد (٥٢) ١٩٢٧ م ص ١٣.
- (٧٦) فوائد لغوية - مجلة لغة العرب ج (٩) السنة (٦) ص ٦٩٣.
- (٧٧) انظر: مصطفى الشهابي - نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول (٥)، مجلة المجمع العلمي العربي مج ٨ ص ١٥.
- (٧٨) انظر: أساس البلاغة ٢ / ١٧٧.
- (٧٩) د. مصطفى جواد. التوجيه والتنبيه، مجلة المجمع العلمي العربي مج ٢١ ح ٦، ص ٢٨٦، ٢٨٧.
- (٨٠) التنبيه والتوجيه - مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٢١، ح ٦، ص ٢٨٦.
- (٨١) دراسات في فلسفة النحو ص ٤٧.

(٩٣) عبد الحميد حسن - القواعد النحوية مادتها وطريققتها ص ١٨٩ .
 (٩٤) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) - مجلة الأستاذ مج (١٨) ص ١٣٧ .
 (٩٥) لمزيد من التفصيل، انظر: دراسات في فلسفة النحو، ص ٤٠ وما بعدها .
 (٩٦) القول الناجع في الغلط الشائع - مجلة المجمع العلمي العربي مج (٢٤) ج ٢ ص ٤١٣ .
 (٩٧) فوائد لغوية - مجلة لغة العرب ج (٨) السنة (٦) ص ٥٩٤ .
 (٩٨) انظر: وسائل النهوض باللغة العربية (٢) - مجلة الأستاذ مج (٨) ص ١٣٨ .
 (٩٩) عبد الحميد حسن - المذهب الكوفي في النحو واللغة (البحوث والمحاضرات - الدورة (٢٢) مجمع اللغة العربية ١٩٦٥ ص ٢٣٦ .

(٨٢) المباحث اللغوية ص ١٠ .
 (٨٣) عبد الحميد حسن - المذهب الكوفي في النحو واللغة (البحوث والمحاضرات - الدورة (٢٢) بغداد، مجمع اللغة العربية ١٩٦٥ م، ص ٢٣٦ .
 (٨٤) فضلاً عن - مجلة لغة العرب ج (٦) السنة (٦) ص ٥٣٤ .
 (٨٥) المباحث اللغوية ص ٨ .
 (٨٦) انظر: قل ولا تقل ص ٥ .
 (٨٧) المباحث اللغوية ص ٢ .
 (٨٨) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) مجلة الأستاذ مج (٨) ص ١٣٨ .
 (٨٩) انظر: الخصائص ٢ / ٢٣٨، ودراسات في فلسفة النحو، ص ٥٥ .
 (٩٠) المباحث اللغوية ص ٣٢ .
 (٩١) المباحث اللغوية ص ٣٤ .
 (٩٢) السابق، ص ١٢٤ .



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي





من عقوق التلامذة لأساتيدهم^(١)

الدكتور عبد الله مسلم القيسي

الإحالة الى مصنفاتهم. وتبادر الى أذهاننا أيضا أنه قد أضاف جديدا الى الطبعة الأولى ظانا أن الإضافة تخوله الهيمنة على الكتاب وتجنبه معرفة إغفال اسم العالمين الجليلين. وحين بدأنا ننظر في الكتاب أذهلنا وأحزننا أن نقرأ في المقدمة تجريحا لأستاذه القيسي. واتهاما له بالسطو على جهده، وجرأة على تجريده من أي عمل قام به في الكتاب فضلا عن الأستاذ التركي. نقول راعنا أن نقرأ قول الضامن في الطبعة الجديدة (وفي هذه الطبعة بيان وتوضيح حول حقيقة الظروف التي أحاطت بتحقيق الكتاب ونشره في المجمع العلمي العراقي) ثم ذكر الظروف في الهامش قائلا: (كان د. أحمد ناجي القيسي رحمه الله تعالى قد طلب الي تحقيق هذا الكتاب لنشره في المجمع العلمي العراقي ولكن بشرطين: الأول أن يكون مشاركا في التحقيق. والثاني أن يكون د. حسين تورال مشاركا أيضا لأن الفضل يعود اليه في تصوير المخطوطة، فأنجزت تحقيق الكتاب في ثلاث سنوات لم يشاركني فيه احد. وأخي الشاعر وليد الأعظمي على علم بذلك، وهكذا كان أمر الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧.

واليوم بعد مضي سبع عشرة سنة أعلن هذه الحقيقة، وأقدم هذه الطبعة المنقحة، والحمد لله أولا وآخرًا).

من المطبوعات التي صدرت حديثا كتاب بتحقيق الدكتور حاتم الضامن الأستاذ (سابقا) في جامعة بغداد. ومن بينها كتاب (دقائق التصريف) لأبي القاسم المؤدب من علماء القرن الرابع الهجري. وقد سجل في صفحة العنوان: (تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن). وكتب على الصفحة الأولى (الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ: ٢٠٠٤م... حقوق الطبع محفوظة. يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه إلا بإذن خطي من دار البشائر.... دمشق)).

والذي يعرفه الباحثون واشتهر بينهم أن هذا الكتاب شارك في إنجازه مع الدكتور حاتم كل من المرحوم الدكتور أحمد ناجي القيسي عضو المجمع العلمي العراقي والدكتور حسين تورال التركي الجنسية وقاموا بتحقيقه، وطبعه المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٧ وسجلت أسماء المحققين الثلاثة على صفحة العنوان.

وتبادر الى أذهاننا أول الأمر أن دار البشائر قد تصرفت من جانبها فأصدرت الكتاب باسم محقق واحد متجاهلة شريكه أو أن الضامن وجدها سانحة بعد انتقال أستاذه الى الرفيق الباقي وانقطاع اخبار زميله التركي فأخفى الاسمين وقدم لدار النشر الكتاب موحيا تملكه إياه منفردا على عادته في نسبة آراء الباحثين الى نفسه أو صلبها في مؤلفاته أحيانا من دون الإشارة الى سبقهم أو

* سبق للدكتور الضامن أن نشر شعر الخليل الفراهيدي في مجلة (البلاغ) ع: ٢ - ٣ سنة ١٩٧٣ بالاشتراك مع المرحوم ضياء الدين الحيدري، ثم لما أعاد نشره في كتابه (عشرة شعراء مفقون) حذف اسم شريكه في الجمع والتحقيق (المورد).



ونحن نعجب بعد هذا الاعتراف من أن يهبط الى هذا المستوى من حصل على أرفع لقب علمي في العلوم الإنسانية، وشغل مناصب لإدارة شؤون الدراسات العليا. فمن أستاذ تدريسي في أقدم كلية بجامعة بغداد^(*) إلى مسؤول في عمادتها عن الشؤون العلمية والدراسات العليا، الى رئيس قسم اللغة العربية فيها.

وأول غاية عليه تحقيقها في هذه المواقع توجيه طلبته الى تحري الصدق والأمانة وعفة النفس، وإلى البعد عن عقوق الاساتذة وعن المساس بسمعتهم، لا سيما الأموات منهم، فضلا عن رعاية حقوق الأخوة والصدافة التي تربطه بغير العراقيين الذين خدموا اللغة العربية، ويسروا إحياء ميراثها بتقديم المخطوط بين ايدي المحققين.

لو كان الضامن قد حذف الاسمين واكتفى لكان الخطب أيسر ولكنه سجل على نفسه مخالفات أدبية وعلمية. فقد كان قادرا، لو كان أمينا، على أن يعتذر من أول الأمر عن الالتزام بالشرطين اللذين قدمهما له أستاذه وأن يترك العمل لغيره لولا أن غره المخطوط النفيس والأثر الوحيد الذي تحمل الدكتور تورال عناء تصويره وجلبه من تركيا أو نسخه على ما فيه من قدم وصعوبة في القراءة، وهو بذلك قد يسر أمر تحقيقه وتقريبه من الإنجاز. إن تصرف الدكتور الضامن والقول الذي اطلق فيه (الحقيقة) المؤلة بعد سبع عشرة سنة يشير ان الى ما يمس سمعة المجمع العلمي العتيد، وسمعة أعضائه وسمعة الباحث العراقي وأساتيد الجامعة، وذلك من خلال الآتي:

اولا: أنه حاول استغلال أرفع مؤسسة علمية في القطر تقوم على رعاية اللغة العربية والحفاظ على سمعة أبنائها وخدامها، فارتضى ان يقدم نتاجا

منسوباً الى ثلاثة اشخاص زورا، لأن الذي قام به هو واحد فقط لم يشاركه فيه أحد على ما صرح هو نفسه به.

ثانيا: وصف نفسه بالمساومة على حساب الأمانة العلمية بإقدامه على طلب نشر كتاب اعترف بأنه لم يشتغل فيه احد سواه، لكنه ارتضى أن يضيف معه آخرين. ولعل احدهما قد حصل على ترقية علمية بالكتاب، فتكون على هذا ترقية مزورة ناتجة عن سرقة جهد الدكتور الضامن.

ثالثا: تضمن كلامه اتهاما صريحا لعالم مجمي واستاذ من اساتذة جامعة بغداد، اتهمه بابتزاز جهد طلبته العلمي، ونسبة نتاجهم الى نفسه وحاشاه، لقاء تيسير طبعه في الدائرة التي ينتسب اليها مستغلا موقعه الوظيفي فيها.

رابعا: وفي هذا تجريح بالمؤسسة وتشكيك بامانة منتسبيها، واجترأ على أحد اعضاء اسرتها بعد موته. ونظن أن العدالة تقتضي ان تنتصف لنفسها ولمنتسبيها أمام القضاء.

خامسا: وفي تصرف الضامن نتج ضياع حقوق معنوية وحقوق مادية، وهي حجب ما قام به كل من الأساتذتين من عمل علمي في مجال تحقيق التراث، واخفاء عمليهما عن المؤرخين وعن الأجيال اللاحقة، وحجب الحقوق المادية عن ورثة المرحوم القيسي والاستاذ التركي حسين تورال.

سادسا: بالموازنة بين النشرتين لم أقف على خلاف بينهما او زيادة معلومات أو تنقيحات اصولية. ويكون ادعاء الضامن تنقيح الكتاب أو إضافة جديد إليه غير صحيح.

سابعا: واما احتجاجه بات المرحوم الشاعر وليد الأعظمي كان على علم بما جرى فهو تشبث ضعيف لتبرير التصرف يكذبه أن المرحوم الخطاط

^{**} لم تكن الاداب اقدم كلية في جامعة بغداد (المورد).



الأمر. واقترح الآتي:

أولاً: مفاتحة دار البشائر للطباعة والنشر بوجوب تصحيح الخطأ الذي وقعت فيه لأنها علمت أن المطبوع صادر عن المجمع العلمي العراقي الذي له الحق وحده في التصرف به وان تثبت اسم المحققين الثلاثة على الغلاف وصفحة العنوان وتذيع الحقيقة للمطالعين.

ثانياً: نشر هذه المذكرة في مطبوعات المجمع وتعميمها على وسائل الإعلام والمؤسسات العلمية في الأقطار العربية.

ثالثاً: مقاضاة الدكتور الضامن على تصرفه المتعمد، وإعادة حقوق الأستاذين المادية والمعنوية، لأن الكتاب صدر عن المجمع.

رابعاً: اعلام الدكتور حسين تورال عن طريق بريده الالكتروني بخبر نشر الكتاب خالياً من اسمه ليقدم ايضاحاً عن جهده في تحقيق المخطوط والمطالبة بحقوقه.

خامساً: كتاب (التذكرة الفخرية) اصدره المجمع العلمي سنة ١٩٨٤ بتحقيق الدكتورين نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن. قام الأخير بنشره ثانية في دار البشائر بدمشق سنة ٢٠٠٤، وحذف من النشرة اسم استاذ القيسي معللاً لذلك بأنه لم يشترك معه في التحقيق إلا بصفحات حذفها من الطبعة الجديدة.

أقول: هذا الكتاب له كلام آخر إن شاء الله.

الأعظمي قد كتب عنوان (دقائق التصريف) واسم مؤلفه واسماء المحققين الثلاثة بخط يده، وختمه بصريح توقيعه. وتلك شهادة منه على اشتراك الثلاثة بالعمل.

ثامناً: ماذا عسى الاستاذ التركي أن يقول عنا نحن العراقيين لو سمع بالخبر وهو الحريص على اللغة العربية، واثمننا على جهده حين اودعه لدى استاذة. فهل يصح أن يكافأ بحذف اسمه من كتاب جلب مخطوطته من تركيا، وبذل جهداً في نسخه وتحقيقه؟!

يبقى أن أشير الى أن المفهوم من ذوي المرحوم القيسي انه كان يجلس في داره مع حسين تورال جلسات طويلة يتحاوران فيها حول الكتاب، ويسجلان ملاحظات عن المخطوط. وعرفت من بعض من كان في المجمع العلمي وغيره أنهما قطعاً شوطاً كبيراً قبل ان يسافر تورال الى بلده، ثم بعدها كما يبدو، اقترح الاستاذ القيسي على تلميذه (الأمين) حاتم الاشتراك في التحقيق الذي تم في حياته، ولا شك ان المرحوم كان يراجع المسودات حتى أخذ طريقه الى النشر عام ١٩٨٧.

نعم قد يبذل بعض المشتركين في التأليف الواحد جهداً أكثر من غيره، وهو أمر غير منكور ولكن لا يحل لأي واحد منهم ان ينفي عن غيره كل عمل في الكتاب. ذلك تجاوز على الحقوق. لذا من حق المجمع الموقر الذي نشر الكتاب أولاً أن يتولى

ديوان ابن وفاء الشاذلي

القسم الثالث

الدكتور عبد الحسن خضير عبيد الحياوي

وقال رضي الله عنه:

الطويل

وبذلك مبسوط، وفضلك نائل

ونيلك مأمول، وغيثك واكف^{١٨}

أيا سيِّداً نلنا الوفاء بحبه

فليس لنا عن منهج الحق صارف

أدرت سلافاً من رحيقك سلسلاً

لمن هو من كأس المحبة راشف

وقد أينعت أزهارُ جودك بالوفا

فها أنا من غرس الحقيقة قاطف

فلله عبد فيكم قط لم يزل

بذكركم تهتئ منه المعاطف

أفضم عليه منحةً من عطائكم

فكم ناله منكم ولاو عواطف

فمن يشهد الأحياء في عين جمعكم

فذاك عن السرِّ المحجَّب كاشف

وجدنا الوفا في يوم جمع مبارك

تعود لنا فيه الليالي السَّوالف

وبمنحنا الرحمن فيه بأنعم

فهنَّ لنا في كل شيء خوالف^{١٩}

إذا فاه عبد في الأنام بمدحكم

فليس له فيما يقول مخالف

يضيق نطاق القول عن وصف حسنكم

وماذا عسى أن يوسع القول واصف

عليكم سلام الله ما هبت الصبا

وما طاف في البيت المحرم طائف

بأكنافٍ هذا الحيِّ إني لطائفُ

فكم نالني بالفتح منه لطائفُ

وسرُّ ولاه في البرية شائعُ

سواء به في الحق بادٍ وعاكفُ

ومن عرفاتٍ سرٌّ معروفه بدا

فكم في حماه للعبيد مواقفُ

وكم بالصفا يسعى محبُّ لنحوه

على أنه في باب مولاه واقفُ

تجلَّى جلال الله فيه فأشرقت

لنا منه أنوار الولا والمعارفُ

ولاح به سرُّ الحقيقة مُعلنًا

فتم لنا فيه الهدى والعوارفُ

بفيض عطاءٍ بالوجود تكرماً

فكم فاز بالمعروف منه طوائفُ

بمحياءكم تحيا القلوب وتهتدي

فيفرح محزون ويأمن خائفُ

ويجبر مكسور ويهدي متيمُ

ويأنس مشتاق وينعم عارفُ

فأنت ملاذ الكل يا علم الهدى

وكلهم من بحر جودك غارفُ

فبشرُك معروف، وفيضك دائمُ

وجودك موجود، وظلك وارف



وقال رضي الله عنه:

البيسط

في حبكم بالهنا أفيت أفناني
وعن سواكم شهود الحق أفناني
فعشت في ظلكم عيش الرضا أبداً
وعين عونكم بالله ترعاني
وأنس قربكم باللطف يصحني
فحيثما كنت، ألقاه ويلقاني
فبالوفاء جبرتم كسر عبدكم
وباللقاء رحمتكم دمعني القاني
وبالولاء جرى رقي لكم أبداً
وأنتم مأمني حقاً وإيماني
ومذتوحد قلبي في شهودكم
لم ينثن عنكم يوماً إلى ثاني
أحن شوقاً إلى لقاءكم فعسى
ترنو لفرط صباباتي وأشجاني
ففضل معروفكم لا ينتهي كرمًا
وبجر عرفانكم بالفيض وافاني
فأنتم القصد لا ابغي بكم بدلاً
وأنتم مطلبي يا نور إنساني
وأنتم سادتي حقاً ومُعتمدي
بنوركم ينجلي همّي وأحزاني
وأنتم حجة ألقى الإله بها
بجكم رجحت والله ميزاني
وأنتم نعمة من الكريم بها
فنعمت في الحمى روعي وجثمانني
شراب وصلكم بالوجد أسكرني
غنيت في الحب عن كأس وأدناني

وصدق حبي لكم بالله يا أملي
لعز عليائكم بالحق أدناني
رضوانكم جنة طاب المقام بها
وجدت فيها نعيمي عند رضواني
نشقت عرف الهوى من طيب نشركم
وطاب وقتي في سري وإعلاني
فعين ذلي لكم بالعز حقني
وسر فقري لكم بالله أغناني
قد بعث روعي فيكم بالقبول عسى
أفوز منه بربح غير ندمان
وأجتلي من مجالي حُسْنكم خللاً
أزهو بها بين خلاني وندماني
أذاب قلبي من حر الغرام جوى
فرد رضوانكم باللطف أحياني
ولا أخص زماناً منكم برضى
إذا الرضى منكم في كل أحيان
فيا قريباً بمعنى القرب حقني
وبالتحية عند الله حيانني
ويا حبيباً بسر اللطف أتحفني
ويا وفيّاً بسروح الفتح وافاني
ويا شهيداً بنور الحق بصّرني
ويا نجياً بسر السر ناجاني
ويا جميلاً تجلّي في مشاهده
وسره بغطاء اللطف غطّاني
ويا غياثاً أتى بالغيث صيّبه
من كل كرب بعون الله تجّاني
ويا وليّاً تولّاني بنعمته
ويا كريماً بفضلي منه والاني



ويا جواداً بجودٍ عَمَّنِي مدداً
ومن عطايا جزيل الفضل أعطاني
ويا بشيراً لنا البشري برؤيته
جلالنا نور تحقيق وعرفاني
اذكر عبيدك عند الله يا سندي
حاشاك يا سيدي في الحشر تنساني
وأوسع الجود فيضاً بالعطا كرمًا
كي ما أجود على صحي وخالاني
إن بحتُ بالسرَّ جهراً غير مكتم
فلا أبالي وساقى الحان أسقاني^{٢٠}
وإن دعوت إلى الله العليّ على
بصيرة فمنادي الحي ناداني
فالله يختصُّ من يرضى برحمته
ويوسع الفضل للقاصي وللداني
والله يدعو إلى دار السلام بكم
وبالهدى يمنح الحسنى بإحسان
وقال رضي الله عنه:

البيسط

يا سادتي يا أحبائي ويا سكني
ما زال معهدكم بين الورى وطني
إني ربيتُ على أعتابكم عمري
ما غبت عن حيكم يوماً من الزمن
معنى خصصتُ به منكم بلا سبب
بل سابق الفضل في الانعام والمنى
كان ابتدائي بكم ثم انتهيت لكم
ما عرفتُ سوى، يا من لهم سكني
موتي ومحياي فيكم يا ضيا بصري
وأنتم مقصدي في السرِّ والعلن

والله لا حِلْتُ عن حبي لكم إبدًا
أنتم سروري وأنتم مُشتكى حزني^{٢١}
ساء الزمان الذي كُنّا نُسرُّ به
وفرقَ الفجر بين الجفن والوسني
وغاص بحر دموع العين من أسفٍ
على جمال مُحيا وجهك الحسني
سقياً ورعيّاً لقبر أنت ساكنه
سقى ثراهُ سحاب العارض الهني
يفنى الزمان ولا تفنى مودَّتكم
ولا انقضى بكم وجدي ولا شجني
لا تسألوا كيف حالِي بعدَ بعدِكم
فالحال يُغني عن التسال للفظن
أضحى وجودي معدوماً وها جِلدي
فيكم وهي وقوى الأعضاء في وهني
طالت عليّ ليالي الهجر واتصلت
حتّى كأنّ ضياء الصبح لم يبي
أبيت أرى نجوم الأفق ساهرة
عيناي حتّى كأنّ النوم لم يكن
هذا قضاءُ إليه العرش من قَدَم
كُلِّ الخليفة في هذا على سنن
فمن رضى فله الرضوان منه كما
قد جاء في مُحكم التنزيل

والسنن

فالله يمنحنا الصبر الجميل بكم
يا ساداتي ويُنجينا من الخن
والله يسقي ثراها صوبَ صبيّه
ما ناحت الأرق تغريداً على فني

مجلة المورد المجلد السادس والثلاثون العدد الثاني ٢٠٠٩

وطاب عيشهم بالله في رَعد
وصلاً هنيئاً على مر الزَّمان حلاً
فهم خواص عباد الله كلهم
وكل وصفٍ علا من وصفهم كملاً
وطاب عيشاً بأحباب يسر بهم
هم الجمال وجوداً والجلال علا
يا طالب الحق قم وانظر لطلعتيه
واشهد بديع معاني قد أتت جملاً
وافت حمياً الحمى فاشرب بلا ملل
شراب ذكرهم بالله قد نهلاً
ماذا تؤمل من صب بهم كلفا
ما مال عن حبهم يوماً ولا عدلاً
فقل لمن لام في أهل الوفا سفهاً
قد جار في ظلمه يوماً وما عدلاً^١
وما ارعوت لمن فيكم يعنني^٢
ولا استمعت له إن لام أو عدلاً^٣
وكل عسر غدا يسراً بقر بهم
وكل صعب غدا في حبهم سهلاً^٤
وكل حُسن بدا من نور وجهكم
أضاء فينا فعم السهل والجبلاً
فالموت فيكم حياة لا انقضاء لها
والصبر فيكم على مر الزَّمان حلاً
طابت بمحياكم الأكوأ قاطبةً
فقد وجدنا من الجدوى بها الأملاً^٥
أنا لكم منه ربُّ العرش تكرمةً
مقام عزٍّ على كل الأنام علا
وقد منحنا بها من فيض فضلكم
شمالاً وصفها للطف قد شمالاً

صبرت نفسي على مرضاتكم أبداً
والصبرُ يجمل إلا عن فناك فلا
هذا مقام الوفا والجمع أنت به
فعقر الخد في أعتابِه ذللاً
واسلك به سبل الخيرات أجمعها
تحظ بعز وفاهها بين كل ملا
وقال رضي الله عنه:

البيسط
مذ حن قلبي إلى لقاءكم وصبا
لم يلق في وجده همّاً ولا صبا^٦
وارتاح نحو حماكم ناشقاً أرجاً
نسيم عرف وفاء من حيكم وصبا
من جاءكم بالصفاء يسعي لبيتكم
لم يلق في سعيه نصباً ولا نصبا
لما تحقّق قلبي بالوفاء لكم
جذبتموه بسر اللطف فانجذبوا
ومن أفضتم عليه نور مشهديكم
ما ظلّ عن وجهكم يوماً ولا حجباً
ومن تواضع ذلاً في محبتكم
رفعتموه إلى أعلى العلا ربّنا
ومن تحقّق في مقصوده بكم
فالسعد يُخدمه في كل ما طلبنا
فأنتم القصد والمأمول يا أملي
لعارف رام من أعلى العلى ربّنا^٧
وأنتم الغاية القصوى لمفتقر
إليكم، بكم عن نفسه ذهبنا
لما جلا بجمال الكون حسنكم
هام الوجود بكم من وجده طربنا

جذبتم العبد بالحسنى لحضرتهكم
فمن رآكم رأى المقصود والسبب
في حبكم نفحات الرحمة انتشرت
فعمّ معروفها الأعجام والعربا
نفس بنفسك في أنفاس حبهم
وكن لها في سبيل الحب محتسبا
واسع على الرأس والأحداق مبهجاً
ببابهم لتؤدي بعض ما وجبا
هم الأحبة ساداتي فكن لهم
عبداً وقيماً ووافيهم ترى عجباً^{٢٧}
وافيت فحسبي الذي وافى بكلّ وفا
أعفر الخدّ في أعتابه أدباً^{٢٨}
مستمطر البرّ والمعروف من يده
مستشققاً نشره في طيّ كلّ نيب
قتلت في حبه ما لا انتهاء له
براً وجوداً ومعروفاً له انتسبا
فنور فرقانه بالفتح قد خضعت
له التّهي ولأضراب العقول سبا
يا طالباً فيض فضل الله مُرتقباً
لحيّه ولنور منه مُرتقباً
أبشر بنيل المنى في عزّ حضرته
قد حان وعد الوفا بالحق واقتربا
أقام قلبي على إخلاص حبكم
وما وجدت له عن ذاك منقلباً
تحية الحيّ تسري السرور لكم
ما لاح نجم بأفقي الحيّ أو غربا
وقال رضي الله عنه:

فَحْنُ يَا سَادَتِي إِلَيْكُمْ نَصِيرُ
وَلَنَا مِنْكُمْ وَلِيٌّ نَصِيرُ
وَقُلُوبَ الْعَشَّاقِ مِنْكُمْ أَنْارَتْ
وَتَلَاهَا عَلَى الْإِنَارَةِ نُورُ
وَمُحْيَا جَمَالَكُمْ قَدْ تَبَدَّى
فَحُمِّيَّا الْوَفَاءِ عَلَيْنَا تَدْوَرُ
قَدْ جَمَعْتُمْ شَمْلَ الْمَعَانِي لِهَذَا
كُلُّ وَجْدٍ إِلَى حِمَاكُمْ يَسِيرُ
فَأَسْمَحُوا لِي وَلَوْ بِطَيِّفِ خَيَالٍ
فَكَثِيرٌ مِنَ الْحَبِيبِ الْيَسِيرُ
قَدْ أَمِنَّا الْعِدَا بِكُمْ وَالْعَوَادِي
فِي حِمَاكُمْ مِنْ جَوْرِهِمْ نَسْتَجِيرُ
مَذْرُغُنَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاكُمْ
كُلُّ أَوْقَاتِنَا لَدَيْكُمْ حَاضِرُ
يَا أَهْلِيلَ الْوَفَاءِ وَالْجُودِ حَقًّا
قَدْ حَبَاكُمْ بِهِ الْمَلِكُ الْقَدِيرُ
فَعَلَيْكُمْ مِنَ الْإِلَهِ جَمَالُ
وَبـــــــــــــــــهَاءٌ وَنَظَرَةٌ وَسُرُورُ
أَنْظُرُوا نَظْرَةً لَضِعْفِي وَفُقْرِي
إِنِّي عَنْ وَلَائِكُمْ لَا أَجُورُ
وَصَلُّوا مُدْنِفًا كَثِيرًا مَشُوقًا
كَادَ مِنْ شَوْقِهِ إِلَيْكُمْ يَطِيرُ
فِيكُمْ سَادَتِي تُفَاضُ الْعَطَايَا
وَإِلَيْكُمْ دَاعِيَ الْوَفَاءِ يَسِيرُ
فَأَضَاءَتْ بِهِ الْبَصَائِرُ نُورًا
وَاطْمَأَنَّتْ بــــــــــــــــــــــا اللَّهُ مِّنَّا الصَّدُورُ
وَجَمَعْنَا لِيَوْمِ جَمْعٍ مُحِيطٍ
فَإِلَيْهِ حـــــــــــــــــــــاقًّا تَصِيرُ الْأُمُورُ

الخطوا العبد لحظةً من ولاكم
فقليل التوال منكم كثير

قد دعينا حبكم فاستجبنا
مذأتانا من الحبيب بشير

قد وفاني من حبيكم كل جود
فإليه على العيون أسير

هذه حضرة الوفا تمموها
فمقام الوفا علي كبير

فيه كل الوجود للحبي تعنو
بجمال منه الشمس تنور^{٢٩}

هو قطب الوجود من غير شك
وعليه معنى الكمال يدور

وحماه مقام جمع محيط
فيه يهنا العاني ويغنى الفقير

وتضيء الآفاق منه لهذا
كل كون من نوره مستنير

وله في القلوب معنى بدیع
وبها يزهر وحسن نظير^{٣٠}

وسناء وبهجة وكمال
ماله في مرأى العيون نظير

فصغير الحب فيه كبير
وقليل الحب فيه كبير^{٣١}

قد وفا الكون نفحة من شذاه
بنسيم يفوح منه العبير

فاستطاب الوجود شرقاً وغرباً
ووفاه منه الوفا والسرور

لست أسلو عن حبكم ياملاذي
فولاكم تجارة لا تبور

نسأل الله سرنا بجميل
في ذراكم فهو اللطيف

الخير^{٣٢}
وينيل العبد خير نوال

بوفاكم فهو اللطيف الخير^{٣٣}
فعليكم تحية وسلام

وأمان من الإله ونور^{٣٤}
وقال رضي الله عنه:

الوافر
طرحنا النفس للمحبوب أرضا

فكنّا عنده في الحب أرضى
ملك قد رقى رتب المعالي

ونال الأنس إبراماً ونقضا
وقد قامت شواهد فحقاً

له بالحسن والإحسان يقضى
له جمعت جنود الحب طوعاً

وقد عرضت لما يختار عرضاً
بدا من نور بهجته ضياء

أنار الأرض طولاً ثم عرضاً
وعاملنا بربح منه يغنى

عن الدنيا به عينا وعرضاً
بفيض منه وافانا جميعاً

فطهرنا به ديناً وعرضاً
تعرف بالوفا للحق حقاً

ودان الله بالتقوى وأرضى
وبث الجود والجدوى فأضحت

محبته على الأكوان فرضاً
بعفو منه قد وسع المعالي

فعمم بالرضا كلاً وبعضاً



شُغِلْتُ بِحَبِّهِ كُلَّ اللَّيَالِي
وَقَدْ مَلَأْتُ عَيُونَ النَّاسِ غَمَضًا
فَكُلَّ جَمِيلٍ وَصَفِيٍّ مِنْهُ أَبَدِي
وَعَنْ كُلِّ الْمَسَاوِي مِنْكَ أَغْضِي
إِذَا رَفَعَ الْحِجَابَ لَنَا جِزْمَنَا
بِأَنْ نَلْقَى بِهِ فِي الْعَيْشِ خَفَضًا
أَقْمَنَا سَنَةَ الْمُخْتَارِ لِمَا
رَفَضْنَا غَيْرَهَا بِالْحَقِّ رَفَضًا
وَنَلْقَى الْأَمْنَ مِنْ مَوْلَى عَلِيٍّ
نَهَضْنَا نَحْوَهُ بِاللَّهِ نَهَضًا
فَفَضَّلْنَا وَصَيَّرْنَا عَيْدًا
وَفَضَّلْنَا لَنَا خَتَامَ الْفَتْحِ فَضًّا
كَفَانَا أَنْ نَكُونَ لَهُ أَرْقَا
وَأَنَا بِالَّذِي يَرْضَاهُ نَرْضِي
وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الطَّوِيلُ
أَيَا سَيِّدِ السَّادَاتِ يَا عِلْمَ الْهَدَى
يَا مَنْ لَدَيْنَ اللَّهِ بِالْحَقِّ أَيْدًا
وَيَا رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَيَا طَيِّبًا قَدْ طَابَ أَصْلًا وَمَحْتَدًا
بِكَ انْتَمَتِ الْأَمْلاكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَفِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ كُلِّ بَكٍ

اِقْتَدَى
فَمَا زِلْتُ حَقًّا لِلنَّبِيِّينَ كُلِّهِمْ
إِمَامًا وَمَهْدِيًا وَعَيْنًا وَسَيِّدًا
وَأَنْتَ إِلَى الرَّحْمَنِ أَعْلَى وَسِيلَةٌ
وَمَا زِلْتُ لِلرَّاجِينَ مَلْجَأً وَمَقْصِدًا
لَقَدْ شَهِدْتَ ظَهْرَ الْفَلَاحِ إِذْ سَأَلْتُهَا
بِأَنَّكَ مَبْعُوثٌ مِنَ اللَّهِ بِالْهَدَى

وَقَدْ خَصَّكَ الرَّحْمَنُ بِاسْمٍ مِنْ اسْمِهِ
فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَسَمَّاكَ أَحْمَدًا
لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ
تَعَجَّلْهَا قَدَمًا إِذَا الْخُطْبُ أَجْهَدًا
وَدَعْوَتُكَ الْعِظْمَى وَأَنْتَ خِبَاتُهَا
شِفَاعَةٌ إِكْرَامٍ لَنَجْلُو بِهَا الصَّدَا^{٣٣}
وَلَسْنَا لَذَا أَهْلًا وَلَكِنْ تَفَضَّلًا
خَلَّاتُكَ مِنْ بِلَالِ الْمَكْرَمَاتِ تَعَوَّدًا
تَقُومُ مَقَامًا يَرْغِبُ النَّاسُ كُلُّهُمْ
لِفَضْلِكَ يَا مَعْرُوفَ بِالْفَضْلِ وَالنَّدَا
يَقُولُ خَلِيلُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَرْسَلٍ
بِأَمْتِكَ الْحَقْنِي فَقَدْ طَبْتُ مَوْرِدًا
وَلَمَّا دَعَوْتَ الْبَدْرَ أَقْبَلَ طَائِعًا
رَخَّرَ انْشِقَاقًا فِي مِقَابِلَةِ الْعَدَا^{٣٤}
وَهَذَا مَقَامُ عَظَمِ اللَّهِ شَأْنُهُ
كَفَانَا بِهِ فَخْرًا وَمَجْدًا وَسُؤْدَدًا
جَعَلْنَا عَلَى طَوْلِ الْمَدَى خَيْرَ أَمَةٍ
بِطَوْلٍ لَهُ فَضْلٌ عَلَيْنَا تَابَّدَا
إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ وَجَّهَتْ وَجْهَتِي
تَوَجَّهَ عَبْدٌ عَنْ سِوَاكَ تَجَرَّدَا
فَأَنْتَ رَجَائِي فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا
وَأَنْتَ لِكُلِّ الْخَلْقِ جَاهًا وَسَيِّدًا^{٣٥}
وَدَاعٍ إِلَيَّ اللَّهُ الْعَلِيِّ بِإِذْنِهِ
سِرًّا رَاجَا مُنِيرًا فِي الْعِلَامِ مَتَوَقَّدًا
وَأَرْسَلْتَ الرَّحْمَنَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
تُؤَمِّنُنَا شَرًّا مِنَ الْخَوَافِ وَالرَّدَى
وَأَنْتَ مَلَاذُ الْكَائِنَاتِ بِأَسْرَهَا
وَفِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِكَ اللَّهُ أَسْعَدَا

وانك أعلى المرسلين وسيلة
وأعلاهم قدراً وأوسعهم ندا
وأكثرهم علماً، وأرفعهم سنّاً
وأسمحهم كفاً، وأنداهم يدا
وأقربهم من ربّيه في كرامة
وأنبئتهم جيشاً، وأوفاهم هدى
فيا خير مبعوث ويا خير مرسل
ويا خير من وافى بسؤلٍ وامجد
ويا حرم الله الذي من يؤمّه
يوافيه بالأمن الوفي وبالأهدى
ويا كعبةً محجوبةً لأولي الثهي
ويا مسجداً أقصى لمن رام مقصدا
ويا سيّد السادات أنت وسيلتي
إلى الله في غفرانٍ ذنبيّ تبيّأً كذا
فهذا الذي قد قيل حقّ محقّق
حديثاً أتانا من جنابك مُسنّدا
فلا زال نورُ الحقّ فينا محقّقاً
بملكك العظمى على الدهر والمدى^{٢٤}
ولا زلت للراجين ملجأً ومقصداً
وأمنّاً وإيماناً وغوثاً ومنجداً
فأنت الرّجا يا منقذي من مخاوفي
وأنت الذي باللهِ للهِ ارشداً
عليك صلاة الله ثمّ سلامه
دوماً عليّ مرّ الجديدين سرمداً^{٢٥}
وآلك والأصحاب دامت صلاتهم
مواصلةً من فيض فضلك سرمداً
وقال رضي الله عنه:

البسيط

شربتُ من حبّكم كأساً حلاً وصفاً
معنىً تحيّر فيه كل من وصفاً^{٢٦}
فاستغرق الوجد أجزائي وقد ملئت
من نور معناكم الأوفى هدىً وشفاً
لو جئت حيّكم أسعى على بصري
لكان لي غاية التعظيم والشرفا
تالله ما نظرت عيني لوجهكم
إلا امتلأت سروراً واكتسبت وصفاً
ولا تذكّرت أني عبد حبّكم
إلا طربت وأهدى الوجد لي تحففاً^{٢٧}
عمرتم بالوفا الوافي فؤاد فتّي
ما همّ يومٌ بسـلوانٍ ولا هتفاً^{٢٨}
هذا الجمال الذي كان الوجود له
وطاب من عرفه بـالله من عرفا
روحي لكم لم تزل بالغيب شاهدةً
والقلب عن حبّكم بالله ما انصرفا
صيرت عزمي وداعي السوق يصحبي
حتى انتهى بي إلى أبوابكم وقفاً^{٢٩}
ثم استقرّيتُ في أبواب حضرتكم
قريب عيـن بـوصلٍ بعد طول جفا
يا سادةً ملأ الأكوّان فيضهم
ما زال كلّ لكم بالفضل معترفاً
وأبحر الجود منكم بالوفا أبداً
تجري لمن ظلّ منها اليوم مغترفاً
سحّت سحائب فيض الجود من يدكم
فأمطرت بـالوفا غيثاً لنا وكفاً
ما غاب عبدٌ لكم عن أنس حضرتكم
إلا وكان معنيّ بـبعدكم دينفاً



وعبد سما قدراً بحبك سيّد
وليس الذي يعلو بأمرك واضع
ومذ حلّ قلبي عقد عهدك بالوفا
ظفرت بـكـرّ ليس فيه موانع
جزمت بنصب الكسر لما نصبت لي
لواء له عزّ الولاية رافع
وواجهتني بالفتح من كلّ وجهة
فما أنا للسـرّ الخفيّ مطالع
تبذت سماء الحسن منك وإنما
لأشراق أنوار الحبيب مطالع
ولما تبدّى نور وجهك في الدجى
تبذت له منه البروق اللوامع
وأشرقت الأنوار منك بطلعة
بها نور وجه الحقّ في الخلق ساطع
فمعناك منه الحقّ يبدو لأهله
ووجهك فرد للمحاسن جامع
وقلب الذي يهواك بالله عامر
ونجم الذي وافاك بـالنور طالع
وعيش الذي ترضاه بالله طيب
وصدر الذي وافاك بالرحب واسع
لك الجود والجدوى، لك القبض والعطا
لك الحسن والحسنى، لك النصر تابع
لك السعد والإقبال والأمن والولا
بـفضل وفيّ ليس فيه تنازع
رياض نعيم بالحدائق أحدقت
وفيها لمن يبغي الورود مشارع
ومن يعتصم بالله أنت وئيه
وليس له من حبل وصليك قاطع

ولا استقام على قصد السبيل لكم
إلا وكان بروح الجمع مؤتلفا
ضياء الوجود لنا من نور طلعتكم
لما طلعتم بسرّ الحقّ بعد خفا
وطاب أهل الولا من طيب نشركم
وقد أفضتم عليه منحة ووفاء
منحتم العبد اقبالا بحضرتكم
فما انتشى عنكم يوماً ولا صرفا
كلّ الجواهر إن قيست بجوهركم
كانت له عند أرباب النهى صدفا
منحتم العبد اقبالا بحضرتكم
فما انتشى عنكم يوماً ولا صرفا
يا جيرة الحيّ يا أهل الوفاء ويا
عين الوجود ومنهم في الورى خلفا
والله ما علقت روعي لغيركم
ولا استبدلت يوماً عنكم خلفاً^{٣٧}
ومذ خصصت بحبّ منكم ورضي
فلمست ألقى لشيء بعدكم أسفا
فالله يحفظنا فيكم ويحشرنا
يوم اللقا موالى سيّد الحنفا
محمد المصطفى الهادي البشير ومن
بنور فرقـانـه كلّ الظلام نفا
عليه منا صلاة فضلها أبداً
يعود منه إلينا الرضى وكفى
وقال رضي الله عنه:

الطويل

ثناؤك في الأكوان كالمسك ضائع
وسعي الذي يسعي لغيرك ضائع



نظرت إلى ضعفي باطفك نظرة
لها في فؤادي بالشفاء مواقع
وأوليتني جوداً وعطفاً ورحمة
فدام سروري والولا متابع
فأنت رجائي في الشدائد كلها
وملتجئي يا من إليه أسارع
وأنت هدى قلبي ومبلغ حاجتي
ولي عند رب العرش في الحشر شافع
تقطع أوصالي وتغني تعيني
ولا انقطع مني إليك المطامع
أروح وأغدو في حماك وإني
بفضلك في روضات جودك رافع
فمعناك في قلبي وذكرك في فمي
وصدق غرامي فيك بالحب شايع

نسجت لنا سبل الهداية والتقوى
فكم في طريق الحق منك شـرائع؟
وأودعت أعيان الوجود حقائقاً
بها كل موجود إلى الله راجع
وعند رجوع الكل عوداً لبيده
تُرث إلينا بـالوفاء الودائع
فما زلت معروفاً بمعروفك الذي
له عند كل العالمين صنائع
وألقى عليك الله منه محبة
فأنت إذن بالله راءٍ وسامع
أدام بك الرحمن فينا ولاءه
فليس لما يعطي من الخير مانع

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم ردي

المصادر والمراجع

مجزوماً (تنل) لوقوعه جواباً وهو قوله (أخلص).
٢٣. الشطر الثاني فيه زيادة في الوزن. وقد تكررت
هذه الزيادة في بيت سابق من هذه القصيدة.
* لا يستقيم الوزن الاب "لا تحتشي" "المورد".
٢٤. البيت فيه إبطاء وهو تكرار القافية التي وردت
في البيت السابق بالكلمة نفسها وبالمعنى نفسه.
٢٥. الشطر الأول يستقيم بقوله (فما).
* الشطر الثاني مكسور. "المورد".
٢٦. المفروض على الشاعر أن يبتعد عن تكرار
القافية في أبيات متقاربة فقد وردت كلمة (رتب)
مكررة في هذا البيت والبيت السابق له بفاصل واحد
فقط.
٢٧. الشطر الثاني من البيت يجب أن يكون فيه

* يستقيم الوزن بـ "وبل جوده" "المورد".
١٨. وكف البيت أي قطر. والغيث السحب والمطر.
١٩. الفعل (منج) فعل معتد بنفسه ومفعوله
(أنعم) ولا يتعدى بحرف الجر إلا إذا كان المقصود
من الفعل (منج) هنا بمعنى (غمر) أي تضمين
معنى وهو جائز.
٢٠. أسقاء: قال له سقياً، أو سقاك الله.
* وضع كلمة "لكم" بعد "لا جلت" ثم كررها بعد
حبي فخذفت الأولى ليستقيم الوزن "المورد".
٢١. الشطر الثاني فيه زيادة في الوزن. ويستقيم
بوضع كلمة (ذي) بدلاً من (كل).
* الشطر الثاني من البيت مكسور. (المورد)
٢٢. الفعل (تنال) في الشطر الثاني يجب أن يكون



الفعالان (واف) و(تر) مجزومين بوصفهما طلباً وجوابه ولكن الشاعر لم ينتبه لهذا الخطأ النحوي.

٢٨ الشطر الأول فيه زيادة بالوزن، ويستقيم بحذف التاء من (وافيت) ويستقيم الشطر الثاني بقوله (وعفر).

٢٩ الشطر الثاني مختل الوزن، والفعل (تنير) أصح من (تنور) ويستقيم البيت بقوله: بجمال والشمس منه تنير. ولعل الخطأ حدث سهواً من الناسخ.

٣٠ الشطر الثاني مختل الوزن، بل تحول إلى بحر المديد، ويستقيم بقوله (وبها مزهؤ وحسن نضير) أو (وبها يزهو بل وحسن نضير).

٣١ من الأفضل وضع حرف الواو قبل كلمة (الجب) في الشطرين بدلاً من همزة القطع لأنها تؤدي إلى إرباك موسيقية البيت.

٣٢ البيت فيه إبطاء بتكرار القافية التي وردت في البيت السابق بالكلمة نفسها والمعنى نفسه.

★ وضعت شدة على "مهدياً" والصحيح حذفها.

★ وضعت واو بين قوسين ليستقيم الوزن "المورد".

★ وضعنا "ولاً" بدل "ولا" ليستقيم الوزن "المورد".

٣٣ الشطر الأول يستقيم بوضع واو قبل كلمة

(أنت).

٣٤ الأصح ان يقال (ما زال لأن (ما) تدل على الظرفية وقد أيد هذا بقوله (على الدهر والمدي)، بينما (لا زال) تكون في معرض الدعاء وهذا ينطبق على البيت الذي يليه.

★ كلمة "دوما" بدل دوما تجعل الوزن صحيحاً.

"المورد"

★ واكتسبت صفاً صحيحة في المعنى والوزن.

"المورد"

٣٥ الصواب أن يقول وما تذكرت على الصدرية الظرفية بوصفها معطوفة على ما نظرت.

٣٦ الصواب ان يقول ما هم يوماً بالنصب على الظرفية.

★ واضح ان الكلمة الصحيحة هي "وداعي الشوق".

"المورد"

٣٧ الشطر الثاني من البيت فيه نقصان في الوزن.

ويستقيم بقوله ولا تبدلت ثم أن قافية هذا البيت

فيها عيب وهو تكرار كلمة (خلف) التي جاءت في

قافية البيت السابق وهذا العيب يسمى (الإبطاء).





علي بن الغدير الغنوي

سيرته وما بقي من شعره

أ. د. عبد اللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد - كلية الآداب

اسمه ولقبه : هو علي بن الغدير بن مضر بن قيس بن حجوان بن مطمع بن كعب بن ثعلبة بن سعد^(١) ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غني بن أعصر^(٢) بن سعد بن قيس بن عيلان^(٣) ، فارس شاعر ، فصيح اللسان ، له شعر كثير ، له حديث مع عبد الملك بن مروان^(٤) ، قال الأمازي : هو علي بن منصور بن حجوان بن لأي بن مطمع بن حبيب بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، شاعر فارس^(٥) ، فيما قال ابن حزم الأندلسي هو : علي بن الغدير بن مضر بن قيس بن حجوان ابن مطمع بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب الشاعر^(٦) وهو من شعراء الدولة الأموية الفرسان^(٧) وقد وهم ابن ميمون حين قال^(٨) : (علي بن الغدير السهمي) ولعل سبب هذا الوهم كما يحلله د. حاتم الضامن هو أن ابن ميمون خلط بين بشامة بن الغدير الذي ينتهي نسبه إلى سهم بن مرة^(٩) ، وبين علي بن الغدير الغنوي ، كان علي بن الغدير الغنوي من أنصار بني أمية ، ومن شيعة آل أبي سفيان ، وكان من المقدمين في مجالسهم ، فقد عاصر خمسة من خلفائهم وهم : معاوية بن أبي سفيان ، يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، ولما توفي معاوية دخل على ابنه يزيد يعزيه بوفاة أبيه معاوية قائلاً^(١٠) :

تعلمها الكهول المرد حتى
تذل بها الأكف وتستقيدا
تلقفها يزيد عن أبيه
فدونكها معاوي عن يزيد
أديروها بني حرب عليكم
ولا ترموا بها الغرض البعيدا
وما زال يحث يزيد ويحرضه على جعل ولاية العهد
في ابنه معاوية حتى لا يطمع فيها الآخرون من بني
أمية^(١١) :
يزيد يا ابن أبي سفيان هل لكم
إلى سناء ومجد غير منصرم
اعزم عزيمة أمر غي رشدا
قبل الوفاة وقطع قالة الكلم

تعزوا يا بني حرب بصبر
فمن هذا الذي يرجو الخلودا
لعمروناهن بطن جمع
لقد جهزتم ميتا فقيدا
لقد وارى قليبكم ثباتا
وحلما لا كفاء له وجودا
وكان يلح على يزيد بن معاوية ويوصيه أن لا يدع
الخلافة تخرج من البيت السفياني إلى غيرهم ،
فالجميع مثل الأسود يتربصون بها لينالوها ، ولكن
أنتم بني حرب تمسكوا بها ، ابن عن أب ولا تدعوها
تفلت من أيديكم^(١٢) :
خلافة ربكم كونوا عليها
إذا غمزت غنابسة أسودا

واقدر بقائلکم خذها یزید فقل
خذها معاوی لا تعجز ولا تلم
إن الخلافة إن تثبت لثالثکم
تثبت أواخیها فیکم فلا ترم

وأخيراً أستمع يزيد لنصح علي بن الغدير، فجعل ولاية العهد لابنه معاوية الذي تملك الخلافة أربعين يوماً، ثم تخلى عنها، ليركها، تتصارع عليها قسروم بني أمية وأنصارهم من جهة وأعدائهم من جهة أخرى، ولتكون فتنة كبرى، قال الشاعر أرثم الفراري فيها^(١٣)

إني أرى فتنة قد حان أولها

والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وقد انتهت تلك الفتنة بمعركة مرج راهط في سنة ٦٤هـ^(١٤)، والتي دارت رحاها بين مروان بن الحكم زعيم بني أمية وأنصارهم من القيسية وكان عددهم ثلاثة عشر ألف مقاتل وخصومهم من القبائل اليمانية ويقودهم الضحاك بن قيس وكان عدد جيشهم ثلاثين ألف مقاتل^(١٥)، وقد كان عبيد الله بن زياد على

ميمنة مروان، فيما كان عمرو بن سعيد بن العاص على الميسرة، فيما كان زفر بن الحارث مساعدا للضحاك، فالتقوا في منطقة مرج راهط، واقتتلوا قتالا شديدا استمر لمدة عشرين يوما، ثم دارت الدائرة على الضحاك وجيشه، انتهت بمقتله مع مقتل تسعة آلاف رجل من القيسية، وفرار مساعده زفر بن الحارث، لينجو بنفسه، تاركا وراءه الضحاك نهبا للرماح والسيوف، فضلا عن مقتل ألف وثلاثمائة رجل من أهل اليمن^(١٣)، ليستتب الأمر لمروان ابن حكم

• وكان على بن الغدير يقاتل في صفوف الأمويين^(١٤) •

فقال عبد الملك : لا ، قال علي :

ولم يكن علي بن الغدير مقتنعاً بما آلت إليه الخلافة
لأنه لم يكن من أنصار البيت المرواني ولا من محبي
مروان بن الحكم وبنيه إلا أنه كان لا يريد الخلافة أن
تخرج من قريش ولا سيما الأمويين منهم، لذلك قاتل
في معركة مرج راهط في صفوف الأمويين، ولكنه لما

أسقطا البيتين الخامس والسابع من روايتهما، وأن اسقاط البيتين المذكورين أحدث خلافا في رواية القصيدة، فضلا عن أهمية البيتين بالنسبة للقصيدة ومناسبتها، وقد أيد الأصمعي صحة رواية أبا تمام وذلك في شرحه للبيت الأخير من القصيدة^(٢٤).

٢. القصيدة الثانية ومطلعها:

إنا نقول ويقضي الله مقتدرا

مهما يدم ربنا من صالح يدم

ابن سلام أسقط مقدمة القصيدة وهي مقدمة طلبية تتكون من بيت واحد، في حين أن أبا تمام ذكره كما قاله الشاعر، ولم يهمله لأن الأمانة في الرواية تحتم عليه أن ينقل القصيدة كما قالها الشاعر، والمطلع هو:

يا دار ليلي بلي فذي حسم

فجانب القف ذي القيعان فالأكم

٣. أن أبا تمام وإن كان متزامنا مع ابن سلام وابن الأعرابي إلا أن مروياته واختياراته أجود منهما باتفاق العلماء والرواة الذين قالوا عن اختياراته (كان في اختياراته أشعر منه في شعره)^(٢٥).

وبذلك رجحت أن القصيدتين لعلي بن الغدير الغنوي وليست لعبدالله بن همام السلولي. ولقد ضاع معظم شعر علي بن الغدير الغنوي كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لذا لم يصل إلينا من شعره إلا أربع قصائد، وثلاث قطع، ومنتفة، وبيتان مفردان، أما البحور التي نظم فيها شعره فهي أربعة بحور هي كما يأتي:

(١) البحر الطويل ونظم فيه أربعة نصوص تمثلت في قصيدة^(٢٦) وقطعة^(٢٧)، ومنتفة^(٢٨)، وبيت مفرد^(٢٩).
(٢) البحر الكامل ونظم فيه ثلاثة نصوص تمثلت في قصيدة^(٣٠)، وقطعة^(٣١)، وبيت مفرد^(٣٢).
(٣) البحر الوافر ونظم فيه نصين تمثلا في قصيدة^(٣٣)، وقطعة^(٣٤).

(٤) البحر البسيط ونظم فيه نصا واحدا تمثل في قصيدة^(٣٥).

منهج في تحقيق الشعر

لم تذكر لنا المصادر القديمة التي اهتمت بصناعة

عنه خبرا بعد لقائه عبد الملك بن مروان، والراجح عندي أنه مات، وانقطعت أخباره، وبذلك طويت صفحة حياته بهذا الشكل الغامض المبهم.

مكانته الأدبية: لم يكن علي بن الغدير بالشاعر المقدم بين شعراء عصره، ولم يكن من الشعراء المداحين، ولكن كانت له منزلة اجتماعية رفيعة عند الخلفاء الأمويين فقد عزى يزيد بن معاوية وهناه بالخلافة في موقف واحد، وذلك عندما دخل عليه عقب وفاة أبيه معاوية بن أبي سفيان، وهو من الشعراء المقلين الجيدين، لذلك لم يكن شعره متداولاً بين الرواة، ولولا أبو تمام وتوثيقه لثلاث قصائد من شعره في كتاب نقائض جرير والأخطل، لما ذكره أحد، فهو لم يكن ضمن شعراء الطبقات الإسلامية ولم يكن حظيا عند أصحاب الاختيارات، باستثناء ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) فقد اختار له قصيدة واحدة^(٣٦) لذلك ضنت علينا المصادر بأخباره وبشاعريته، ومع ذلك ذكره ابن الكلبي فقال^(٣٧): (فارس شاعر فصيح اللسان، له شعر كثير) ولكن للأسف ضاع أكثر ذلك الشعر ولم تصل إلينا منه إلا شذرات تمثلت بأربع قصائد، وثلاث قطع، ومنتفة، وبيتين مفردين، أي ما مجموعه (٩٥) بيتا، فيما قال عنه ابن دريد^(٣٨)

: (كان شاعرا فصيحاً قديماً)، وقال عنه الآمدي^(٣٩):

(شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية، وله شعر في فتنة ابن الزبير) وواقع الحال يقول لم يصل إلينا من ذلك الشعر إلا قطعة تتكون من خمسة أبيات لا غير، وله قصيدتان يتنازعهما مع الشاعر عبدالله بن همام السلولي وأنا أرجح أن القصيدتين لعلي بن الغدير الغنوي وذلك لما يأتي

١. القصيدة الأولى ومطلعها:

تعزوا بني حرب بصبر

فمن هذا الذي يرجو الخلودا

رواها أبو تمام كاملة بسبعة عشر بيتا فيما رواها

ابن سلام وابن الأعرابي بخمسة عشر بيتا بعد أن



اليوم أمير المؤمنين! فأنشده

(من البحر الطويل)

- ١- أ صارمة أم لا حبالك زينب؟
وهل بين صرم الحبل والوصل مذهب؟
فقال عبد الملك: لا، فقال علي:
٢- نعم إن أسبابا هي ارتثت القوى
يغر با لمرء الغوي ويكذب
فقال عبد الملك: كذبتني يا ابن لغدير، قبحك الله!

التخريج

البيتان وخبرهما: في المؤلف المختلف: ١٦٤

(٢)

قال علي بن الغدير في محمد بن مروان بن الحكم:
(من البحر الطويل)

- ١- ألم تعرف الأطلال من آل زينبا
بلى لو ترى لطالب الشوق مطلباً
٢- وماذا على ربع وقوفك ضحوة
يذكر عينيك الشجون المنسكبا
٣- ألا يا لقلب قد أشئت به الهوى
ذر الشوق لا يذهب بك الشوق مذهبا
٤- فيا رب باك قد بكى شجو غير
وذي طرب لم يطرب النفس مطربا
٥- بلى قد تراها ناهد الثدي قدعا
يجاوز مخطاها الطرف المحجبا
٦- ليالي تبدي للمفنن منظرا
إذا هي أبدت طرفها العين أصعبا
٧- جبيننا وخدا واضحا وكأنما
شرت مقلتيها شادنا مزيبا
٨- ألا أبلغا عني الهمام محمدا
فهل مبتغي عتباك راح ليعتبا
٩- لعلك تنسى من عياض بلاءه
زمان تسامي بابن مروان مصعبا
١٠- وكنت إذا لاقيتهم عند كربة
جمعت لها الأم الكريمة والأبا
١١- ليالي لا ترضى نضال كنية
ولا طعننا حتى يشد فيضربا
١٢- إذا ما رأى الخرساء يرق بيضها
بلا سيف فيها والسنان المذريا

الدواوين الشعرية أن أحدا من العلماء الرواة وجماع الشعر صنع ديوانا لشعر علي بن الغدير الغنوي، فلم ترد إشارة في الفهرست ولا في ما رواه ابن خير الأشبيلي عن شيوخه عن صناعة ديوان أو مجموع شعري لعلي ابن الغدير الغنوي، وبما أتى وجدت فيما وصل إلينا من شعره يصلح لصناعة ديوان صغير أجمع فيه شتات ما بقي من شعره خدمة للقراء والثرث، فصنعت هذا الديوان، ولا أقول أنني وقفت على كل ما بقي من شعره، لأن ذلك مستحيل، ولكني أقول أنني اجتهدت ولكل مجتهد نصيب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمدا وآله وسلم.

شعر علي بن الغدير الغنوي الذي بين أيدينا قليل ولا يتجاوز الـ (٩٥) الخمسة وتسعين بيتا ومع ذلك رتبته كما يأتي:

١- رتبته حسب الحروف الهجائية، ألف بائية.
٢- إذا كان هناك أكثر من نص على حرف واحد، رتبته حسب نظام الحركات: الكسرة، الضمة، الفتحة، السكون، الملحقه بألف إطلاق، الملحقه بهاء وألف إطلاق.

٣- جعلت مصادر التخريج بعد النص مباشرة مرتبة حسب الكثرة، وإذا تساوى مصدران أو أكثر، فيكون الفيصل هو القدم، فالأقدم هو الأسبق.
٤- جعلت اختلاف الرواية بعد التخريج لتكون قريبة من نظر القاري.

٥- جعلت معاني المفردات مع الهوامش، لكي لا أثقل التخريج.

٦- مصادر معاني المفردات والكلمات الغامضة، هي من مصادر النص.

٧- جعلت النصين المتدافعين بينه وبين الشاعر عبدالله ابن همام السلولي في نهاية المجموع الشعري.

ما بقي من شعره

(١)

قال أبو اليقظان: كان علي بن الغدير من أشعر الناس، ودخل على عبد الملك بن مروان فقال لأكاذيب

القصيدية في قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من

أشعار العرب: ٢٨٧-٢٨٨ عدا البيت ٢٨ فقد ورد في أمالي
القالبي: ١٨١/٢

★ ادعى الباحث ان القصيدة من البحر الكامل وهي من
البحر الطويل (المورد)

★★ شطر البيت الثاني مكسور "المورد"
★★★ البيت (١٨) في الأصل الأدنيين وقد صححت

"الأدنيين" (المورد)

- الأبيات: ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ في أمالي القالبي: ٢/
٢٨١

- الأبيات: ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠ في المؤلف والمختلف: ١٦٤
- البيتان: ٨، ٣٠ في أنساب الأشراف: ١٣ / ٥٦٢٨

- البيت ٣٠ في الفاضل: ٦٨
- البيت ٢٣ في سمط اللآلي: ٧٩٩

- البيتان: ٢٥، ٣٠ في البرصان والعرجان: ٥٤١-٥٤٢ بدون
عزو

- البيتان: ٢٥، ٣٠ في البيان والتبيين: ٢/ ٢٤٢-٢٤٣ بدون
عزو

- البيت: ٣٠ في رسالة مدح النبيذ وصفة اصحابه: ١٨٠
بدون عزو

- البيت: ٣٠ في أمالي الزجاجي: ٣٠ بدون عزو
اختلاف الرواية

٨. الأمير ٠٠٠ وهل مبتغ عتباك إلا لتعتبا في
أنساب الأشراف.

٢٣. - أمره ٠٠٠ قاض ٠٠٠ في أمالي القالبي
٢٧. - دنيا ولم يذمم ٠٠٠ في أمالي القالبي

٢٩. - العريضة ٠٠٠ بأسباب ٠٠٠ في أمالي القالبي
٣٠. - وهل ألا يراح الى الصبا

وآلا ٠٠٠ في أنساب الأشراف.
(٣)

قال علي بن الغدير الغنوي:
(من البحر الكامل)

أ. أنى اهتديت وكنت غير رجيلة
شهدت عليك بما فعلت شهود^(٣٧)

التخريج
- البيت في كتاب الفصوص: ٢ / ١٢٤
(٤)

قال علي بن الغدير الغنوي:

١٣- فلما أصاب الله بالملك أهله
وأعطيت سلطانا من الملك أغلبا

١٤- ودرت لك الدنيا جعلت عطاءه
أداهم في سجن وبابا مضيبا

١٥- فهم بعدهما من يولك الخير يزدرج
سنيحا من العفر البوارح أعضبا

١٦- فلو شاء لم ينقض له طي حبة
عياض ولم يرزأ نضيا مركبا

١٧- أتاني عن مولاك ذاك ابن محرز
على حين قالوا: ساد ذاك وأتربا

١٨- وعن قومه الأدنين دخلان قومهم
بأمر جلي قد أهم وأنصبا

١٩- فلو كان مولى مثلها يا ابن محرز
لألفيته رذءا وراءك مشغبا

٢٠- قليل هجود الليل ما دمت موثقا
مشيحا إليها ذا مخارج قلبا

٢١- له أسرة إن خفت ضيما رايته
رأى الحق أن يحمي حماك ويجديا

٢٢- وذلك من عوف بن كعب سجية
على ما مضى من درهم وتقلب

٢٣- فذو الرأي منا مستفاد لرأيه
وشاهدنا يقضي على من تغيبا

٢٤- إذا غضب المولى لهم غضب الحصى
فلم تر أثرى من حصاهم واصلبا

٢٥- ومن يتفقد مني الظلع يلقي
إذا ما التقينا ظالع الرجل اشيبا

٢٦- وما الظلع إن شاء المليك بمقعدي
ولا رائض مني لذي الضغن مركبا

٢٧- أبى لي أني لا أعير والسدا
لنيما ولم يذمم فعلى فاقصب

٢٨- ولم أنتسب يوما سوى الأصل ابتغي
به ما كلالا يبدني لذل ومشربا

٢٩- ولم تضرب الأرض العريض فروجها
علي بأسداد إذا رمت مذهبا

٣٠- وهلك الفتى أن لا يراح إلى الندى
وان لا يرى شيئا عجيبا فيعجب

التخريج
١٦٤
مجلة المورد المجلد السادس والثلاثون العدد الثاني ٢٠٠٩



(من البحر البسيط)*

- ١- يا قلبُ إنك من أسماء مغرور
فاذكر وهل يتفنعك اليوم تذكير؟
- ٢- تأتي أمور فما تدري أعاجلها
خير لنفسك أم ما فيه تأخير
- ٣- فاستقدر الله خيرا وأرضين به
فإنما العسرُ إذا دارت ميائيرُ
- ٤- وبينما المرء في الأحياء مغتبطا
إذا صار في الرمس تغفوه الأعاصيرُ
- ٥- يبكي الغريب عليه ليس يعرفه
وذو قرابته في الحى مسرور
- ٦- حتى كأن لم يكن لا تذكره
والدهرُ أيتما حل دهايرُ

التخريج

- القطعة في سمط اللالي : ٨٠٠

- القطعة في أمالي القالي : ١٨١ / ٢ - ١٨٢ بدون عزو
* القصيدة من البحر البسيط وليس من الطويل كما

زعم الباحث "المورد"

* * ورد في البيت الأول "وهل ينفعك" فصححت
"يتفنعك" المورد

(٥)

قال علي بن الغدير الغنوي:

(من البحر الطويل)

- ١- أدافع عن مجد تليد وراثته
وقد ترفدُ المجد التليد الطرائفُ

التخريج

- البيت في حلية المحاضرة : ٩٦ / ٢

(٦)

قال علي بن الغدير الغنوي في

(من البحر الطويل)

- ١- من مبلغ قيس بن عيلان كلها
بما احتاز منها أرض نجد وشامها
- ٢- فلا تهلكنكم فتنة كل أهلها
كحيران في طخياء داج ظلامها^(٣٧)
- ٣- فشأن قريش بالخصومة بينها
إذا اختصمت حتى يقوم إمامها
- ٤- هم أخذوها بين حنف معجل
ورخلة خسف لا تزال تسامها

٥- فضموا جناحيكم إلى مرجحة

معا حربها إن حاربت أو سـلامها

٦- وشيخوا سيوف الهند حتى تبنوا

على أي الأعداء يسئل حسامها^(٣٨)

٧- وخلوا قريشا تقتل إن ملكها

لها وعليها بـرّها وآنامها

٨- فإن وسعت أحلامها وسعن لها

وإن عجزت لم يدم إلا كلامها

٩- فإن قريشا مهلك من أطاعها

تنافس دُنيا قد أحم إنصرامها^(٣٩)

التخريج

- القصيدة في نقائض جرير والأخطل : ٢٢

- الأبيات : ١، ٢، ٣، ٧، في معجم الشعراء : ١٣١

- الأبيات : ١، ٢، ٣، ٨، ٩ : في جمهرة أنساب العرب : ٢٤٧ -

٢٤٨

- البيتان : ٧، ٨ : في أنساب الأشراف : ١٣ / ٥٦٢٧

- البيت التاسع في لسان العرب مادة نفس :

اختلاف الرواية

١- فمن ٠٠٠ جاز ٠٠٠ في جمهرة أنساب العرب

٧- وخل ٠٠٠ في أنساب الأشراف

٨- وإن ٠٠٠ في أنساب الأشراف.

٨- . وسعت ٠٠٠ تدم ٠٠٠ في جمهرة أنساب

العرب

٩- وإن ٠٠٠ في جمهرة أنساب العرب، وفي لسان العرب

(٧)

قال علي بن الغدير الغنوي:

(من البحر الكامل)

١- أعلني إن بكرت تجابو هامتي

هاما بأغير نازح الأركـمان

٢- وعلمت ما أنا صانع ثم انتهى

عمري وذلك غـاية الفتيان

٣- وإذا رأيت المرء يشعب أمره

شعب العصا ويلج في العصيان

٤- فاعمد لما تعلو فما لك بالذي

لا تستطيع من الأمور يـدان

٥- وإذا سئلت الخير فاعلم أنه

نعمي تخص بها من الرحمن

★★ ورد في البيت الأول "وأهل" والصحيح بكسرها
(المورد)

الأبيات: ١، ٢، ٤ في أنساب الأشراف: القسم الرابع،

الجزء الثاني: ٢٩٤

اختلاف الرواية

١- مع ابن .. عزيز .. عزيز في أنساب الأشراف

٤- فأسُخف ... في أنساب الأشراف

شعره المتدافع مع عبدالله بن همام لسلولي.

(١)

قال علي بن الغدير الغنوي ليزيد بن معاوية لما هلك

معاوية وآلت الخلافة إلى ابنه يزيد:

(من البحر الوافر)

١- تعزوا يا بني حرب بصر

فمن هذا الذي يرجو الخلودا

٢- لعمرُ منا هن بطن جمع

لقد جهزتم ميتا فقسيدا

٣- لقد وارى قليبكم ثباتا

وحـــــــــــــــــلما لا كفاء له وجودا^(١)

٤- وجدناه بغیضا في الأعادي

حيـــــــــــــــــا في رعيته حميدا

٥- يوجد لهم بما ملكت يدها

ويغفر ذنبــــــــــــــــهم إلا الحدودا

٦- أمينا مؤمنا لم يفض أمرا

فيوجد عبــــــــــــــــة إلا رشــــــــــــــــيدا

٧- إماما لا يجر، كان فينا

بــــــــــــــــه الصديق أو عمر الشــــــــــــــــهيدا^(٢)

٨- فقد أضحي العدو رخي بال

وقد أــــــــــــــــسى التقــــــــــــــــى له عميدا

٩- أعاض الله أهل الدين منكم

ورد لنا خلاــــــــــــــــفكم جديدا

١٠- مُجانبة النفاق وكل نحس

مقارنة الأيمان والســــــــــــــــعودا

١١- خلافة ربكم كونوا عليها

إذا غمزت عابسة أســــــــــــــــودا^(٣)

١٢- تعلمها الكهول المرء حتى

تذل بها الأكف وتــــــــــــــــسقيدا

٦- شيم تعلق بالرجال وإنما
شيم الرجال كهينة الألوان

التخريج

- القطعة في أمالي القاضي: ٢ / ٣١٢

* ورد في بداية الشطر الثاني "عمري" وصححت

"عمري" (المورد)

- البيتان: ٤، ٣ في البيان والتبيين: ٣ / ٨٠

- البيتان: ٤، ٣ في أضداد الأصمعي: ٧

- البيتان: ٤، ٣ في أضداد ابن السكيت: ١٦٦

- البيتان: ٤، ٣ في أضداد أبي حاتم السجستاني: ١٠٨

- البيتان: ٤، ٣ في أنساب الأشراف: ١٣ / ٥٦٢٧

- البيتان: ٤، ٣ في أضداد أبي الطيب: ٣٣

- البيتان: ٤، ٣ في أضداد ابن الأنباري: ٥٣

- البيتان: ٤، ٣ في لسان العرب، مادة: علا

- البيتان: ٦، ٥ في معجم الشعراء: ١٣١

- البيت الثالث في لسان العرب، مادة: شعب

- البيت الرابع في لسان العرب، مادة: معزوا إلى كعب بن

سعد الغنوي

اختلاف الرواية

٣- ٥٥ يلج ٥٥٠ في أنساب الأشراف

٤- فاقصد ٥٥٠ في أنساب الأشراف

(٨)

قال علي بن الغدير الغنوي في فتنة عبدالله بن

الزبير *

(من البحر الوافر)

١- لجلجلة القتيل ولا بن بدر وأهل دمشق أنجية

تبين **

٢- فبعد اليوم أيام طوال

وعد خمود فتنتكم فتون

٣- وكل صنيعه رصد ليوم

تحل به لصاحبه الديون

٤- خليفة أمة قسرت عليه

تخبط و استخف بمن يدين

٥- فقد لقينا حميدين المنايا

وكل فتى ستشعبه المنون

التخريج

* لم يذكر الباحث بعض الاختلافات في الرواية

(المورد)

- القطعة في الأغاني: ١٩ / ١٥١



١١- خلافة ربهم حاموا ٠٠٠ كما كنتم عنابسة ٠٠٠
في طبقات فحول الشعراء، خلافة ربهم ٠٠٠ إذا
غمزت ٠٠٠ في مقطعات مراث.
١٢- يعلمها ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء ، وفي
مقطعات مراث.

١٣- بلوتم ٠٠٠ في مقطعات مراث.
١٤- فخذها ٠٠٠ في مقطعات مراث، تلقاها ٠٠٠ في
البداية والنهاية.
١٥- وإن عرفت لكم فتلقفوها ٠٠٠ في طبقات فحول
الشعراء ، وإن لانت لكم فتلقفوها ٠٠٠ في مقطعات
مراث.

* في البيت (١٦) ورد كم زائدة فحذفت (المورد)
١٧- وإن ضجرت عليكم ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء ،
وإن شغبت عليكم ٠٠٠ يستدر بها ٠٠٠ في مقطعات
مراث.

(٢)

كان علي بن الغدير الغنوي يحض يزيد بن معاوية
على تعيين ابنه معاوية وليا للعهد ، فما زال يحثه حتى
استجاب له واختاره وليا للعهد ، وكان يخاطب يزيد
قائلا:

(من البحر البسيط)

- ١- يا دار ليلي بلي فذي حُم
فجانِب القُف ذي القيعان فالأكم^(١)
- ٢- إنا نقولُ ويقضي الله مقتدرا
مهما يدم ربنا من صالح يدم
- ٣- يزيدُ يا ابن أبي سفيان هل لكم
إلى سناء ومجد غير منصرم^(٢)
- ٤- أعزمُ عزيمة أمر غبه رشد
قبل الوفاة وقطعُ قالة الكرم
- ٥- واقدر بقائلكم خذها يزيد فقل
خذها معاوي لا تعجز ولا تلم
- ٦- إن الخلافة إن تثبت لثالثكم
تثبت أواخيها فيكم فلا ترم^(٣)
- ٧- ولا تزال وفود في دياركم
يغشون أروع سباقا إلى الكرم

١٣- إذا ما بان ذو ثقة تلقت

أخا ثقة ———ها صنعا مجيدا
١٤- تلقفها يزيدُ عن أبيه

فدونكها معاوي ———ن يزيدا
١٥- أديروها بني حرب عليكم

ولا ترموا ———ها الغرض البعيدا
١٦- فإن دُنياكم بكم اطمأنت

فأولوا أهلها خُلُقًا سديدا
١٧- وإن عصفت عليكم فاعصبوها

عصاها تستدرُ به شديدا

التخريج

- القصيدة في نقائض جرير والأخطل: ٢-١ معزوة

لعلي بن الغدير الغنوي.

- القصيدة ما عدا البيتين: ٧، ٥ في طبقات فحول

الشعراء: ٦٢٦-٦٢٨ معزوة لعبدالله بن همام السلولي.

القصيدة ما عدا البيتين: ٧، ٥ في مقطعات مراث: ١٢٢

معزوة لعبدالله بن همام السلولي.

- الأبيات ١، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ في أنساب الأشراف: ٥/٢١٤٨-

٢١٤٩

- الأبيات ١، ١٥، ١٤ في شرح الحماسة للتبريزي ، طبعة بون

٥٠٧:

- البيتان ١٤، ١٦ في كتاب نسب قريش: ١٢٩ معزوان

لعبدالله بن همام السلولي.

- البيتان: ١٤، ١٥ في البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٧ معزوان

لعبدالله بن همام السلولي.

اختلاف الرواية:

٢- لعمرو مناخهن ٠٠٠ في مقطعات مراث

٣- قليبكم بيانا ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء،

وبنانا في مقطعات مراث، وحزما في مقطعات
مراث.

٦- وأمينا ٠٠٠ لم يقض ٠٠ في مطعات مراث.

٧- ٠٠٠ وقد أضحى التقي به ٠٠٠ في مقطعات مراث.

٩- ٠٠٠ لنا خلافتنا ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء،

ففاض ٠٠٠ ورد لكم خلافتكم ٠٠٠ في مقطعات

مراث.

١٠- ٠٠٠ ٠٠٠ المحاق ٠٠٠ مقاربة ٠٠٠ في مقطعات مراث



- ٨- يزعم أمر قریش غیر منتکث
ولو سـ ما کل قرم منهم قطم^(٤٦)
- ٩- عیشوا وأنتم من الدنيا على ثقة
واستصلحوا جند أهل الشام للبهيم^(٤٧)
- ١٠- فاطعم الله أقواما على قدر
ولم يحاسبكم في الرزق والطعم
- ١١- فلا تحلنها في دار غيركم
إني أخاف عليكم حـرة الندم
- ١٢- فما لمن سالك الشورى مشاورة
إلا بطعن وضرب صايب خذم^(٤٨)
- ١٣- أنى تكون له شورى وقد قتلوا
عثمان ضحوا به في الأشهر الحرم
- ١٤- خير البرية راعوا المسلمين به
ملحبا ضرجت أثوابه بدم^(٤٩)
- ١٥- فكان قاتله منهم لشقوته
مثل الأحيمر إذ قـفا على أرم^(٥٠)
- ١٦- أو كالدهيم وما كانت مباركة
أدت إلى أهلهما ألفا من اللحم^(٥١)
- ١٧- نفس فداء امرئ في الحرب لزمهم
حتى تفادوا وألقا الناس بالسـلم^(٥٢)
- ١٨- فبارك الله في الأرض التي ضمت
أوصاله وسـقاها باكر الديم
- التخريج
- القصيدة في نقائض جرير والأخطل : ٣ - ٤ معزوة
- علي بن الغدير الغنوي.
- القصيدة في طبقات فحول الشعراء عدا الأول ، مع
تقديم الحادي عشر على العاشر : ٦٢٩ - ٦٣٢ معزوة
لعبدالله بن همام.
- الأبيات : ٣ ، ٢ ، ١١ ، ٦ ، ٧ في أنساب الأشراف : ٥/٢/٤
معزوة لعبدالله ابن همام.
اختلاف الرواية
- ٣- ثناء ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
- ٦- تعرف ٠٠٠ مراتبها ٠٠٠ في طبقات فحول
الشعراء .
- ٧- يغشون أبلج ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
- ٩- على حذر ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
- ١٠- ولا ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
- ١١- واطعم ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
- ١٢- ولا ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
- ١٣- ... اشهر الحرم في طبقات فحول الشعراء .
- ١٥- وكان قاتله منكم لمصرعه ٠٠٠ ففي ٠٠٠ في
طبقات فحول الشعراء .
- ١٧- الفتى ٠٠٠ تدانوا وألهى ٠٠٠ في طبقات
فحول الشعراء .
- ١٨- وبارك ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء



الهوامش

- ١- جمهرة النسب : ٤٦٦
- ٢- م . ن : ٤٦٣
- ٣- م . ن : ٤١٣
- ٤- م . ن : ٤٦٦
- ٥- المؤلف والمختلف : ١٦٤
- ٦- جمهرة أنساب العرب : ٢٤٧
- ٧- قصائد نادرة : ٢٥٨
- ٨- م . ن : ٢٥٨
- ٩- من نسب إلى أمه من الشعراء : ٩١.
- ١٠- نقائض جرير والأخطل : ٢٠١
- ١١- م . ن : ٢ - ٣
- ١٢- م . ن : ٤
- ١٣- البداية والنهاية : ٢٢٨ / ٨
- ١٤- ينظر يوم مرج راهط في أيام الإسلام : ٤٣١-٤٣٥
- ١٥- م . ن : ٢٤٢ - ٢٤٣ / ٨
- ١٦- نقائض جرير والأخطل : ١٧ ، الأغاني : ١٩ / ١٣٩
- ١٧- نقائض جرير والأخطل : ٢٣
- ١٨- م . ن : ٢٣
- ١٩- المؤلف والمختلف : ١٦٤
- ٢٠- مقطعات مرث : ١٢٢
- ٢١- جمهرة النسب : ٤٦٦
- ٢٢- نقائض جرير والأخطل : ٢

وأبو سفيان، وعمرو وأبو عمرو، سمو العانيس لأنهم
ثبتوا مع أخيهام حرب بن أمية بعكاظ وعقلوا أنفسهم
وقاتلوا قتالا شديدا، فشبها بالأسد، والأسد يقال لها
الغانيس واحدا غنيسة.

٤٣. ذو حسم: موضع بالبادية، القف: ما غلظ من الأرض
وارتفع، ويكون في القف رياض وقيعان.

٤٤. مصروم: منقطع

٤٥. ترم: تبرح

٤٦. قرم: القرم من الفحول الذي يودع للفحلة ولا يحمل
عليه، القطم: الهائج، أراد بذلك الأشراف المسلمين.

٤٧. البهم: المشكلات من الأمور

٤٨. صايب: قاصد، خذم: قاطع

٤٩. ملح: مقطوع، ضربت: لطح، أي ألحقوا الرعب في
قلوب المسلمين وافجعوهم بقتله.

٥٠. الأحمر: مصغر أحمر وهو قدار بن سالف عاقر ناقة
صالح (ع).

٥١. الذهب: ناقة عمرو بن الزبان، يضرب بها المثل للشؤم،
وفيها تقول العرب: أشأم من الذهب، ينظر الأنوار

ومحاسن الأشعار: ١١٣

٥٢. السلم: أراد الإستسلام.

٢٣. الاشتقاق: ٢٧٠

24 - المؤلف والمختلف: ١٦٤

25- ديوان الحماسة: ٥

26- القصيدة رقم ((٦))

27- القطعة رقم ((١٤))

28- النتفة رقم ((١))

29- البيت المفرد رقم ((٥))

30- القصيدة رقم ((٢))

٢١- القطعة رقم ((٧))

٢٢- البيت المفرد ((٢))

٢٣- القصيدة رقم ((٩))

٢٤- القطعة رقم ((٨))

٢٥- القصيدة رقم ((١٠))

٢٦- الرحيل: القوي على المشي، والأرجل من الخيل

الذي يكون البياض في إحدى رجليه .

٢٧. الطخياء: الظلمة

٢٨- شيوخوا: أغمدوا، وشيوخوا: سلوا، وهي من الأضداد .

٢٩- أحمر: دنا

٤٠. القليب: القبر

٤١. الصديق وعمر: أراد أبا بكر وعمر الفاروق (رض) .

٤٢. غنابسة: الغانيسة هم: حرب وأبو حرب، وسفيان

مصادر ومراجع البحث

- الاشتقاق - ابن دريد (ت ٢٣١هـ) - تحقيق

عبد السلام هارون، د٠ ت٠

- الأضداد - ابن الأنباري (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.

- الأضداد - أبو الطيب (ت ٢٥١هـ)، تحقيق د٠ عزة

حسن، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، دمشق .

- الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني، مصورة دار الكتب

المصرية، د٠ ت٠

- الأمالي - أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي

(ت ٣٤٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار

الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الأمالي - أبو علي القالي (ت ٢٥٦هـ)، ط ٢، بيروت،
١٩٨٧م.

- أنساب الأشراف - صنعة الإمام أحمد بن يحيى بن
جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) حققه وقدم له د٠ سهيل
زكاره، د٠ رياض زركلي، بإشراف مكتب البحوث
والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- أنساب الأشراف - البلاذري، أحمد بن يحيى

(ت ٢٧٩هـ)، تحقيق د٠ عبدالعزيز الدوري، د٠ عصام

عقلة، ط ١، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (نسخة ثانية).

- الأنوار ومحاسن الأشعار - لأبي الحسن علي بن محمد

بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، تحقيق

- صالح مهدي العزاوي، دار الحرية للطباعة، ١٢٩٦هـ - ١٩٧٦م، بغداد.
- أيام العرب في الإسلام - محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (٢٠٠٤ ت).
- البرصان والعرجان - الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.
- البيان والتبيين - الجاحظ (ت ٢٥٥هـ). تحقيق عبدالسلام هارون، مصر ١٩٤٨م.
- ثلاثة كتب في الأضداد - الأصمعي، السجستاني، ابن السكيت، نشرها د. أوغست هفتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (٢٠٠٤ ت) - جمهرة أنساب العرب - لبن حزم الأندلسي، راجعه وحققته وضبطت أعلامه لجنة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.
- جمهرة النسب - لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق د. ناجي حسن، ط ١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر - أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق جعفر الكفاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٧٩م.
- ديوان الحماسة - أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق د. أحمد عبد المنعم صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
- رسالة في مدح النبذ وصفة أصحابه - الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد الرابع، لسنة ١٩٧٨م.
- سمط اللآلئ - أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق عبدالعزيز الميمني، مصر، ١٩٣٦م.
- شرح الحماسة - أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق غيورغ ولهلم فريتنغ، بون، ١٨٢٨م.
- طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ)، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ٢٠٠٤ ت.
- الفاضل - المبرد (ت ٢٨٦هـ)، تحقيق عبدالعزيز الميمني، دار الكتب، ١٩٥٦م.
- قصائد نادرة - د. حاتم الضامن، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الثالث، لسنة ١٩٧٩م.
- كتاب الفصوص - أبو العلاء صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي، تحقيق د. عبد الوهاب التازي سعود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- لسان العرب - ابن منظور (ت ٧١١هـ)، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة، يوسف خياط، ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، ٢٠٠٤ ت.
- المؤلف والمختلف الأمدي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٦م.
- معجم الشعراء - أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٢٨٤هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، ١٩٦٠م.
- مقطعات مرث - ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ). تحقيق د. محمد حسين الأعرجي.
- من نسب إلى أمه من الشعراء - محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧هـ - ١٩٥١م، مصر، ضمن نواذر المخطوطات.
- نقائض جرير والأخطل - أبو تمام الطائي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق الأب انطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٢م.

اخبار التراث العربي

ذ-

اعداد : حسن عريبي الخالدي
بغداد

موسى بن محمد بن عبد الله الحنبلي المؤرخ (١٢٤٢/٧٢٦-١٣٢٦م) دراسة وتحقيق الاستاذ عباس هاني الجراح وقد اعتمد في تحقيقه على سبع نسخ خطية في دمشق وبريطانيا وهو اول تحقيق علمي له وفيه تصحيح ما يزيد على ستة آلاف خطأ في الطبعة الهندية وحقق فيه اول مرة السنوات ٦٨٧-٧٠٢هـ التي لم تنشر سابقاً، وسيطبع في بيروت في ٦١ ج
xx ذيل مفرج الكروب (في اخبار بني ايوب)، لابن المغيزل نور الدين علي بن عبد الرحيم بن احمد الكاتب الحمري المظفري (ت ٧٠١هـ) دراسة وتحقيق د: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، ٢٠٠٩-٢٠٠٠ ص: ٢٠٦ مع الفهارس يتضمن، الكتاب حوادث السنوات ٦٦٢/١٢٦٤-١٢٩٦م ويشتمل على معلومات تاريخية نادرة تنشر اول مرة وقد اعتمد المحقق على نسختي المكتبة الوطنية بباريس المرقمتين بالارقام ١٧٠٢ و ١٧٠٣

- ر -

xx رأي في تيسير مبحث المنوع من الصرف. احسان النص. مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج ٤، مج ٨٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥).
xx الرحلة الى القسطنطينية: الاسباب والدوافع. المهدي عدلرؤاضية. العرب (الرياض) ج ١٢-١١، ص ٨٩٥-٨٧٨ (٢٠٠٦-١٤٢٧)
xx رحلة الحج المباركة ودورها في تطور ادب الرحلات.

xx ذخر المتأهلين والنساء في تعريف الاطهار والدماء وشرحه للامام البركوي نقي الدين محمد بن بير علي والرومي الحنفي الصوفي (٩٢٩-١٠٢١/٩٨١-١٥٧٣م تحقيق: هداية هار تفورد، ط١، دمشق، دار الفكر.... ٢٠٠٥، ٤٩٦ص
xx ذكر الطير والحيوان في اللغة والامثال والاحاديث والقرآن. شرف صبحي محمد صابر، ط١، القاهرة، دار العلم والثقافة، ١٤٢٣-٢٠٠٢، ٣٣٦ص
xx ذو النون المصري. عبد الحلیم محمود، ط٢، القاهرة، دار الرشاد، ١٤٢٣-٢٠٠٣، ٢٢٤ص
xx ذيل تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام. للذهبي (ابن الذهبي) شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الحافظ المؤرخ (٦٧٣-١٢٧٤-١٣٤٨) تحقيق ودراسة: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، در الكتاب العربي، ٢٠٠٠-٢٠٠٩، ٤٦٣ص مع الفهارس يشتمل الكتاب على حوادث ووفيات السنوات ٧٠١-٧٤٦هـ / ١٣٠٢-١٣٤٥م، وقد اعتمد المحقق على نسختين مخطوطتين في جستر بتي رقم ٤١٠٠ وليدن رقم ٢٢٠
xx ذيل خطط المقريري (المواعظ والاعتبار). تاليف عبد الحميد بك نافع، تحقيق: خالد عزب ومحمد السيد حمدي متولي، ط١، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب ١٤٢٦-٢٠٠٦، ٢٤٠ص
xx ذيل مرآة الزمان. لليونياني قطب الدين ابي الفتح

الطبيب (٤٢٨.٣٧٠ / ٩٨٠-١٠٣٧م) تح: حسين الصديق
ورواية جاموس، ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٥.

٩٦ص

×× رسالتان في بيان الاحكام الخمسة التي تعترى افعال
المكلفين - لابي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر
الثعلبي البغدادي القاهري، القاضي الفقيه المالكي
الاديب (٣٦٢-٤٢٢هـ / ١٠٩٧٣-١٠٣١م) دراسة وتحقيق:
ادريس الفاسي الفهري، ط١، دبي، الامارات العربية
المتحدة، دار البحوث للدراسات و احياء التراث، ١٤٢٤.

٢٠٠٣

×× روائع الخط العربي بجامع البوصيري - اعداد خالد
عرب ومحمد الجمل. تقديم: اسماعيل سراج الدين،
ط١، الاسكندرية (مصر) مركز الخطوط بمكتبة
الاسكندرية، وحيدة الدراسات والبحوث بمركز

الخطوط، حوليات المشروعات البحثية، ١، ١١٧ص
×× رواية آنة كومونين عن حصار انطاكية ٤٩/١٠٩٨
بين المصادر العربية والاجنبية - طلب صبار محل،

الآداب (بغداد) ٧٦٤ (٢٠٠٧) ٤٥٩، ٤٢٢

×× الروض الزاهر في غزوة الملك الناصر وبـذيله
(المناقب المظفرية) كلاهما لعلاء الدين بن عبد
الظاهر (ت ٧١٧هـ) تح د: عمر عبد السلام تدمري، ط١،
بيروت، ٢٦٢، ٠٠٠، ٠٠٠ص، ويشتمل على غزوة الملك
الناصر محمد بن المنصور قلاوون وانتصاره على
النتار في موقعة مرج الصفر سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م، وقد
اعتمد المحقق على مخطوطة برلين المرقمة بالارقام

٢٦٢٣

×× الروض الواسع والدليل المنيع على عدم انحصار
علم البديع - لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله
الشـوكانـي الصنعاني اليمـني الفـقـهـيـه (١١٧٣ -

١٢٥٠هـ / ١٧٦٠-١٨٣٤) - بن عيسى الطاهر و طاهر بن

عبد الرحمن قحطان. عالم المخطوطات والنوادر

(الرياض) ١٤، مج ١١ (٢٠٠٦-١٤٢٧)

صلاح محمد ابو زيد. الحج (الرياض) ٢٤، س ٦١ (١٤٢٧ -
٢٠٠٦)

×× رحلة الحجاز كما صورها ابراهيم عبد القادر
المازني، محمد عبد الشافي القوصي، الحج (الرياض)
٢٤، س ٦١ (١٤٢٧-٢٠٠٦)

×× الرحلة الحجازية الجزء الخامس (تندوف) - لمحمد
بن يحيى بن محمد المختار الشنقيطي الولائي المتوفى
سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٣م. تحقيق ودراسة: بريك الله بن
حبيب. رسالة ماجستير باشراف: احمد يوسف
سليمان (مشرقا رئيسا) وعصام محمد الشنطي
(مشرقا مشاركا) قسم المخطوطات العربية وتحقيق
النصوص، معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ٠٠٠.

×× رد. البهتان عن اعراب آيات من القرآن الكريم -

يوسف العيساوي. الاحمدية (دبي) ٢١٤ (١٤٣٦-٢٠٠٥)

×× رسائل عبد العزيز بن يوسف (ت ٣٨٨هـ) - محمد

يونس عبد العادل. تراثيات، (القاهرة)، ١٤، س ١ (٠٠٠).

٢٠٠٣ (١٣٢-١٣٧

×× رسالة التوسعات - لابن كمال باشا شمس الدين

احمد بن سليمان بن كمال باشا التركي الاصل القاضي

(ت ٩٤٠هـ / ١٥٢٤م) دراسة وتحقيق ابراهيم بن منصور

التركي. عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ١٤، مج ١١

(١٤٢٧-٢٠٠٦)

×× رسالة في تحقيق امر الوباء والاحترار منه

واصلاحه اذا وقع لابن سهل المسيحي - لطف الله قاري.

مجلة تاريخ العلوم العربية (حلب) ١٣ (٢٠٠٥-٠٠٠)

×× رسالة في صلاة الرغائب - للامام عز الدين عبد

العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي القاهري

الفقيه القاضي (٥٧٧-٦٦٠، ١١٨١-١٢٦٢) تحقيق:

اياد خالد الطباع، ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٥.

٨٠ص

×× رسالة في العشق - لابن سينا (الشيخ الرئيس) ابي

علي الحسين بن عبد الله بن الحسن والفيلسوف

xx روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب ابي يزيد
(البسطامي والجنيد البغدادي وأشياهما واتباعهما،
لابن الاطعاني محمد بن احمد بن محمد البسطامي
الحلي (ت سنة ٨٠٧هـ)، انتهى احمد فريد المزيدي
(مصر) من تحقيقه على نسختين خطيتين
مصورتين في معهد المخطوطات العربية، ٠٠٠.٠٠٠
xx رؤية نقدية في شاعرية ذي الرمة - سحاب محمد
الاسدي. الآداب (بغداد) ٧٢٤ (١٤٢٦-٢٠٠٦) ٦٧٧-٦٤٦
- ز -

xx زيد بن علي - للشيخ محمد رضا كاشف الغطاء ١٣١٠-
١٣٦٦هـ. دراسة وتحقيق خليل ابراهيم المشايخي
النجف الاشرف، مؤسسة كاشف الغطاء العامة، ١٤٢٤-
٢٠٠٣

- س -

سراج الملوك - للطوטרشي (ابن ابي رندقة) ابي بكر
محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهري المالكي
الفقيه (٤٥١، ٥٢٠هـ/١٠٥٩-١١٢٦) تح: محمد فتحي ابي
بكر، تقديم د: شوقي ضيف، ط٢، القاهرة - الدار
المصرية اللبنانية، ١٤٢٧-٢٠٠٦، ٢٠١، مج ٨٧٦ ص
xx السفينة - لابن مبارك شاه: شهاب الدين احمد ابن
محمد بن حسين بن ابراهيم القاهري الاديب (٨٠٦-
٨٦٢/١٤٥٨م) تح ودراسة الجزء الاول - احمد عبد
الرزاق علم الدين رسالة ماجستير باشراف: صفوت
زيد (مشرفاً رئيساً) ويوسف عبد الوهاب (مشرفاً
مشاركاً) قسم الادب والنقد، كلية اللغة العربية بآيتاي
البارود (البحيرة) جامعة الازهر الشريف. الكتاب
مختارات من دواوين الشعراء واخبارهم
وتراجمهم.... وقد اعتمد المحقق على نسخة وحيدة
من الكتاب في معهد المخطوطات العربية مصورة من
اصلها في مكتبة الاستانة في تركيا.
xx سفينة الدر - لنجم الدين محمد الصالحي الهلالي
الدمشقي (ت ١٠١٢هـ) انتهى نادي حسن شحاتة من

تحقيقه لنيل درجة الماجستير من قسم اللغة العربية،
كلية الآداب، جامعة طنطا. وهو كتاب جامع لفنون
الادب العربي. شعر، امثال، موشحات، رباعيات،
رسائل.

xx سقط الزند وضوءه - لابي العلاء المعري احمد بن
عبد الله بن سليمان التنوخي الشاعر الحكيم اللغوي
(٣٦٢-٤٤٩، ٩٧٢-١٠٥٧م) تح: السعيد السيد عبادة، ط١،
القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ٠٠٠-٩٥٩ ص،
١٥٥.٥ الدراسة، ٨٠٧.٧ النص + الفهارس

xx سلوة الكنيب بوفاة الحبيب (ص) - لابن ناصر
الدين شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن
عبد الله القيسي الدمشقي (٧٧٧-٨٤٢/١٣٧٥-١٤٢٨م) تح
ودراسة د: يوسف معتوق، ط١، دبي، الامارات العربية
المتحدة، دار البحوث للدراسات واهياء التراث، ١٤٢٣-
٢٠٠٢

xx السيد احمد صقر العالم المحقق - عادل سليمان
جمال. مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ج ٢،
مج ٤٧ (٢٠٠٣)

- ش -

xx شاعرية الشيخ محمد رضا الشبيبي - المرحوم
الدكتور عناد غزوان. آفاق نجفية (النجف) ١٤، ١٤، س١
(١٤٢٦-٢٠٠٦) ص ٣٣٧-٣٤٨
xx شاهد قبر من أول القرن السابع الهجري لامام المقام
الشافعي بالمسجد الحرام ٥٩٨-٦٠٤هـ دراسة تاريخية
حضارية - محمد بن هزاع الشهري. الدارة (الرياض)
٢٤، س ٣١ (١٤٢٦-٢٠٠٦)

xx شجرة المعارف والاحوال وصالح الاقوال والاعمال -
لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي
الدمشقي القاهري الفقيه القاضي (٥٧٧-٦٦٠/٨١١-
١٢٦٢) تح: اياد خالد الطباع، ط٢، دمشق، دار
الفكر، ٢٠٠٦-٢٠٠٦، ٥٧٦ ص
xx شرح التعريف بضروري التصريف - لابن مالك

جمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد
الله الطائي الجبائي الدمشقي النحوي (٦٠١-٦٧٢/
١٢٠٤-١٢٧٤) تح د: هادي نهر والاستاذ هلال ناجي،
ط١، عمان (الاردن) دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
٢٠٠٢، ٢٨٨ ص اعتمد المحققان على نسخة خطية
قديمة محفوظة في مكتبة طوبقبو سراي في
استانبول

×× شرح جمال الزحاجي - لابن خروف ابي الحسن
علي بن محمد بن علي الحضرمي الاشبيلي (٥٢٤-
٦٠٩ هـ / ١١٣٠-١٢١٢ م) دراسة وتحقيق: سلوى محمد
عرب، ط١، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية
واحياء التراث الاسلامي، جامعة ام القرى، ١٤١٩-٢٠٠٠،
عرض ونقد د: علاء الدين حموية. مجلة مجمع
اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٦ع، ٦٦س (٢٨-١٤٢٥-
٢٠٠٤) ص ٢١٤-١٨٩ ع ٦٧ع، ٦٨س (٢٨-١٤٢٥-٢٠٠٤) ص ٢٠٥-
٢٤٤

×× شرح شواهد التحفة الوردية - عبد القادر ابن
عمر البغدادي المعري الاديب اللغوي (١٠٣٠-
١٠٩٣ هـ / ١٦٢١-١٦٨٢) تح د: عبد الله بن علي الشلال،
ط١، الرياض، مكتبة الرشيد، ٢٠٠٠-٢٠٠٠، ٦٣٢ ص.
اعتمد المحقق على ثلاث نسخ خطية محفوظة في دار
الكتب المصرية احدها بخط المؤلف فضلاً عن
مطبوعته بتحقيق نظيف مجرم خواجه في
استانبول سنة ١٩٧٨

×× شرح الصدور بشرح زوائد الشذور - للبرماوي
شمس الدين محمد بن عبد الدائم بن موسى
النعمي العسقلاني القاهري المقدسي الشافعي (٧٦٣-
٨٣١ هـ / ١٣٦٢-١٤٢٨) تح: محمد عدنان قسيطاز، ط١،
دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٦، ١٥٦ ص
×× شرح الفصول المهمة في مواريث الامة - لسبط
المارديني بدر الدين محمد بن محمد بن احمد الغزال

الدمشقي القاهري الفلكي الرياضي (٨٣٦-٩١٢ هـ/
١٤٢٣-١٥٠٦) تح ودراسة احمد سليمان عبد الله ابي
طالب (مصري) رسالة ماجستير باشراف: نصر مزيد
واصل، قسم المخطوطات العربية وتحقيق النصوص،
معهد المخطوطات العربية (القاهرة) سجلت في
٢٠٠٥/١٠/٤

×× شرح كتاب سيبويه لابي سعيد السيرافي الحسن بن
عبد الله بن المرزبان البغدادي النحوي القاضي
المعتزلي (٢٨٤-٣٦٨ / ٨٩٧-٩٧٩ م) تح (٩) ط١، القاهرة،
مركز تحقيق التراث، الهيئة العامة لدار الكتب
والوثائق القومية، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ج ٦، ٦٥، وطبعت بعدهما

الأجزاء ٩٧ ولم أقف على سني نشرها
×× شرح كتاب سيبويه - للصفار قاسم بن علي ابن
محمد بن سليمان الانصاري البطلوسي الاندلسي
النحوي (ت بعد سنة ٦٣٠ م / بعد سنة ١٢٢٣ هـ) دراسة
وتحقيق: ياسر محمد عبد الرحمن (مصري) رسالة

ماجستير باشراف: محمد حماسة عبد اللطيف، قسم
المخطوطات العربية وتحقيق النصوص، معهد
المخطوطات العربية (القاهرة) سجلت في ٢٠٠٥/٦/٢٠
×× شرح لب الباب في علم الاعراب للاسفراييني -
للنقرة كار جمال الدين عبد الله بن محمد بن احمد
الحسيني النيسابوري الحلبي الدمشقي القاهري
الاصولي النحوي (٧٠٦-٧٧٦ هـ / ١٣٠٦-١٣٧٤) دراسة
وتحقيق: محمد فرج علي فرحات رسالة دكتوراه،
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار
(ليبيا)

×× شرح مختصر ابن الحاجب في اصول الفقه - لشمس
الدين ابي الشاء محمود بن عبد الرحمن بن احمد بن
محمد الاصفهاني الدمشقي القاهري (٦٧٤-
٧٤٩ هـ / ١٢٧٦-١٣٤٩ م) تح: علي جمعة، ط١، ٩، دار السلام
للطباعة والنشر، ٢٠٠٤-٢٠٠٤، مج ٢، ٩٢٨ ص

القاهرة مكتبة الآداب، ٢٠٠٦، ١٣٤، ص، مقدمة، ٥٠٠
 ٧٨ للدراسة، ١٢٧، ٧٩ شعره، ١٢٨، ١٣٤ الفهارس
 xx شعر عبد الوهاب المالكي البغدادي (ت ٤٢٢هـ) جمع
 وتوثيق وتحقيق: عبد الحكيم أنيس، ط١، دبي،
 الامارات العربية المتحدة، دار البحوث الاسلامية ٢٠٠٤
 xx شعر علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)
 جمع ودراسة وتحقيق وشرح وتقديم د: عبد الرزاق
 عبد الحميد حويزي، ط٢، القاهرة، منشورات مكتبة
 الآداب، ٢٠٠٣
 xx شعر علي بن مسهر الموصللي (ت ٥٤٣هـ أو ٥٤٦هـ)
 جمع وتحقيق د: عبد الرزاق عبد الحميد حويزي،
 قيد النشر في القاهرة، ٢٠٠٧
 xx الشعراء الخوارج - عبلة الرديني، ط١، القاهرة،
 الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٤، ٢٠٠٤، ٣٠٤ ص.
 xx شقراء: مدينة وتاريخ - محمد بن سعد الشويعر،
 ط٢، ١٤٢٤، ٢٠٠٣، ٢٠١ ج
 xx شواعر الجاهلية: دراسة نقدية - رغداء مارديني،
 ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٢، ٣٩١ ص
 xx شوق المستهام في معرفة الاقلام الثلاثة: الكوفي
 والمغربي والهندي - لابي بكر احمد بن علي ابن
 وحشية النبطي. تح: اياد خالد الطباع، دمشق، دار
 الفكر، ٢٠٠٣، ضمن / منهج تحقيق المخطوطات.
 xx شوقي ضيف مؤرخاً للنثر العربي القديم - محمد
 الدروبي. الاحمدية (دبي) ٢١٤ (١٤٢٦-٢٠٠٥)
 xx الشباب.. وبكاء الشباب في الشعر الجاهلي - احمد
 اسماعيل النعيمي. العرب (الرياض) ج ٩، ١٠، س ٤١
 (١٤٢٧-٢٠٠٦) ص ٧٦٧-٧٩٠
 xx الشيخ اغا بزرك الطهراني ١٢٩٣-١٣٨٩هـ. العلامة
 السيد احمد الحسيني. آفاق نجفية (النجف) ٤٣ع، س ١
 (١٤٢٧-٢٠٠٦) ص ٢٩٩-٣٤٤
 xx الشيخ ابراهيم بن المنذر - حكمت هلال، مجلة
 مجمع اللغة العربية (دمشق) ج ٤، مج ٨٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥)

xx شرح المعلقات العشر - لابن الخطيب التبريزي ابي
 زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني اللغوي (٤٤١-
 ٥٠٢هـ / ١٠٣٠-١١٠٩م) تح: فخر الدين قباوة، دمشق،
 دار الفكر، ٢٠٠٦، ٤٠٨ ص
 xx شعر ابن النقيب ناصر الدين ابي نصر محمد ابن
 الحسن بن شاور الكناني القاهري (٥٨٨-٦٨٧-١١٩٢.
 ١٢٨٨م) جمع ودراسة وتحقيق الاستاذ عباس هاني
 الجراح، ط١، دمشق، ٢٠٠٧، ٢٠٠ ص
 xx شعر احمد بن ابي فنن (ت ٢٧٨هـ) تنقية وتتمة -
 د: عبد الرزاق عبد الحميد حويزي. الاحمدية
 (دبي) ٢١٤ (١٤٢٦-٢٠٠٥)
 xx شعر ادريس بن اليمان - احمد صلاحية. مجلة
 مجمع اللغة العربية، (دمشق) ج ٤، ٨٠ع (١٤٢٦-٢٠٠٥)
 xx الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين - علي احمد
 الخطيب، ط١، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب،
 ١٤٢٤، ٢٠٠٣، ٢٨١ ص
 xx شعر الجراز عوف بن الاحوص - رضوان محمد
 حسين النجار. العرب (الرياض) ج ٧، ٨، س ٤١ (١٤٢٧-
 ٢٠٠٦) ٥٦٦-٥٤٩
 xx شعر جعفر بن شمس الخلافة (ت ٦٢٢هـ) جمع
 وتحقيق وشرح ودراسة د: عبد الرزاق عبد الحميد
 حويزي، تم تحكيمة ومن المنتظر ان ينشر هذه
 السنة، ٢٠٠٧
 xx شعر دعبل بن علي الخزاعي ١٤٨-٢٤٦هـ. صنعة د:
 عبد الكريم الاشر، ايران (?) انتشارات مكتبة
 الحيدرية، طبع مطبعة شريعت، ١٤٢٧، ٢٠٠٦، ٥٥٨ ص
 xx شعر شميم الحلبي ابي الحسن علي بن الحسن بن
 عنتر الحلبي البغدادي النحوي اللغوي الاديب
 (ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م) جمع ودراسة وتحقيق الاستاذ
 عباس هاني الجراح، ط١، دمشق، ٢٠٠٧
 xx شعر عبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ) جمع
 وتحقيق د: عبد الرزاق عبد الحميد حويزي، ط١، ٢١

(النجف) ١٤، س١ (١٤٢٦-٢٠٠٦) ٢٨٧-٢٩٧
 ×× الشيخ محمد رضا الشبيبي حياته وشعره.
 المرحوم د: علي جواد الطاهر. آفاق نجفية (النجف)
 ١٤، س١ (١٤٢٦-٢٠٠٦) ص٣١٤-٣٣٦
 ×× الشيخ محمد رضا الشبيبي والمؤسسات الثقافية.
 قصي سالم علوان الجلي. آفاق نجفية (النجف) ١٤،
 س١ (١٤٢٦-٢٠٠٦) ص٣٥٧-٣٦٣
 ×× شيوخ معمر بن راشد وتلاميذه: المضعف فيهم:
 دراسة تطبيقية على الصححين. نافذ حسين حماد
 آفاق الثقافة والتراث (دبي) ٥٢٤ (١٤٢٦-٢٠٠٦)

×× الشيخ احمد زروق البرنسي وشرحه على المقدمة
 القرطبية في الفقه المالكي. احسن زقور. المجلة
 الجزائرية للمخطوطات (الجزائر) ١٤ (١٤٢٤-٢٠٠٣)
 ×× شيخ الباحثين اغا بزرك الطهراني حياته وأثاره
 ١٢٩٣-١٣٨٩-١٨٧٥-١٩٧٠. الاستاذ الشهيد عبد الرحيم
 محمد علي. آفاق نجفية (النجف) ٤، س١ (٤٢٧-٤٢٨)
 ٢٠٠٦ (٢٨٣-٤٢٣)
 ×× الشيخ حمد الجاسر وسوانح ذكرياته في المجلة
 العربية. حمد بن عبد الله القاضي. العرب (الرياض)
 ج٩-٢١٠ س٤١ (١٤٢٧-٢٠٠٦) ص٦٢٧-٦٣٦
 ×× الشيخ محمد الحسكي النجفي المتوفى نحو سنة
 ١٢٣٠ هـ. الاستاذ الشيخ حمود الساعدي. آفاق نجفية

تنويه

وقع مصححو افتتاحية العدد السابق في أخطاء منها ماشوّه الافتتاحية برمتها مثل ماورد
 على السطر الثامن عشر:
 ((.... يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون...)).
 والصواب هو: ((قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون)) والآية هي موضع الشاهد، وهي -
 بزعمهم - سبب النزول.
 وعلى الصفحة الثانية منها في السطر الثالث: ((... من ماء زمزم فقطب التي كانت له؛
 فشربه...)).
 والصواب: ((فقطب له)).
 وعلى الصفحة نفسها، في السطر السادس: ((فكان ينبذ فيها... لتحليته... والصواب: فكان ينبذ
 في جرارها... لتحلية الماء فيها...)).
 نعتذر المجلة عما وقع وعسى أن توفق أن لا تقع.

إبراهيم بن هرمة

قصيدة العدد

تعلقتها، وإناء الشباب يطفح من جانبه طفاحا
ولا مية حرت حبها ولا الشيب أنساكها حين لاحا

وكم من محب أجن الهوى

فود من الغم لو كان باحا

وأخر غم بأسراره

فباح بمكثومه، واستراحا

واني وتركي ندى الأكرمين

وقدحي بكفي زندا شحاحا

كتاركة بيضها بالعرأ

وملبسة بيض أخرى جناحا